محمد باقر الصدر

المواجهة والشهادة

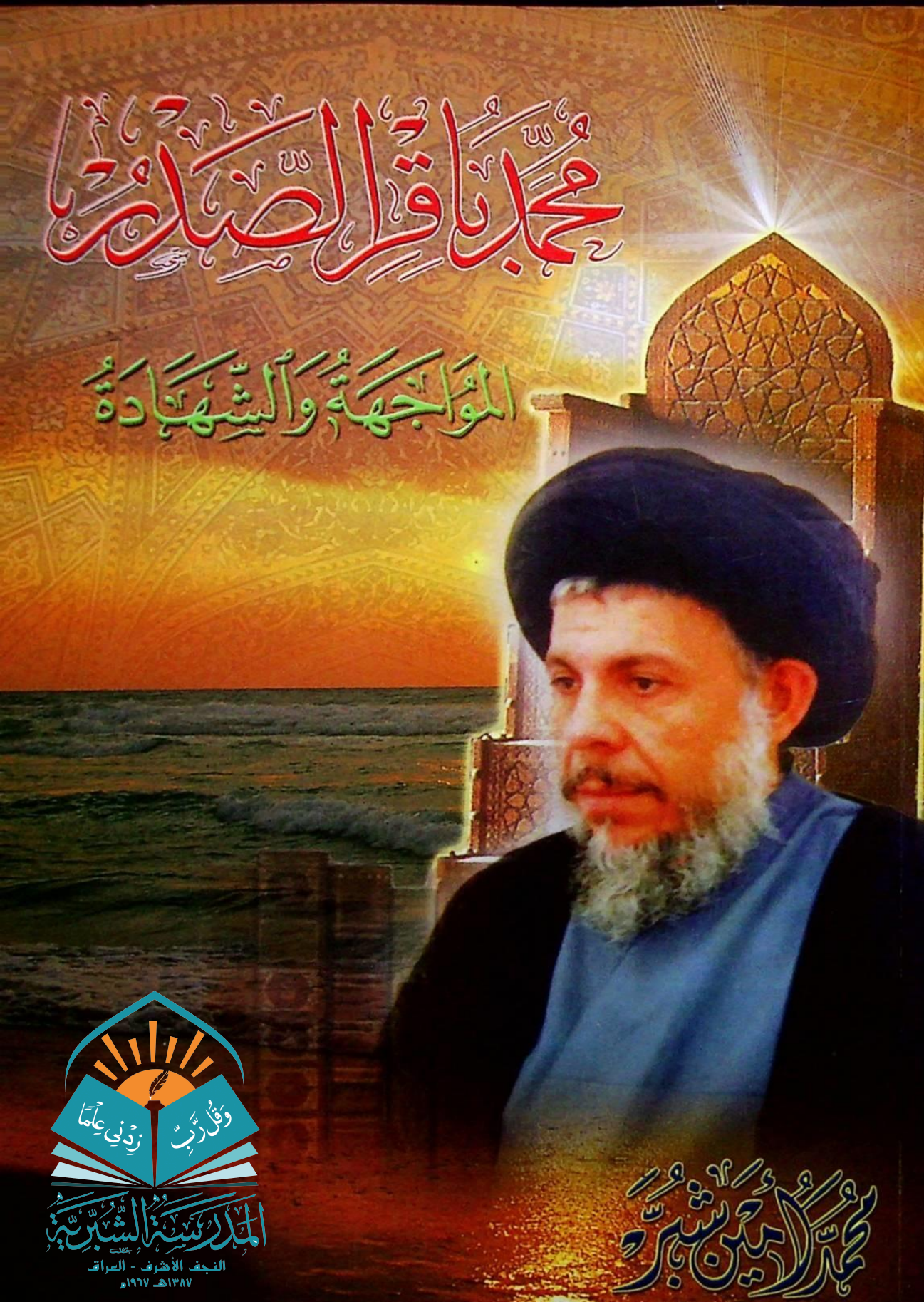

محمد أمين شبر

وقل رب زدني علما

المدرسة الشبرية

النجف الأشرف - العراق

١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

محمد باقر الصدر

المواجهة والشهادة

مكتبة
محمد أمين شبر
-١٨٤-

محمد باقر الصدر

المواجهة والشهادة

محمد أمين شبر

وقل رب زدني علما
المدرسة الشبرية
النجف الأشرف - العراق
١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م

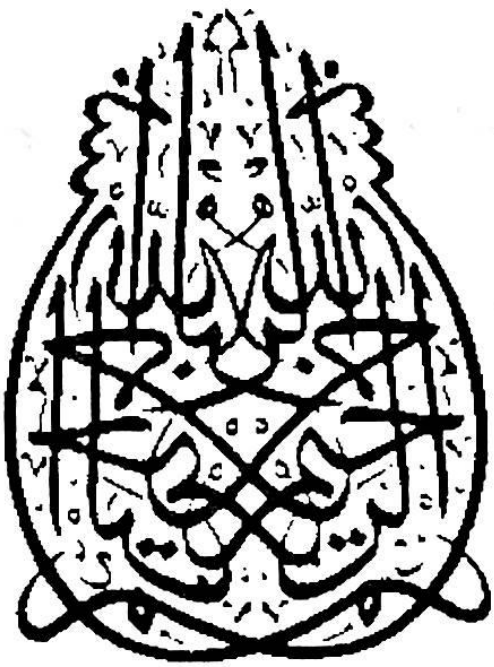

قال رسول الله ــ ص ــ :

أقْرَبُ الناسِ مِن دَرَجةِ النّبوةِ:

أَهلُ العِلمِ والجِهـــــــادِ.

المحجة البيضاء ج١ ص١٤ (أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المنتجبين.

حينما نشر الإسلام ضلاله الوارفة على الأرض التي جعلها الله ملكاً للمسلمين، وحينما حل النور محل الجهل والظلام، وحينما إبتدأت البشرية تعتقده ديناً قويماً ومنهجاً متكاملاً لحياتها، به تحل مشكلاتها وتداوي جراحها وتبرأ عللها، وصارت الامة تفكر أن تبني بالإسلام حضارتها التي خصها الله بها، وتشيد شخصيتها، فساد الإسلام بقاع المعمورة، وإمتلك المسلمون زمام الأمر، وأخذ الدين يدخل الى ضمير كل إنسان له نظر ثاقب وفكر سديد على هذه البسيطة، دون التمييز بين جنس وجنس أو بين لغة وأخرى أو بين أمة وأمة، حينها أثار انتشار الإسلام وسعة حركته وإمتلاكه لقلوب الأمة، اكتشفت كل الكيانات المادية الهزيلة تحاول وبكل جهدها ان تقف بطريق تقدمه، لكنها سرعان ما أخذت تتراجع متخاذلة امام زحفه المقدس الهادر، حيث إكتشفت هذه الكيانات وتلك الأحزاب والقوى هزالة موقفها وضعفها ووهنها في الوقوف امام الإسلام بالأسلوب المادي المكشوف، فصراعها معه محكوم بالهزيمة لا محالة، وإنها وإن كانت قد اتخذت من اسلوب الأحزاب المادية مفتاحاً لحل صراعها مع الإسلام واتخذت من قوتها المادية من السلاح والعتاد والرجال والأموال حائلاً في عدم إمكان تشييد صرح الإسلام، لكن تبين لهذه القوى بعد ذلك ان اسلوب المواجهة المادية المباشرو المتمثل بالتقاتل بالسلاح وقتل الأفراد المؤمنين، والتشريد والتجويع وفرض الحصار

الإقتصادي والإجتماعي، هو اسلوب مرحلي تحدده طبيعة الظروف والأحداث المتواجدة آنذاك على الساحة فتكون آثاره وقتية تزول بزوال تلك المؤثرات، فيعـود المسلمون الى دينهم يرتمون بأحضانه عودة الإبن التائب حينما تسنح أول فرصـة لهم، وحينما يزول أول سبب من اسباب ابتعادهم فيصير آنذاك التصـاقهم والـتفافهم حـول الإسلام أكثر(**ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجـاً**)[1]، الأمر الذي دفع بالاعداء الى التفكير الجدي في اكتشاف أساليب جديـدة قـد تتمكن من خلالها عرقلة مسيرة هذا التيار الكبير الذي بدأ يهدم القـوى المسـتكبرة التي تقف في وجهه، ويكشف زيف شخصيتها الهزيلة، فعمـدت الى اسلوب شيطاني أكثر لؤماً وخبثاً، وقد يكون أمضى فتكاً وأنجح فـي عرقلة هذه المسيرة الربانية، وهذا الأسلوب الجديد، القديم، هو اسلوب ضـرب الإسـلام في الداخل، ومن خلال النفوذ الى أعماق أبنائه وزعزعة المـباديء السـامية فـي داخل نفوسهم، ومن ثمة فرض الهيمنة والسيطرة، وبالتالي خلق المعرقلات والحواجز، بل وجعل الإسلام يعيش حالة الدفاع عن النفس، والحفاظ على الهوية، بعد أن كان يعيش حالة الهجوم الكاسح السريع الخاطف.

إنـنا كمسلمين ومؤمنين بهدى الله علينا أن نعرف خطط وأساليب أعداء الاسلام قديماً وحديثاً، لنتمكن من المحافظة على هويتنا على اقل التقديرات، وإلا فالخطر داهم.

إن معـرفة هذه الأساليب وطرق إدارة الصراع تنبع من خلال الدراسة الدقيقـة الواعية المتأنية للتاريخ الإسلامي واكتشاف بؤرة الصراع، وبالتالي معرفة تلك[1] الأساليب وفضحها والتسلح حيالها .

---

١ ــ سورة النصر/ آية٢.

فثمة تاريخ، وثمة تاريخ سياسي، وعندنا كتب كثيرة وكتب في مختلف المجـالات، لكـن لا عـلى عـن ذهن أكثرنا إن موضوع التاريخ السياسي للإسلام، والذي يكشف لنا وجوب الصراع، مجدب في كتب النقل والرواية، ولـم يعر له أهمية تذكر من قبل المحققين والكتّاب والمفكرين بسبب تخلف قابلة الكتابة فيه بين صفوف أبناء الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى، ثم إن الـدارس لتأريخـنا الإسـلامي يجـد إن أكثر المؤرخين إنما كانوا يكتبون مايرضـي إهتمام السلاطين، وما يسكت سياطهم وما يفتح قرائحهم في بذل الأمـوال لهـؤلاء الكتاب، والقليل النادر جداً منه من كان يكتب إرضاءً لله تعالى وطلباً للحقيقة، مما جعل تلك نقطة ضعف كبيرة في جسد الأمة وكيانها والتزامها بمبادئها، بل صارت هذه النقطة موقع غمز للطعن بها من داخلها.

ان لدراسة التاريخ السياسي للإسلام من المعطيات الكثيرة ما لا يمكن تصوره، ومردودات إيجابية كثيرة، خاصة في قرننا الحالي ، بيد إن الدارس لتاريخنا الفكري ألإسلامي يلاحظ قصوراً كثيراً في بعض جوانبه، فالمكتبة الاسلامية بتصنيفاتها المتنوعة وكتبها الضخمة المتعددة تفتقر كثيراً الى ما يبرز التاريخ السياسي الإسلامي، رغم ماله من أهمية، بينما تجد الكتب السلفية تزخر بها مكتباتنا وتطبع عشرات المرات، وفي كافة أقطار العالم الإسلامي وإن كانت هذه الكتب لايمكن لها أن تتعامل مع الأحداث الحالية على مستوي الأمة الإسلامية أو تعالج ما تمر به الأمة من أزمات بسبب جمودها على النصوص القديمة وعدم الأخذ بنظر الإعتبار والتوغل في تحليل الأحداث وتأثيرها وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي ثم إن هذه الكتب لم تحاول أن تقف موقف المستنكر لمواقف بعض القوى المؤثرة سلباً في الأحداث، إن لم تكن قد أسهمت في تبرير ما تقوم به تلك القوى من طغيان وظلم، بل والأنكى إنها ذهبت بعيداً في محاولة تحسين وجه الحكام

الظلمة والطواغيت أمام جموع الأمة ودعوة الناس الى الخضوع والإنصياع والإستكانة لكل ظلم لأنه قدر الله على الأمة.

جاء في صحيح مسلم [١]: قال رسول الله (ص) : إنها ستكون بعدي أثرة وأمـــور تنكرونها. قالوا: يارسول الله ، كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟ قال: تؤدون الحقَّ الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم.

وقد علّق (النوري) في هامش هذا الكتاب ، قائلاً:

..وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولايُخرج عليه ولا يُخلع بل يتضرع الى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه ..

و(الأثرة) هنا : إستئثار الأمراء بأموال بيت المال.

وفي نفس المصدر: عن حذيفة قال: قال رسول الله (ص) : يكونوا بعدي أئمـــة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلـــك؟ قـــال: تســـمعُ وتطيـــعُ للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فأسمع وأطع..[٢]

واعتـــبرت كـــل خروج إنما هو هدم لإجماع الأمة .. فأخذت تعطي لما يســـمى « بالإجماع » ثقلاً أكثر مما يستحق فعادت تعتبره عاملاً شرعياً في تبرير الكثير من الأخطاء في التاريخ الإسلامي.

إن الكـــثير من هذه الكتب كتبت تحت سمع وبصر حكام فرضوا أنفسهم على المسلمين بكل وسائل البطش والإرهاب، لهذا فهي وضعت لخدمة هؤلاء الحكام.

---

١ ــ صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٣٢ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢ ــ نفس المصدر ص ٢٣٨.

قد يستغرب البعض ويتسائل: كيف يمكن لهؤلاء العلماء أن يبيعوا دينهم بالـرخيص الفاني ؟! وهناك الكثير من التفسيرات لهذا التساؤل، فلربما كان الـبعض مـن هؤلاء ممن يسمون بالعلماء، قد درس العلم لمجرد أن يحظى بإحـترام الـناس او ليـتزلف به الى السلطان أو لينال المكانة الخاصة التي يحـظى بها العلماء، فلا عجب أن يقدم مثل هؤلاء على اصدار الفتاوى طبقاً لمـا يشـتهي الناس أو يصلح للحكام .أو أن جهل بعضهم بالإسلام الحقيقي يدفعهم الى التصور بأنهم هم وحدهم الذين قد خبروا العلم وأحاطوا بكل علوم الإسـلام، مـندفعين تحت طائل تأثير لعبة إنتفاخ الشخصية الذي قد يمارسه الـبعض تجـاههم، ممـا يدفعهم الى إعتبار أفكارهم وقناعاتهم الذاتية هي الإسلام دون غيرها، وعلى الأمة أن تتبعهم لأنهم يمثلون الحق المطلق .

لقـد وردت أحـاديث كثيرة في ذم هؤلاء الذين إزدادوا علماً لكنهم قلُّوا هدىً وتقوى وورعاً ..

يقول الإمام الكاظم(ع) : أوحى الله تعالى الى داوود (ع):

قـل لعبادي : لا تجعلوا بيني وبينهم (عالماً) مفتوناً بالدنيا فيصدهم عن ذكري، وعن محبتي ومناجاتي، أولئك قطّاع الطريق عن عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.[١]

وعن أمير المؤمنين(ع) : وقودُ النار يوم القيامة كل غنيٍ بخل بماله على الفقراء ، وكل عالم باع الدين بالدنيا.[٢]

وقال رسول الله (ص): إن في جهنم رحى تطحن علماء السوء طحنا.[٣]

---

١ ــ بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣١٣.

٢ ــ غرر الحكم.

٣ ــ كنز العمال خ ٢٩١٠٠.

وعـنه (ص) : إن شـر الشـر ، شرار العلماء، وان خير الخير خيار العلماء [١].

بهذه (السلوكية الخطرة) يبدأ هؤلاء بتصوير الإسلام للناس على الهيئة التي يريدها أعداء الإسلام، فهناك كهنوت، وهناك تصوف، وهناك إنزواء، والعبادة برأيهم أن تنقطع عن الناس وعن المجتمع ولا تتدخل في شؤون الحكم، فللحكم القصور والأمراء والسلاطين، فلا دخل للإسلام بالسياسة أو الحكم أو إدارة البلاد، أما أولئك « المتطرفون » [٢]. الذين يمزجون الدين بالسياسة فيجب تركهم، بل يجب نبذهم ومحاربتهم. ورجال الدين هؤلاء تقل عندهم ــ إن لم تنعدم ــ قابلية التفسير، لسيطرة عنصرين عليهم، هما عنصر الرغبة والرهبة، بالإضافة الى خضوعهم المطلق للظروف المحيطة بهم، والذي تميت عندهم عنصر الإندفاع نحو التغيير، لذا فأنت لا ترى في مجالس هؤلاء المتلبسين بالدين إلا كل شخصية هزيلة، مُسبّحة بحمد الحاكم، داعية له بالسلامة وطول العمر، وخطاباتهم لا تحوي غير نغمة الذل والخضوع لولي نعمته، وتفسيرهم للأحداث لا يأتي إلا من خلال ما يريده المتسلطون الذين يعيشون في بلاط الحكم، وهكذا فكل الأبواب تردد نفس النبرة التي غالباً ما تكون « كلمة حق يراد بها باطل »، وبذلك فإنهم إبتعدوا بصورة تامة عن التفكير خارج حدود ما فرض عليهم، ومن يتمكن من أن يخرج عنه بعبقريته العلمية والفكرية والإسلامية، فإن باب الردى له بالمرصاد بعد أن تتحرك أيادي الحاكم الخفية في جعله عبرة لمن اعتبر،

---

١ ــ بحار الانوار ج٢ ص١١٠، منية المريد.

٢ ــ اتخذت عبارة «المتطرفين» اسماء مختلفة في العصر الحاضر «كالأصولية» التي يراد بها الإشارة الى الممثلين الحقيقين للإسلام أو أتباع الحركات الإسلامية.

ويكون جزاؤه ان يقال في مجالس أولئك (الوعّاظ)[١] : ــ إن الرجل قد رمى بنفسه الى التهلكة* ، و بذلك يعزل إجتماعياً في تجمع لم ينهض أبناؤه الى مستوى الطموح السياسي والإجتماعي الى درجة يميّز بها بين الشخصيات الى تحمل الأصالة الفكرية، وبين ادعيائها، وهكذا يذهب دمه هدراً، وفكره موتـــاً ..

ولكن مهما إستبد الظلمة فهناك ومضة نور ، ومهما تكالب الظلم فهناك ايماضة عدل ، ومهما خيم الجهل فهناك من العلم بارقة امل، ولا يزال أهل الحق يسلكون دربه وان قل سالكوه (لا تستوحشوا من طريق الحق لقلة سالكيه)، فهم القدوة والمقتدى، هم ناقوس الحق .. أهل بيت النبوة واتباعهم ومن سار على طريقهم يرافقهم في تلك المنافحة فكر فذ وقلم متوقد هو الفكر السياسي الإسلامي الاجتماعي، فهو الذي يفهم الأحداث بشكلها الصحيح، لذا فإنك تجده دوماً يتقدم الصفوف والمواقع في الحركات الإجتماعية والثورية التي ميزت الواقع وعرفت داءه، واستطاعت أن تخترق الحوادث والمعرقلات التي يفرضها الحكام الظلمة على الشعب والأمة، والتي عرفت إن القتل والدماء هو شيء طبيعي في هذا الطريق، وعليه فهي تسترخص كل

١ــ الوعاظ هنا وعاظ السلاطين: الكلمة التي أطلقها بعض علمائنا الأعلام على أولئك النفر من النفعيّين المتلبسين بلباس الدين والسائرين في ركاب الحكام الظلمة .

* حينما أعتقلت مع أخي السيد حامد شبّر في سنة ١٩٧٤ م في سجون الأمن العامة ببغداد ، كانت اكبر معاناتنا هي من بعض رجال الدين الذين كانوا يوجهون اللوم والاتهام لنا بأننا القينا بأيدينا الى التهلكة وكانوا يلحون على الوالد بهذه النغمة ، وكذلك لما اعتقل السيد الوالد عام ١٩٨٢م كان هؤلاء يشيعون في الأوساط الاجتماعية بأن السيد جواد شبّر القى بنفسه الى التهلكة وقد سمعتها من بعض الخطباء المشهورين ورجال الدين مئات المرات، هذا بدلاً من ان يباركوا جهاده وجهوده في سبيل الله، وأتذكر أن احد هؤلاء قال لي: لماذا يقرأ أبوك محمد باقر الصدر؟ أما يخاف على نفسه وأهله؟ (فالوالد كان يقرأ المجالس في منزل السيد الصدر بمناسبة شهادة الامام الكاظم (ع)).

غال من أجل تحقيق هدفها الخالص لوجه الله تعالى مهما كان الثمن صعباً وثقيلاً .

وفي كل حقبة يُقيّض الله تعالى لهذا الفكر رجلاً ينافح عنه، يرفع رايته، يقف طوداً شامخاً في وجه العتاة والظلمة، ومن هؤلاء الأطواد رجل أستل سيف الفكر والدم فصاح في الجموع ليوقظها، وليقوض صروح الطواغيت، إنبرى في البدء لينافح الأفكار الهدامة الضالة فينتقل في عهده الفكر الإسلامي من موقف الدفاع الى موقف الهجوم، ويتنفس المؤمنون على عهده الصعداء حين بدأت تتهاوى أمام فكره الوضاء جميع الأفكار الإلحادية الوافدة علينا من بلاد الغرب، ثم يقف طوداً شامخاً يصنع المعجزات حين جثم على صدر العراق حفنة من صنائع الإستعمار بعقائدهم الشوهاء وأفكارهم المنحرفة، ليتربعوا على سدة الحكم غيلة وغدراً، فأخذوا يعيثون في الإرض فساداً ويهلكون الحرث والنسل .

وقف ليصرخ بوجوههم صرخته المدوية، والتي إن لم تكن قد أتت أكلها فهي لما تزل دماء تغلي لتحرك في الشعب روح الثورة والإنتفاضة ... إنه (شهيدنا السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه).

هذا العالم الرباني الذي مزج العلم بالحلم وقرن القول بالعمل، فكان بحق وارث الانبياء كما قال جده (ص): العلماء ورثة الانبياء.[١]

ان هؤلاء الرجال، الكبار في أهدافهم ونفسياتهم وهمومهم، تبقى لهم مزايا وخصائص ليست لغيرهم، فهم تحملوا من العناء بحجم أهدافهم وقد ابتلاهم خالقهم على قدر إيمانهم وقدر حرصهم على الرسالة الإلهية (الامثل فالامثل) كما يشير الحديث الشريف.

---

١ ــ الكافي الجزء الاول ص ٣٢ ، وأخرجه ابن ماجة تحت رقم ٢٢٣ ، وابو داوود ج٢ ص ٢٨٥.

نقــف مع الصدر العظيم وقفة تذكر وتأمل في جهاده الفكري والسياسي عسى أن يكون عوناً لنا ونبراساً نحتذيه.

إن المتتــبع لحيــاة الســيد الشهيد الصدر «قدس سره» يرى انه قد مر بمرحلتين؛

المرحــلة الأولى: هي ما يمكن أن نسميّه بمرحلة العمل الاسلامي العام والــذي يكــون محــوره توعية الأمة وفتح أذهان أبنائها على عظمة دينها وربطهــا بــه من خلا مقارعة الإستعمار وكل ما يفد على الأمة من أفكار دخيلة وآراء غريبة.

أما المرحلةالثانية: فهي مايمكن أن نطلق عليه العمل الاسلامي الخاص، والــذي يكــون عملــه فيه منصباً على الدفاع عن الاسلام والحفاظ على قيم ومــباديء أبــنائه بــالوقوف أمام الكارثة التي حلت بالشعب العراقي نتيجة وصول حزب البعث الى السلطة، وما قام به «رض» من عمل عظيم تُوج به مكــللاً بغار الشهادة وإن تلك المرحلة وان كانت امتداداً لسابقتها ونتيجة لها، لكــن الواقــع ان لكل منهما ما يميزه من أساليب المواجهة والعمل وما كان يرافقه من أحداث.

وإنــي في وقفتي المتواضعة هذه مع الشهيد الصدر حاولت أن أمر على المرحلتين لدراسة أوليات كل مرحلة وأسبابها وما آلت اليه عسى أن ينفعنا.

ونســأله تعالى أن ينفعنا به ﴿يوم لا ينفع مالُ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾. ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾.

والحمد لله رب العالمين

محمد أمين السيد جوادُ شبّر

الفصل الأول

القوى المؤثرة في المجتمع

أولاً: ــ قوة الحاكم

ثانياً: ــ قوة الغوغاء

ثالثاً: ــ المعارضة المستضعفة

رابعاً: ــ المعارضة المتمردة

القوى المؤثرة في المجتمع

إن إلقاء نظرة عامة على التركيبة الإجتماعية لكل تجمع بشري تمكننا من معــرفة وجود قوى مختلفة متباينة تؤثر في كينونة المجتمع، و سلوك أفراده وتصــرفاتهم وتشكيلاتهم الإجتماعية، وتحاول هذه القوى الهيمنة عليه، فتارة نجــده ينساق وراء تأثير حركات فكرية واعية، وأخرى يقع تحت تأثير قوى غوغائية تجره الى مهاوي الردى، ويبدو إن القوة الأكبر هي التي تؤثر أكثر دائماً وهذا (أمر) طــبيعي.

ولكي نتمكن من التمييز بين تينك الحركتين ــ الواعية المدروسة والغوغائية المرتجلة ــ بصورة دقيقة، فإنه يتوجب علينا أن ندرس التركيبة البشرية لمجتمع، وندرس مواقفها اتجاه الأحداث، ومدى الإستجابة للتأثيرات الخارجية.

وعموماً، فإنه يمكن لنا أن نقسم المجتمع، على ضوء تلك الملاحظات الي خمس قوى وأصناف:ــ

القوة الأولى: قوة الحاكم؛

وهي تمثل القوة المادية التي تفرض هيمنتها بطريقة وأخرى على الساحة، فتحاول شد العدد الأكبر من ابناء الأمة للإلتفاف حولها وتمشيتها بالإتجاه الذي تريده، بما يخدم مصالحها ويحقق أهدافها وأغراضها، وهذا أيضاً يخضع لتركيبة هذه القوة، ولما تمتلكه من وسائل مادية ومعنوية وإرهابية في أغلب الأحيان، وهي تتمثل في عصرنا الحاضر بالقوى الإستعمارية وكل السائرين في ركابها من الحكام الظلمة والطواغيت بما تمتلك من عناصر القوة المادية والعلمية .

القوة الثانية:ـــ قوة الغوغاء الإجتماعية؛ـــ

وهي القوة التي غالباً ما تتبع الحاكم في مسيرته، وتأتمر بأمره، عندما تكون زمام المبادرة بيده، فتنساق بشكل عفوي إرتجالي ساذج، بل وأعمى، في معظم الأوقات، تحت تأثير الخوف من بطش الحاكم وسلطته، أو طمعاً لما بيده من وسائل الحياة، فتكون حركتها بعيدة عن العقلانية ، قريبة من التهور، تتحرك بصورة يكون فيها التفكير الموضوعي غائباً عن تحقيق العمل، بينما يكون الإيحاء الإجتماعي، أو ما يسمى « بالحس الجمعي » هو المسيطر على العقول وبصورة متذبذبة تبعاً لوجود تأثيرات أخرى، كالقوى المضادة التي تكسر حاجز الخوف والإرهاب وتأخذ زمام المبادرة فتغادر «الحس الجمعي » لتتحرك بالعقل والمنطق والإرادة.

القوة الثالثة:ـــ قوة المعارضه المستضعفة؛

وهي التي استطاعت ان تحرر نفسها من إيحاء « الحس الجمعي »، أو مـــن الوقوع تحت تأثير قوة تيار الغوغاء الإجتماعية الكاثرة، أو قوة الحاكم، فهي تقف في معظم الأحيان الى جانب الحق والعدل والإنصاف، وتهدف الى تحقيـــق الفكـــر بنقاوته على الساحة، وهذه الفئة، بطبيعة الحال، تكون القلة القليـــلة (وقليل ماهم)، المشردة، المغلوب على أمرها، الضعيفة العدد والعدة **﴿فقـــال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الّا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾** هود/٢٧، المُحارَبـــة مـــن قبل القوّتين (سالفتي الذكر)، والتي يعبر عنها القرآن الكريم بالفـــئة المستضعفة، فهي تعي الحق بيد إنها لا تتمكن من تطبيقه، وتشخص الداء لكنها لا تملك أن تعطي الدواء، يقول الله تعالى: **﴿وما لكم لا تقاتلون في ســـبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقول ربنا أخرجنا من**

هــذه القــرية الظــالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيرا﴾ سوة النساء/ آية ٧٥.

القوة الرابعة: «القوة المعارضة المتمردة»: ــ

ولكن في بعض الأحيان يخرج من هذه القوة «القوة المعارضة اللافاعلة» أفراد يتمردون على الإستضعاف، ليكونوا أقوى من الظروف الموضوعية المحيطة فيكسرون حاجز الإستكانة، ويقهرون الصعاب، فيصبحون في صنف آخر وقوة أخرى، فهم القوة المتمردة، وتتمثل هذه القوة بالقادة والمنقذين والدعاة الى الحق الذين يقفون بوجه الظالم مهما كانت قوته قاهرة لينقذوا الأمة من براثنه. فهؤلاء قد لا تتحقق طموحاتهم بشكل حاسم وآني وسريع، لكن حاشى لله أن يضيع جهودهم هدراً، فإن دماءهم تطفح بالثورة والتمرد والعبرة للأجيال الى أن يحين موعد التمرد الأكبر عندها تهوي عروش الطغاة، ان هؤلاء العظماء المتميزين، وان ندروا، لكن لا تخلوا الأرض منهم يوماً ما؛ لأنهم غرس الأنبياء والأئمة المعصومين، وهم امتداد لتوقد خطهم، وفوران دمائهم الطاهرة، المراقة على طول التاريخ فوق مذابح العقيدة ومن أجل ترسيخ مبدأ الحق والعدل والمساواة على ربوع المعمورة؛ كما أمرهم المولى الكريم جل وعلا ..

ان تاريخنا الإسلامي زاخر بنماذج رائعة تتوقد عزة وأباءً وشموخاً هــؤلاء الذين ينطلقون من خلال تشخيص تام للمشكلة لثبات مبدأهم وشموله وسعته وإيمانهم الراسخ بذلك المبدأ، ووضوح الرؤية لديهم في تحديد الهدف والغرض، بل وحتى النتائج، فهم يرون انهم لا يدخلون ضمن تصنيف القوة الثالثة:

(المستضــعفون)، بــل انهــم المخاطبون في الآية الكريمة « مالكم لا تقاتــلون»، انهــم « الولي والنصير » الذين تشير اليهم الآية الكريمة؛ لأن

أولـئك « لا يسـتطيعون حيلة » سوة النساء / ١٢٧ ؛ أما هؤلاء فهم يقفون بوجـه الطغـاة، يواجهون العتاة والمردة مهما كلفهم ذلك من ثمن وان كان دمـاءهم .. حيـث يريقونها على مذابح الحق والكرامة والحرية والقتال من اجـل المستضـعفين والمحـرومين، فهم اذن قادة يتقدمون الصفوف يحدون بالركب يسيرون قدماً في طريق الحق حتى وان استوحشه الناس فقل سالكوه؛ وثمـة في تاريخنا الاسلامي من هؤلاء العظماء اسماء لامعة؛ ورجال محط فخر الأمة، ونشيد الاجيال فهم ياخذون بيد الامة لينقذونها من مهاوي الردى حيـنما تتكالب عليها الاعداء .. ومن أمثال هؤلاء أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعماربن ياسر وحجر بن عدي وميثم التمار ويعقوب بن السّكيت، ثم تتوالى القوافل والجموع، وفي كل جيل يبرز للأمة رجل من هذا الصنف.

وحين إدلهم ليل العراق وتكالب عليه الاعداء وتعددت التيارات الالحادية الطامحـة الى السـيطرة عـلى مقدرات الامة؛ قيض الله تعالى للأمة رجالاً ابطـالاً، مـنهم سيدنا الشهيد الصدر؛ الذي تحدّى الأعداء بفكره فاسقط كل خيـارات الشـيوعيين والبعـثيين والقوميـين وغيـرهم مـن الإشتراكيين والرأسماليين،ثم حين اشتد أوار الصراع والمواجهة تحداهم بدمه الذي لايزال وسيبقى على مدى الأيام عنصر تحريك ومشعل ثورة .

القوة الخامسة: وهي القوة المحايدة

وهذه القوة بطبيعة حالها يكون معظم افرادها من الشخصيات التي عرفت الحق ايضاً، وميزت الطريق القويم، ولم تتبع الفئة الأولى (قوة الحاكم) لأنها ميزت نقاط ضعفها واخطائها، كما انها تأبى أن تتبع القوة الغوغائية التي هي انعكاس لوتر الحاكم، ثم ان هذه القوة لم تتبع القوة الثالثة (القوة المعارضة المستضعفة) لأن أولئك يريدون لكنهم لا يتمكنون؛ إنهم لا يملكون الإرادة في الحركة، إنهم يرون ان طريق القوة الرابعة الفكرية

(المتمردة على الباطل) هو الأصوب، ولكن من الصعوبة اختراقه والإنخراط فيه والدفاع عنه؛ لأن الحسابات التي يحملونها في اذهانهم تتحكم بها عوامل المادة في النصر والغلبة، فالفئة القليلة (بنظرهم) لا يمكن لها ان تغلب الفئة الكبيرة في حال من الأحــوال . بعكس نظرة القرآن الكريم القائلة ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ البقرة/ ٢٤٩.

فطــريق الفــئة القليــلة صحيح ونقي لكنه متهور لأنه (يرمي بنفسه الى التهــلكة) [1] على تأويلهم الخاطيء للتهلكة وكما يرغبون، فهم يرون التهلكة ان تقتل أو تمــوت ، ويضمحل جسدك حتى وان سلمت مبادؤك، ويرون في الســلامة ان تســلم انــت ببدنك وجسدك ومالك وولدك حتى وان اضمحلت مــبادؤك وتدّمر إسلامك، في حين ان معنى الهلكة والسلامة المراد في الآية القرآنية الكريمة على رأي الكثير من المفسرين عكس المعنى الذي ذهب اليه هؤلاء تماماً.

ان البعض من اصناف الناس ممن يسمون انفسهم ب(المقدسين) و(الورعين) يقولون ان الاصل في الاشياء(الاحتياط) ،، (احفظ دينك ولا تتدخل فتلقي بيدك الى التهلكة)..لا عليك ب(فساد الحكم والحكام).. لا عليك ب(انتشار الظلم) فالله تعالى يقول(عليكم أنفسكم لايضركم من ظلّ اذا اهتديتم).. يصلون بأفضل صلاة ويحجون كل عام ويؤدون فريضة الخمس في ميعاده دون تأخير... إلاّ أن شيئاً واحداً فقط لا يريد هؤلاء تحديد موقفهم منه.. الا وهو الصراع بين الحق والباطل.. فهم يتخذون موقفاً محايداً..

---

١ ــ اشارة الى الآية الكريمة «وانفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم الى التهلكة» البقرة / ١٩٥: ــ وقد ورد في تفسير الآية « ولا تُلقوا بأيديكم الى التهلكة » بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه، فإنه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاكهم، أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي الى الإهلاك المؤبد وبذلك سمي البخل هلاكاً ·· » تفسير كنز الدقائق ــ للعلامة المشهدي / ج ٢ ص ٢٦٦.

ونقول لهؤلاء : لا .. لا.. ان الواجب الاجتماعي فوق الواجب الفردي.. وان مجرد (سكوتكم) يعطي (قوة) للنظام المتفرعن واضافة (واحد) الى رصيده واضعاف رصيد فئة (الحق).. و(الساكت عن الحق شيطان اخرس)..أين انتم عن فريضة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)؟؟ وما قيمة (صلاة) لا تأمر بالتقوى والمعروف ولا تنهى عن منكر؟

فهذه القوة الخامسة ترى الحكمة في تجنب طريق الهلكة، واتخاذ طريق الحياد لأنه أضمن؛ وهو (خيار عاقل) وهو من النتائج الآنية بغض النظر عمّا يتمخض عنه المستقبل من نتائج على المباديء .

أما اختيار أحد الطريقين، طريق الحكم، أو طريق الفكر (طريق الرفض والثورة) فهو أمر صعب، لأن كلاً منهما يحمل جانباً من عدم الدقة والصواب .

لقد أشار المولى الكريم في قرآنه المجيد الى هذه الفئة أيضاً وسماهم المذبذبين، الذين لا موقف لهم «مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاءِ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً» [1] .

وغالب الأحيان فإن عامل اليأس يكون العامل المسيطر على عقليات هــذه المجموعة، لعدم توفر الظروف المناسبة لتفهم حركة المجتمع وحركة الفكر، والحقيقة ان القرآن الكريم قد عالج بصورة دقيقة وحاذقة هذه المسيرة للبشــر، واعــطى مفاهيم عملية تسلكها الأمة، لتتجنب الضياع وعدم تقدير الطريق القويم للوصول الى تحقيق اهداف الرسالة الإسلامية .

وقــد ذهب القرآن الكريم الى أبعد من ذلك حينما قدم لنا نموذجاً حياً لهذه القوى على شكل قصة رائعة، فقال عز من قائل:

---

١ ــ سورة النساء / الآية ١٤٣.

﴿ وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ماذكرّوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ الأعراف ١٦٣ ــ ١٦٥، والآيات القرآنية حينما تشير الى القوة الخامسة، وهي المجموعة اليائسة، مع انها مؤمنة، وتعلم ان اصطياد الحيتان محرم في يوم السبت، وانها في نفسَ الوقت تعلم ان الفئة الضالة هالكة عاجلاً أم آجلاً، ثم انها لا تمارس ذلك المحرم لكنها يائسة، وذلك ما جاء على لسانها ومخاطبتها للفئة المؤمنة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تجاه القوة الضخمة الكبيرة الغوغائية، قائلة ان لا جدوى ولا طائل من النصح والموعظة، ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾.

ان الله سبحانه لهم بالمرصاد فما عليكم إلاّ الركون .. ولنرى ماذا كانت النتيجة امام هذه القوى المتصارعة .. ﴿انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾، اي ان القوة الناجية؛ هي القوة الرابعة وتتبعها الثالثة أيضاً (أي قوة المعارضة الفكرية) ، بينما كان مصير القوة الغوغائية والمتسلطة (قوة الحكومة الظالمة)، وايضاً القوة المستكينة (الخانعة للذل الراضية به) في العذاب البئيس.

من ذلك نستنتج ان الصراع بين الحق والباطل لا يقبل المهادنة والوسطية و الحياد (لكم دينكم ولي دين) فليس هناك منطقة وسطى تحتل الفراغ بين الحق والباطل، انه طريق حاد ورفيع لا يمكن ان يصنف عليه أي فئة أو مجموعة، ومن يحاول ان يخلق تلك المنطقة فإنه يؤخذ بالعذاب البئيس ايضاً كما تؤخذ فئة الباطل وبنفس الدرجة من قبل الباري عز وجل .

٢ ــ القوى الإجتماعية وصراع الإرادات .

مــن الواضح ان القوى المتصارعة على الساحة غالباً ما تفكر وتخطط لكسب الفئة الثانية فئة الغوغاء ــ بتالدرجة الأولى والفئة الأخيرة ــ المحايدة ــ بالدرجــة الثانية، ثم يبدأ قطبا الصراع، القوة الحاكمة (الطاغية) والقوة المتمردة (المؤمنة) تساوم هذه الطبقات بالترغيب أحياناً والترهيب أخرى.

لقد وجدت القوى المعادية للخط الإسلامي ان هناك ثغرات كثيرة في الوضع الذي يعيشه المسلمون الامر الذي من خلاله يمكن التسلل الى صدوفهم واستثمار تلك الثغرات لضم الفئة الغوغائية والفئة المحايدة الى صفوفها بطرق مخطط لها بدقة، وكانت أولى تلك الخطط هي التخلي بصورة مرحلية عن اسلوب المواجهة الماديه بين القوة الإسلامية والقوة الظالمة «الإستكبارية» التي ستتخذ لها موقفاً وكياناً سياسياً مقابل المد الإسلامي.

لقد استفادت القوى الحاضرة المعادية للخط الإسلامي من تجربتها السابقة في صراعها مع الإسلام، فبدلت إستراتيجيتها لتحول ذلك الصراع الى صراع داخلي بين الجماعات الإسلامية من خلال التغلغل بين صفوف المسلمين وتجزئتهم وتمزيقهم الى فرق وجماعات تتنافر فيما بينها؛ ومن خلال زرع الكيانات الأجيرة، لتستأثر هي بالسلطة والقيادة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

لقد إتفقت كل القوى المعادية للإسلام، سواء كانت قديمة أو حديثة، إتفقت على؛ إن الخلف السياسي والإجتماعي هو المزرعة الخصبة التي يحققون بها أغراضهم، وإن المسلمين لا يمكن لهم التحرر والنهوض إذا كان هذا الجانب مفقوداً في حياتهم وأفكارهم؛ لأن جوهر الإسلام ان تكون الأمة واحدة غير مجزأة، وإن الإسلام كل لا يتجزأ (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) ، وعلى المسلمين أن يطبقوه كاملاً، إن أي ميل الى فصل الدين عن السياسة، أو إعطاء أحد الجوانب أهمية أكثر من غيره سيخلق قلقاً وثغرات

مؤلمة، تحطم كيان الامة على فترات طويلة من الزمن ﴿افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ [1]، وقد خطت القوى الكافرة خطواتها الأولى في طريق حجب الامة عن الذهاب بعيداً في الفكر الإسلامي الأصيل؛ بأن دعت الى التوسع الكمي على حساب الكيف؛ في خلق طبقات اجتماعية تعرف الإسلام بصورة سطحية ضعيفة تكون مهيأة لبث الكثير من الأفكار المسمومة واللاواقعية في عقولها، وهكذا فإن الامة لا يمكن لها أن تتطور أو تنمو عمودياً على نطاق الفكر أكثر من نموها أفقياً، فالأفق لا يمثل إلا سطحية المنطق، بينما التصديق يمثله عمود الفكر الذي يضغط على جوانب الحياة وتشعباتها بصورة متساوية، ويتناولها بدون تفريق وبذلك كان النمو الأفقي هو الدعوى التي يتشدق بها ذلك الرعيل لإعلان ولائه أولاً أمام الناس، وعدم إثارة الشبهة والتكهن حولهم، إضافة الى الخطر البعيد لهذا النوع من النمو في الفكر الإسلامي، والذي سيكون وسطاً مناسباً لتسرب الأفكار المسمومة الى الأمة والمجتمع فيهبط فيها عامل الإلتزام الفكري الذي يميز قوة الإسلام وضراوته مقارنة بالأفكار الأخرى.

إذن فالأسلوب العملي في النيل من الإسلام أو اي فكرة ــ كما أعتقد ــ هــو خلق فجوات في تفكير معتنقي تلك الفكرة ووضع الفراغات الفكرية في مسير الإنسان، وهذا طبعاً يتحقق عموماً اذا غابت القيادة الواعية عن الساحة واســتلم دفــة الحكــم شخصــيات ــ لنقل إنها إسلامية ــ ولكنها ليست في المســتوي الذي يؤهلها لتحتل مركز القيادة في الأمة الفكرية، وتراقب تغير الفكر وتشخيص الداء، وتضع الدواء، فالقيادة هي عموماً هي الثقل الأكبر في

---

١ ــ البقرة: ٨٥.

كـــل تجمع، فثقل المسيرة من ثقل القيادة، فكيف اذا انصهرت الفكرة والقيادة في بوتقة واحدة وتفاعلت معها الأمـــــة .. ؟ طبعاً ستكون المعجزة ..

لقد مرت الجماهير الإسلامية بتجارب كثيرة مع العناصر المنافقة، والتي كان ديدنها ولا يزال الطعن بالإسلام لكنها لا تحاول أن تبرز بصورتها الواضحة على مسرح الأحداث، بل دائماً تحاول البقاء وراء الكواليس، وتضع رموزاً لها، وأياد تنفذ ما يملى عليها ..

وقد وجدت هذه العناصر إن هذا الأسلوب سيحقق عدة أغراض وأهداف أهمها؛ هو إمتصاص غضب الجماهير الناشيء عن طريق التعامل بالوجه المكشوف على الساحة إذ أن الوجه المخفي يستطيع أن يستعيد الدور بوجه آخر، وهو في منأى عن غضب الناس .. وهكذا نجد إن القوة المنافية للإسلام دخلت في مرحلة من مراحل الصراع الأكثر دقة وتخطيطاً، وأبعد أثراً وتأثيراً في إنحراف الأمة الى وجهات بعيدة عن الخط الإسلامي العملي الذي يرفض الدخائل مهما كانت صغيرة، كما يرفض الجسم الحامل للمكروب مهما كان حجمه ضئيلاً لكن هؤلاء استخدموا الاساليب العملية الرامية الى خلق الفجوات في مستوى الفكر والتطبيق، وحاولوا ــ بل نجحوا ــ الى حد ما في إزالة قابلية الرفض المناعية القوية التي يملكها الفكر وتملكها الأمة، عن طريق حقنها بسموم ذات جرعات مختلفة وفترات متفاوتة تخلق في الأمة حالة « نزع الغضب الإيماني» «والتحسس المبدئي» لما يصيب المجتمع من إنحرافات عن خطه . وقد تكون الخطوة التي تلي ذلك هي نقل الأحداث الى مرحلة التحمل (للدخائل) أو (المحرمات) ففي الحالة الأولى؛ حالة وجود المناعة، نجد أن أبسط المحرمات قد تخلق في جسم الامة حركة ضخمة ورفض عام، تتعاون به كل الطبقات الإجتماعية، وتنتفض بشكل هادر لتحيل ذلك الدخيل الى لا شيء، كما إنتفضت الأمة ضد الخليفة الثالث، وذلك بشكل عفوي وجماهيري، ولكن ما أن تتروض الأمة على تقبل

أبسط المحرمات أو الإنحراف عن الدين، فإن هذه الدقائق ستخلق في ذلك الجسم « ضمور مناعي » بسيط لايلبث أن يكبر حتى تكون الكبائر صغائر.

وهــذه الحالة في واقع الأمر تكون مرحلة إنذار بخطر قادم إذا لم تعالج الامة معالجة دقيقة من قبل أيادي حاذقة تملك مبضعاً خبيراً .

وهنا نأتي ثانية الى النقطة المهمة في توفر عنصر الرجال القياديين؛ أو مــن أســميناهم بــ « القوة الثائرة أو المتمردة »، وأهميتهم في قيادة الأمة، الأخذ بيدها الى جانب الإنقاذ، والتمرد على الباطل .

أما المرحلة الثالثة؛ التي تأتي بعد مرحلة « التحمل »:ــ

فهــي مرحلة التعايش مع الباطل، أو مع الجرثومة، وكأنها ليست جسماً غريباً على الأمة، وإن وجودها على مسرح الحياة مع الحق والفكر لا يخلق أي حــركة في الأمة، وليس ثمة إستجابة حركية أو فكرية وإذا لم يعالج هذا الــداء فإن المرحلة الخطيرة من الخنوع والضعف ستسيطر على الأمة وذلك حينما تنتقل الى مرحلة أكثر خطورة وأكثر بعداً في عالم الصراع بين الحق والــباطل، وهــنا إذا ادارت الامــة مقاييسها وأسسها عكسياً، « حينما ترى المنكر معروفاً، والمعروف منكراً »، وهنا يقرأ على الأمة السلام، فيصرف الله سبحانه وتعالى وجهه عنها، ويتركها تتخبط في حمأة مستنقعها حتى تهلك نفسها بنفسها، وتفنى غير مؤسوف عليها يقول تعالى ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كــانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ النحل: ١١٢.

ويمكــن لــنا أن نواكــب هذه المراحل الأربعة من فترة إنحطاط الأمة الإســلامية، مــن خلال حديث الرسول (ص): « **كيف بكم اذا تركتم الأمر بالمعــروف والــنهي عــن المــنكر ..، قالوا: أو يكون ذلك يارسول الله؟**

قـال (ص): ــ كيـف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا:ــ أو يكون ذلك يارسول الله؟ .

والقرآن الكريم نراه قد أغنانا في هذا الموضوع بما فيه الكفاية وذكر لنا قصصـاً للأمـم الـتي وصلت الى المرحلة الرابعة ــ مرحلة رؤية المنكر معروفاً والمعروف منكراً ــ وكيف إن الله سبحانه وتعالى صب عليها عذابه فتركها كأنها أعجاز نخل خاوية، كأصحاب نوح ولوط وصالح وثمود. يقول تعـالى: ﴿وقـوم نوح لما كذّبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا لـلظالمين عذاباً أليما﴾ الفرقان/٣٧ وقال سبحانه عن ثمود ﴿.. فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها. ولايخاف عقباها﴾ الشمس/١٤/١٥ .

فالإنحراف الكبير بالأمة والذي ينتج غالباً استجابه لغلبة القوة الخارجية مـن الصـراع بين الحق والباطل حين تخرج منتصرة، يبدأ بالصغائر غير المرئية والتي يستهين بها الإنسان المسلم، ويتصور إنها لا يمكن ان ترفع من مستوى إنحرافه الشيء الكبير، ولكنها في واقع الأمر لها فعالية أكبرمن ذلك بكـثير، ومن هنا بدأ أعداء الإسلام يطرحون صغائر الأمور بين الأمة على شـكل نقاط عملية، يخلطها أحياناً، ويغلفها غالباً بالقشور البراقة الإسلامية، فـتظهر للأمة على إنها من الإسلام، وإنها وإن إنحرفت عن الخط الإسلامي بدرجـة ضئيلة جداً فإنها لا تخرج عن الخط العام والإطار الدقيق للإسلام، وإن هـذا الـتحويل الذي طرأ عليها ما هو إلا مماشاة للواقع تتطلبه ظروف المرحلة الحالية التي يمر بها الإسلام ...

وهكـذا تدخـل الصغائر الى حياة الأمة وتخلف محلها كبائر ثم كبائر، وهكـذا الحال الى أن ينحرف جسم الأمة عن الخط الإسلامي الأصيل ويحل فيها العذاب الأليم في الدنيا .

والأســـلوب الآخـــر لأعداء الإسلام في النيل منه وتأخير مسيرته وبسط نفوذهم على المجتمع الإسلامي هو؛ اعطاء يد التنفيذ بيد المسلمين أنفسهم من الذين دخلوا الإسلام ويحسبون على الأمة الإسلامية؛ لأن هذا الأسلوب سوف لن يخلق أي حساسية أو رفض لما يطرح، بعكس اذا كان الطرح من جهات غيـــر اسلامية، فإن عامل الرفض الكبير سيكون من نصيبه وستكون النتيجة عكسية حيث يلتف المسلمون حول قيادتهم وينادون (وا إسلاماه) لقد استخدم الطغاة هذا الإسلوب بعد أن طووا مراحل الصراع الأولى مع القوى الإيمانية الرافضـــة لمخططاتهم فصار الجسد الإسلامي هزيلاً مريضاً ضعيف المناعة لا يمكـــنه رفـــض الأفكار والآراء الغريبة الوافدة عليه من الشرق والغرب، وهكـــذا وبعـــد ادراك هـــذه الحقيقة من قبل القوى الإستعمارية الكافرة فإنها فكرت بالذهاب الى نقطة جوهرة هامة في التحكم بمقدرات البلدان الإسلامية؛ ما دامت الأفكار الإلحادية لا تنموا ولا تترعرع فيها اذا جاءت بشكل مباشر فأنشـــأت تجمعـــات وأفكـــاراً تتبنى الخط الإلحادي جوهراً، ولكنها ظاهرية الإيمان، تعترف بوجود (الله) وتؤمن بأن هناك دين يسمى الإسلام؛ ولكنها تقـــول انـــه جاء لمرحلة زمنية معينة وعلينا ان نستفيد منه بتلك الحدود فهو تـــراث ضـــخم، وأصالة وعطاء، وانه رائع على مستوى المسجد ومستوى الكـــتب الصفراء، وقد نرى ذلك واضحاً في فكر البعث وأقواله التي جاء بها (ميشـــيل عفلق) الرجل اليهودي الأم، والمسيحي الأب، والذي طرحه الغرب مســـبقاً كـــرجل يـــنادي بالأفكـــار الشيوعية واليسارية لتأثير تلك النبرة في مجتمعاتنا، كأفكار تتقبلها العقلية العربية ببساطة، ولكنهم ما لبثوا ان ووجهوا بانتفاض الفكر الإسلامي في نداء العاطفة المتغلغلة في أعماق نفسه، نعم لقد رأى تـــلك الأفكـــار تتعارض مع فطرته فرفضها بقوة واستبشعها، وهنا فكر الأســـياد ان يخلقوا مـــــن (ميشيل عفلق) رجلاً يطرح فكرة أخرى وبقالب

آخـر، تعطـي نفس الفكرة الإلحادية، و لكن بصورة لا تتعارض مع فطرة الإنسان المسلم .

لقد ترك هذا الصراع بين قوى الحكم والمستعمرين من جهة وبين قوى الإيمـان من جهة اخرى ، ثقلاً كبيراً ناء بحمله الدعاة والمصلحون، فقدموا دماءهم رخيصة على مذبح الحرية لا زالته .. لقد استخدم المستعمر اساليب كثيرة جداً في خلق تلك التركة سنتناولها ببعض التفصيل.

التركة الثقيلة

أولاً: ــ إسلام بلا سياسة.

ثانياً: ــ سلب الإرادة.

ثالثاً: ــ عزل الأمة عن القيادة.

رابعاً: ــ زرع الكيانات الغريبة.

المد الأحمر.

البعث بديل عن الشيوعية.

التركة الثقيلة: ـــ

ان ســـنة الصراع تقتضي من الغالب ان يحاول ايصال عدوه الى حالة اليـــأس (أو فقدان المناعة) كما قلنا سابقاً؛ لتقبل آراء الطرف المقابل وافكاره كأمـــر واقـــع لا بد من الخضوع له والإستسلام لقوته، ثم ان هذه الحالة إن تحققـــت، فان الغالب سوف لن يكتفي بها، بل انه سيتحول حتماً الى الحالة الـــتالية؛ وهي التي اشرنا لها بالحالة الثالثة ـــ حالة أن يرى المغلوب الخطأ صـــواباً والصواب خطأ ـــ أي مرحلة ذوبان الأمة حتى تصبح ثلة من أبناء الأمة ادواته وطوع أمره، ويده التي يبطش بها وقوته التي يضرب بها؛ تلك المرحـــلة الـــتي عـــبر عنها رسول الله (ص) « اذا رأيتم المعروف منكراً والمـــنكر معـــروفاً » أو كما عبر عنها القرآن الكريم بـــ (ذهاب الريح) في الآية الكريمة ﴿ولا تنازعو فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الأنـــــفال / ٢٦.

ان حالـــة التغليب والتركيع التي مارسها العدو المستكبر ضد ابناء امتنا الإسلامية اتخذت شتى أنواع الأساليب والخطوات ، الى أن خارت قوى الأمة وفقـــدت (قـــوة المـــناعة) وتقبـــلت الجسم الغريب، وذهب الكثير من ابنائها ليصيروا جنوداً أوفياء لأسيادهم، يحاربون وبكل شراسة وقسوة ابناء جلدتهم واســـلامهم وقيمهـــم، وينافحون بشدة عن أهداف ومباديء ونظريات القوى الأجنـــبية، وراحـــوا ينعتون الإسلام والتاريخ الإسلامي بشتى نعوت التخلف والـــرجعية، وخـــلق تـــركة ثقيلة ترزح تحت ثقلها الأمة ويجهد المخلصون الواعون من علماء الأمة وابنائها بشدة كي يخلصوا الأمة منها ..

إن الأســـاليب التي استخدمها الكافر لإركاع الأمة والهيمنة عليها كثيرة، نوجز بعضها : ـــ

أولاً:ـــ الإسلام بلا سياسة:

القوى الكبرى تريد إسلاماً يرى أن المساجد محله المناسب والملائم، وإن الدين والسياسة نقيضان لايمكن ان يجتمعا في يوم من الأيام، ومن يحاول ان يجمع فيما بينهما فإنه يحاول تهديم الدين بـــأساليبه الخبيثة، كما يدعون، وان أدخـــال الدين في السياسية انتقاص من هيبة الدين وقدسيته، وهذه (الفبركة) هى أعـــلى درجـــات التخطيط لمستقبل الشعوب الإسلامية لإجهاضها وإماتة روح الدين والفكر في نفوسها .

وفعـــلاً فقـــد راحت أبواق الإستعمار، من ابناء الأمة الممسوخين الذين ساروا في ركاب الإستعمار والحكام الظلمة، و المتمردين على قيمها ومبادئها يرددون تلك المقالة في عزل الدين عن السياسة، وراحوا يقارنون بما جرى فـــي الكنيســـة الأوربية ومحاربتها للعلم، وانتهاكها للحريات ووقوفها بوجه الـــتقدم، ليطبقوا تلك الفكرة على الدين الإسلامي الحنيف، حتى صار حديث عـــلماء المســـلمين عـــن السياســـة أمر مستهجن لا يليق بمقام رجال الدين، فالسياســـة أمر خداع وكذب وتلون ودجل، وأين رجل الدين من هذا كله؟! ثم إن الإسلام لم يعش «كما عاش اسيادهم» تجربة الحكم والسلطة والدولة، ولم يكـــن هـــناك تجـــربة في هذا المضمار في زمن الدولة الإسلامية إلا تجربة بســـيطة ســـاذجة لا يمكـــن تطـــبيقها على وضعنا الحالي زمن التكنولوجيا و القفـــزات العلمية، والأدهى ان الإستكبار جند الأدعياء من « رجال الدين » ليـــنظّروا لهذه الفكرة والعمل على ترسيخها في أذهان ابناء الأمة، وتطبيقها عـــلى حيـــاتهم اليوميـــة، مستخدمين القرآن الكريم وسيلة لتمرير تلك اللعبة بتفســـير آياتـــه بالشكل الخاطيء، ففسروا آية ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرســـول وأولي الأمـــر منكم﴾ ٥٩ النساء، على إن أي شخص جعل نفسه حاكمـــاً على المسلمين فهو من أولي الأمر وان كان ظالماً أو كان غارقاً في

الفســق والموبقات، وراحو يسبّحون للحكام الظلمة والطواغيت آمرين الناس بالإستكانة والخضوع والذل لأن الله أمر بالصبر ؟! فذاك قضاء وقدر، وتلك ارادة الله ولا يمكــن الفــرار مــن قضاء الله وقدره « فمن إتخذه الله شرطياً فاتخذه شرطياً »[١] ؛ لقد نسى هؤلاء ان أولى الواجبات التي فرضها الله على المســلمين رفــض الظــلم والوقوف بوجه الظالم[٢] وإلا فالهجرة؛ ثم تناسوا الــتجربة العظيمة التي خاضها الإسلام في عهد رسول الله (ص) وعهد أمير المؤمــنين علي (عليه السلام) في احقاق الحق وبسط العدالة وقيمها ومبادئها وبأنصــع صــورتها، أن الاسلام يرفض السياسة القائمة على الظلم والكذب والخداع والغش والنفاق و يؤكد سياسته القائمة على العدالة والمساواة والحق والحريــة واحترام النفس الانسانية.

ان من الظلم غمص حق الكبار من المصلحين المضحين من علماء الأمة وقادتهــا الذيــن حاولوا بكل شجاعة الوقوف بوجه الإلعوبة، لكن التيار كان أقوى، والباطل قد اتخذ بتلابيب الأمور باستخدامه كل الأساليب الشيطانية .. فرفع الشيوعيون وغيرهم من العلمانيين شعار (الدين لله والوطن للجميع).

---

١ ــ اول من سن هذه الافكار معاوية بن ابي سفيان الذي قال بالجبرية وكان يستشهد بقوله تعالى (يؤت الملك من يشاء) فان الراد عليه راد على الله والخارج علية خارج عن الدين وقد طبق هذه النظرية ولده يزيد عندما وصف الحسين(ع) بانه خرج على امام زمانه ، ومما يؤسف له ان بعض الكُتاب والمؤلفين ممن يحسبون على الاسلام والمسلمين ردد هذه المقولة السخيفة.

٢ ــ لما نهض الامام الحسين(ع) ضد الظالمين خطب قائلاً: ايها الناس ، ان رسول الله (ص) قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً اسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله ان يدخلة مدخله.(حياة الامام الحسين) للقرشي ج٢ ص٢٧١.

ثانياً: الإزدواجية الشخصية أو سلب الإرادة:

لقد مارس الحكام الظلمة؛ وعلى مدى التاريخ؛ اسلوباً ثبت (على ما يبدولهم جديته) في التأثير على المجتمع واذلاله واركاعه .. فممارسة القهر والظلم والإستبداد وكل انواع الترغيب والترهيب تفقد المجتمع ارادته، فتصبح حركته طبق هوى الحاكم، لا طبق هواه ورغبته وتفكيره هو، فالتاريخ الأموي وما بعده خير دليل وشاهد على ذلك، فالأمة تقتل من تحب وهي تبكي (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، تصلي وتمارس اشد الموبقات، تقبل يد الجريمة وتقطع اليد الحانية الرحيمة، فهي تعيش حالة نفاقية وازدواجية مفرطة . تجد الشخص يحمل في نفسه عدة اشخاص، يتصرف بشخصية ويؤمن بشخصية ويفكر بشخصية ويحب بشخصية، ويكره بشخصية .. الأمر الذي نبه عليه القرآن الكريم كثيراً ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**﴾ المجادلة /٢٢، وكذا نبه لخطورته أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) فعن الصادق (ع) : لا يمحض رجل الايمان بالله حتى يكون الله احب اليه من نفسه وابيه وامه وولده واهله وماله ومن الناس كلهم.*

لقد استخدم الإستعمار الحديث واتباعه هذا السلاح الفتاك في قتل الأمة وكسبح جماح حركتها وتفكيرها،.. ولقد عانى الشعب العراقي من هذه الحالة أشد مما عاناها أي شعب آخر بكثير الى درجة جعلته يصاب بالشلل الفكري والعضوي، فلا طاقة له على التحرك بعد فقدان طاقته في التفكير والتركيز .. واليأس يأكله والضعف ينهشه، وأحلام اليقظة تطربه، والإنفعالات تضحكه، وما موجود عنده يقنعه، مجتمع يحمل المتناقضات في أوج

---

* بحار الانوار ج٧٠ ص ٢٤.

ملابســـاتها، فهـــو في نفس الوقت الذي يحمل اصالة في الكرامة والعزة فإنه يحمـــل روح الإستســـلام والقبول بالأمر الواقع، ثم إنه حينما يعيش مرحلة تفكيـــر واســـتنتاج، فإنه عاطفي يُتلاعب به وبانفعالاته بكلمات بسيطة لكنها معسولة .. مجتمع لا يمكن أن يفهمه إلا من عاش فيه وتقصى طبيعته، وليس فقـــط مـــن عاش فيه بدون بحث وتقصي، لأنه مغلف غاية التغليف، قشوره ومظاهره في صورة، وباطنه في صورة ثانية مختلفة تماماً عما في الخارج، فقـــد يكون الخير هو الصفة الخارجية، والباطل والشر صفة داخلية . ثم قد يحدث العكس والذي غالباً ما لايمكن توفره في المجتمعات الأخرى، فإنك قد تجد ان الخارج هو الشر والحقد، بينما الباطن الداخل هو كل الخير والعطف وحب الناس.

ان عمـــلية ســـلب ارادة الأمة وتضعيفها لغرض اركاعها وارغام أنفها والـــتي مارســـها الحكام الظلمة من أجل السيطرة عليها، وجعلها تعيش بظل بطشـــه وطـــوع ارادته، ثم تتحول الى أداة يستخدمها لتنفيذ رغباته ونزواته فـــتكون يده التي يبطش بها حتى يتعدى الأمر أكثر من هذا الحد، فتقدم على كل عمل لا تؤمن به متنصلة عن مبادئها وقيمها فتسحق كل القيم والمباديء التي تربت عليها.

ولكـــن الأمة الأصيلة ذات المباديء السامية تعود فتنتفض على واقعها، وتتمرد على من أذلها حينما يقيض الله لها قادة يأخذون بيدها نحو جادة الحق والصواب.

ان المتصفح لتاريخنا القديم، وحتى واقعنا الحالي يلحظ صوراً لا تعد ولا تحصى تكشف عن روح الإستلاب والنفاقية التي تعيشها الأمة المغلوبة، ومن هذه الصور : ــ

الصورة الأولى: ــ حادثة يعرفها الجميع تمثل أظهر مثال على ما قلنا؛ وتكشف عن الوضع الذي عاشه الإنسان المسلم في العراق في عهد بني أمية حيث مارس معه الأمويون أشد اساليب التنكيل والإرهاب والمحاربة في الرزق وتمزيق الصفوف، لأجل تشويه صورة المجتمع وحرفه عن مبادئه وقيمه وأصالته، فصار ذلك الجمع المغلوب على أمره يتحرك بارادة مسلوبة تحت وقع السياط وقطع الأعناق والأرزاق، حتى عاد يتحرك كالدمية بل يتحرك نحو الشيء الذي يمقته أشد المقت، ويرتكب اشد الفضائع.

لقد خرج العراقيون ملبين دعوة الظالم خوفاً من سطوته أوطمعاً فيما في يده فاندفعوا اندفاع المغلوب ليقاتلوا ابن إمامهم وخليفتهم بالأمس فتجمهروا ضد الإمام الحسين (ع) وهم يعلمون ان هذا الرجل الذي أمامهم أفضل الرجال على الأرض، علماً، وعملاً، وتقوى، وقرباً الى الله سبحانه عز وجل، وهو لا يوازيه أي مخلوق فيما بينهم فقد عاشوه وعرفوه وتأكدوا منه وقالوا له « نعم أنت أشرف موجود على الأرض، عرفوا أن رسول الله (ص) قال فيه « حسين مني وأنا من حسين » أحب الله من أحب حسينا [١].

وسمعوه (ص) يذكره أمامهم ويقول فيه « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » [٢].

كلهم شاهدوا قربه من نبيهم الذي اتبعوه، وشاهدوا تفاني رسول الله (ص) في مجتمعه فكان الحسن والحسين يلعبان وهما صغيران فيدخلان المسجد والرسول (ص) يصلي فيصعدان على ظهره وهو ساجد فيطيل السجود .. ويطيله، ويضجر الناس ثم يسألوه .. لماذا يارسول الله أطلت السجود الى هذه الدرجة ؟ فيقول: إن إبنيّ كانا يلعبان على ظهري ولا أحب

---

١ ــ كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٢١٨.

٢ ــ المناقب لإبن شهر آشوب ج ٤ ص ٧٨ ،اعلام الورى باعلام الهدى ــ الطبري ص ٤٠٧ ج١

أن أقــوم من السجود فأزعجهما بل تركت لهما العنان في أي وقت يضجران فينزلان لأقوم من السجــود [١] .

والمســلمون يســمعون وينظرون بأم أعينهم هذا المشهد الأبوي الحافل بالحب والحنان.

وقــف أمامهم يوم خرجوا كي يقتلوه، وهو يقول لهم : « **ألا تعلمون ان هــذه عمامــة رسول الله على رأسي ؟ فقالوا: يشهد الله انه نعم، قال لهم اشهدكم الله الم تعلموا ان هذا فرس رسول الله (ص) ؟**

قالوا: بلا والله نشهد على ذلك .

قال: أناشدكم الله الا تعلمون ان هذا السيف هو سيف رســول الله .. ؟

قالوا: شهدنا على ذلك .

قال: اشهدكم الله هل هناك ابن بنت نبي على هذه الأرض غيري ؟

قالوا: اللهم كلا .

قال لهم: هل تطلبوني بقتل قتلته منكم ؟

قالوا: لا ..

قال لهم: هل تفضلون أمراءكم عليّ وأنا إبن نبيكم ؟

قالوا: لا والله أبداً .

قال لهم: لو سألكم سائل من أفضل مخلوق على هذه الأرض ؟

قالوا له: ما تعديناك وما قلنا غيرك .

قــالوا له: ما نفقه كثيراً ما تقول..، فأما أن تستسلم لإبن زياد يرى فيك رأيه أو نقاتلك ادناه قطف الرؤوس وقطع الأيدي والأرجل .

١ــ سيرة الأئمة الإثنى عشر ــ هاشم معروف الحسيني ــ القسم الثاني ص ٦٩ ــ دار المعارف ــ بيروت ــ لبنان .

قابلـــوه بأوجـــهٍ وقلـــوبٍ شأنها الغدر، ملؤها البغضاءُ

جمعوا رأيهم الى الحرب لما لعبت في عقولهـــم صهبـــاءُ*

بهذه الإزدواجية الغريبة في عالم الإنسان، سار ذلك المجتمع على رقعة مـــن الأرض في تناقض داخلي لا مثيل له في كل البلدان ولا أحد يعلم كيف ولمـــاذا حدث ذلك ؟ ! وهل إنه مجرد حدث طاريء ؟! أم إنه أصيل موجود في ذات الإنسان ولكنه يبرز عند توفر الظروف المناسبة لذلك ؟ ان التجارب أثبـــتت أصـــالة هوية الأمة، فهي سرعان ما تعود الى جادة الحق والصواب بكل قوة حينما تكون هناك قيادة حكيمة واعية تعيد الأمة الى صوابها

الصورة الثانية :ـــ

فـــي ســـجن « رقـــم واحد » العسكري، في حوادث إنتفاضة صفر عام ١٩٧٧، حيـــنما إعـــتقل ١١ الف شخص وأودعوا في ذلك السجن الرهيب، والـــذي كان صدام يشرف مباشرة على عمليات التحقيق فيه، حيث استطاع قســـمٌ كبيرٌ من المعتقلين مشاهدته عندما تسقط قطعة القماش التي تربط بها العيـــنان اثناء التعذيب، كان نفسه يمارس العملية ويتلذذ بها، كان يرى سياط الجلاديـــن وآهات المعذبين والدماء تسيل من كل الجهات فيتلذذ ويشعر بفخر كـــبير وانتصـــار مـــن موقع (الإقتدار)، كان ينتشي وهو يسمع ازيز آلات التعذيب الكهربائية توضع على الأعضاء الجنسية للمعتقلين فيصيب لسان كل منهم ما يشبه الشلل المؤقت فيرددون كلمة واحدة أو حرفين ما ما ماما ماماما ... حيـــنما يـــريد أن يقول « لا أعرف » وهناك ـــ كما حدثني أحد الأخوة الذيـــن كـــانوا ضـــمن هؤلاء الذين تم إعتقالهم ـــ وهو استاذ جامعي ـــ من ينطبق عليهم ازدواجية الشخصية حتى في داخل زنزانات البعث الرهيبة، كنا

---

* الابيات لعبد الكريم العلاف/ أدب الطف للسيد جواد شبر/ ج١٠ ص ٢٥٠

نلاحظ الجلادين يتباكون والدموع تسيل منهم ولكنهم يضربون المؤمنين بكل مـــا أوتـــوا مـــن قـــوة في نفس الوقت، حتى جاء أحدهم الى أخ من الذين استشهدوا « الشهيد يوسف الأسدي » وهو يكلمه أمام الناس، وبحضور مئات مـــن الأشخاص في تلك القاعة الكبيرة فقال له .. ــ إنظر، إنظر، ماذا أعمل ؟! هـــذا واحد من الذين دفع له المال للإعتراف عليك « وكان يشير بيده الى أحـــد الأشـــخاص » ، مـــاذا أعمل ؟! ثم إنهال على ذلك المرتزق بالضرب واللكمات، ثم هجم على الشهيد بنفس القوة من الشراسة والذئبية ينهش لحمه (بالصـــوندة) والدماء تتطاير من كل ضربة تقع عليه، تقابلها دمعات الملازم المجرم تتطاير من عينيه المملوءة بالشرر، ولم يتركه إلا وهو نهر من الدماء التي تصب منه، وتملأ الأرض وما حولها ..

ولايخفى على كل عراقي مواقف الكثير من الشخصيات المحسوبة على حـــزب البعث الحاكم في العراق، التي كان لها دور كبير في تعذيب وتشريد العوائل وقتل الناس وإعدام الشباب، حينما أنقدح في باطن تفكيرهم نداء الحق و الإنصـــاف ولأنهم في واقعهم يحملون الإزدواجية فنمى في ذاتهم واعتمل فـــي نفوسهم، لأن لكل عامل من عاملي الإزدواجية « الخير والشر » وقته لكـــي يبرز ويقوى فيتلونون مع تلون نفسياتهم وإنغماسها في الباطل والقتل والإعدام والتعذيب، ولكنهم «عراقيون» أولاً وآخراً، وبذلك برز عامل الحق والعدل،لكـــن لابد أن تعود الأمة الى صوابها يوما ، وتبرز عندها قوة الخير الكامنة حينما يبرز من بين صفوفها قائد يتقدم الصفوف ويكسر حاجز الخوف ويقدم نفسه قرباناً على مذبح الخير والحق فتتبعه الجموع.

ثالثاً: عزل الأمة عن قيادتها الحقيقية في الحوزة العلمية في النجف:

أثبتت التجارب إن الأمة حتى وإن هزلت يوماً فهي أبداً لن تموت، فإذا قيض الله لها قيادة ميدانية تعي واقعها وتعيش ظروفها وتحيط بآمالها وتحاول أن تبلسم جراحها وآلامها فهي تهب وتقوم وتنتفض وتحقق المعجزات لأن ثمة عاطفة ولاء متغلغل في كوامن النفوس، وحب لأهل البيت لا ينضب معينه، يغلي تحت الرماد فإن جاء من يزيح عنه ذلك الرماد عاد وهاجاً متقداً خارقاً.

النجف حاضرة التشيع التي تتطلع اليها قلوب جميع الملهوفين والمتعطشين لولاية أمير المؤمنين عليه السلام فهي إن قامت قام معها جميع الأبناء؛ هبو هبة رجل واحد، والدليل الناصع «ثورة سنة ١٩٢٠» التي أثبتت للمستعمرين ان هناك قيادة ميدانية واعية شجاعة؛ تقارع الظالمين وتتقدم صفوف المقاتلين.

لذا بقيت النجف المدينة المستهدفة من قبل المستعمرين، فهي شعلة الثورة ووقود الإنتفاضة وهي المدينة التي تبني الثوريين، ليكونوا صناع المقاومة ضد الكافر، فالعراقي اذا اراد أن يتحرك سياسياً و إجتماعياً فالواجب يدعوه الى تبني خط العلماء في مدرسة النجف، وخاصة طبقة العمال والفلاحين والكسبة، وهي الطبقات المرتبطة بشكل كبير مع العلماء ويرونهم الأولى بالسمع والطاعة، ولذلك نجد ان المشاكل التي تحدث بين هذه الطبقات لا يمكن لأحد حلها الا العلماء فالمعارك الطاحنة التي تدور أحياناً بين بعض العشائر لا يمكن لأي قوة حكومية ان تقف أمامها أوإيقافها بينما يكون للعالم يد السحر في إيقاف اراقة الدماء بين المسلمين وبذلك حدّق الكافر في هذه المدينة ونتاجها فوجد فيها الخطر الكبير على وجوده وكيانه، لا لأن المدينة تقع في كذا بقعة أو كذا اتجاه؛ بل لأنها تضم شعلة العلم الذي يتخرج منه

الــثوار، وعليه ان يعمل لكي يمنع ذلك الإمداد الثوري الذي يتغذي به الناس ويقاومون اي نوع من انواع التسلط والعبودية إنه ظرف واقعي يفرض نفسه الآن عــلى الساحة، هناك قيادة، وهناك جماهير وهناك اذن واعية تستوعب القيــادة وتحوّل تعليماتها وتوجيهاتها الى منطق عملي يواجه ظروف تحرك الرسالة ... ان الكافر لا يمكن ان يستغفل نفسه كما هي الحالة في الكثير من المواقف ــ وان يقول :ــ ان الكلمة هي كلمة العقل وقوة المسيطر، وإن النار والرصاص والعتاد والعدد؛ هي فيصل المواجهة، وهي التي تقرر النتيجة ...

ولقد تعودنا من الإستعمار البريطاني إنه يحاول الظهور بمظهر الواقعية والعــلمية ويعيــد الــنظر فــي طريقة تعامله مع الحرمات ... وخصوصاً الإســلامية مــنها، بعكس بقية انواع الإستعمار الذي يستعمل قوته وإمكانيته الماديــة كعنصــر حاسم ينهض بها الصراع ويثبت الأمور، بينما الإستعمار الــبريطاني لا تهمه السنة والسنيين ... بل يهمه المستقبل وتهمه هيمنته على تلك الأرض ...

مــن هــذا المنطلق حدق الإستعمار في هذه المدينة ــ النجف ــ وأمعن النظر فيها ودرس أبعاد القوة التي تتمتع بها من جراء وجود القيادة الشعبية، وبدأ يدرس المجتمع كمجتمع عام ثم درس خصوصياته ... بعدها توجه الى طــبيعة وقوة الفكر الإسلامي وكيف استطاع العلماء أن يحوّلوا السطور الى ثــورة بكلمات بسيطة سهلة ... وهل ان ذلك نابع من قوة التأثير الشخصية للعــلماء ؟ أم إنه من طبيعة وخصوصية الفكر ؟ ... وهل ان العلماء يمثلون إمتداداً خاصاً ومعيناً للرسالة ؟ أم إنهم شخصيات اكتسبوا صفة القيادة شأنهم شــأن بقيــة القيادات في العالم العربي ؟ كثير من الأسئلة التي وضعها أمام ناظريه ليجد الأجوبة الشافية الحقيقية، ثم بعدها ينتقل الى الخطوة الثانية في معالجــة الأمور والسيطرة على الثورة، وبعد دراسة مستفيضة إشترك فيها

مخططوا السياسة وعلماء الإجتماع والدين وبقية الفئات التي يتعلق بها الامر، ليتمكنوا من أن يضعوا مخططهم الخاص بضرب الحوزة والقيادة والمرجعية وذلك عن طريق أسلوبين.

الأسلوب الأول: ــ افراغ المحتوى التطبيقي للمدرسة العلمية في النجف الأشرف (الحوزة العلمية).

الأسلوب الثاني : ــ اضعاف روح الصلة بين الأمة والعلماء ..

أما بالنسبة للأسلوب الأول؛ فقد حاول الكافر ان يجعل من تلك المؤسسة العلمية مدرسة أكاديمية، يتعلم بها الإنسان العلوم الدينية البحتة، التي تغني فكره وعقله، وتنور مداركه الفقهية، بالحلال والحرام والنجاسات والطهارات، وغيرها من الاحكام الشرعية ... فمحاولة كهذه ترمي الى تحويل خط المدرسة الفكرية التي تنتهج العلوم الإسلامية للترف الفكري فقط، كمدرسة الأزهر وبعض المدارس الإسلامية في العالم، وهذا النوع من التفكير في افراغ مدرسة النجف من الجانب التطبيقي هو من أخطر ما ووجهت به تلك المدرسة منذ نشأتها . حين تقوقعت المدرسة على طبقة معينة من الناس ورثوا العلم عن آبائهم وأجدادهم فصاروا طبقة مميزة عن المجتمع، وليست من المجتمع، لها حقوق ومميزات خاصة، كما تحتاج الى أجواء خاصة في التعامل مع الناس فصار الحاجز بين الأمة والعلماء حاجزاً كبيراً وواسعاً، وكلما توسعت الطبقتان فإن ذلك يساعد على خلق انفصال الأمة ويؤدي الى ابتعادها عن الإسم الذي وصفت به المنطقة الأولى ألا وهـــو « الدين » أو ما له علاقة بالدين، فمراسيم التعامل مع طبقة العلوم الدينية خاصة يوجب عن المجتمع أن يرعاها ويلتزم بها أكثر من التزاماتهم بالإسلام وتعاليمه ... وقد وقضعت مجموعة من التقاليد والمفاهيم الخاطئة والتي تؤدي الى حجز طبقة العلوم الدينية عن بقية شرائح المجتمع .. مثلاً؛ إن الناس هم الذين يحتاجون لهم ولا يتوجب ذهاب طبقة العلوم الدينية الى الناس(العالم كالبحر

يؤتى اليه ولا يأتي الى أحد .. العالم كالكعبة يحج اليه و.. و..)، فمثلوا وضعهم بالطبيب الذي تحتاجه الناس وتسعى لعيادته، والواقع، ان هذه النظرة الإستعلائية الغير واقعية، التي حاولت السلطات التي مرت على العراق أن تؤكدها بالاضافة الى (هوى النفس)(*) طلبة العلوم الدينية، قد أدت الى الكثير من الخسارات في موقع الإسلام، التي يجب أن يمتلكها، وقد ادت الى أن تتعزل الجماهير عن العلماء سياسياً وإجتماعياً؛ وبذلك فقدت الأمة معينها العلمي والشرعي وصارت طبقة العلوم الدينية تدرس العلم لأجل العلم لا لأجل التطبيق وقيادة الامة والسعي الى تحقيق كلمة الله في الأرض، بل السعي لأجل بناء الشخصية الإجتماعية التي يريدها؛ إضافة الى إثراء فكره بالعلم الأكاديمي النظري .

وهــنا لا يفوتــنا أن نذكر؛ إن انفصال المجتمع عن المدرسة العلمية أو طبقة العلماء لم يكن انفصالاً عضوياً، بل هو انفصال غير عضوي، بل هو إنفصـــال وقــتي، فرضــته يد الكافر المتسلط على رقاب الأمة، كما إن هذا الإنفصـــال لم يكن يعني بأي حال من الاحوال الإرتباط الشخصي أو التعلق

(*) المفروض بطلبة العلوم الدينية ان يكونوا احرص الناس على مجاهدة النفس فقد وردت روايات كثيرة في هذا الشان ، فعن رسول الله (ص) قال لابن مسعود: يا ابنا مسعود فلا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه، يقول الله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون) م: مكارم الاخلاق ص ٤٥٧ .وعن علي(ع): (زلة العالم تفسد العوالم) (زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتُغرق) م: غرر الحكم. وعنه (ع) : من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم. م: نهج البلاغة حكم ٧٣ .

.. ولا انسى كلام السيد الصدر في جامع الطوسي عندما تشرفت بالحضور تحت منبره فسمعته يخاطب (الطلبة) بقوله: اذا كان حب الدنيا خطيئة ، فهو منا نحن الطلبة من اكبر الخطايا.. واضاف (قدس): سوف نتحول الى قطاع طريق، ولكن اي طريق؟ الطريق الى الله ، لا طريق ما بين بلد وبلد، هذا الطريق الى الله ، نحن رواده ، نحن القائمون على الدلالة اليه.. فلو اننا اغلقنا هذا الطريق ، اذاً سوف نكون حاجباً عن الله، حاجباً عن اليوم الآخر.

بشخصـــية ما، بل إنه يعني الأنفصال بين الامة والفكر والذي تكون واسطته العـــلماء، لـــنقله من الجامع الى الشارع، والأبعد من ذلك ان شخصية العالم شخصية محترمة ومرموقة حتى لدى أدنى الطبقات الإجتماعية.

اذن فتحويل المدرسة التطبيقية العلمية الى مدرسة علمية أكاديمية قد خلق نوعـــاً مـــن الإنفصال الطبقي، والفارق العلمي الواسع بين فئتين من الناس، وأدى الى ضـــمور الدور الذي يمكن أن يلعبه العلم ورجاله المتخرجون من مدرسة النجـــف .

أمـــا الأســـلوب الثالث: ـــ الذي لعبه الكافر والمستعمر لضرب المدرسة الفكـــرية في النجف الأشرف فهو إضعاف روح الصلة بين الأمة والعلماء، وهو الأسلوب الأول في خطته، أو أن يكون الأول سبباً والثاني نتيجة، ولكن عمومـــاً فإن الامة ومجالسها تستشعر إن لتلك الطبقة مكانها الخاص وظرفها الخاص ومجالسها الخاصة، فإنها تستشعر العزلة تتسرب الى نفسياتها.

وقـــد زاد الإســـتعمار فـــي ذلك، بأن بدأ يشوه صورة العلماء في أعين الـــناس، فـــأخذ يتهم مجموعة ويزكي أخرى ثم يخلق مجموعة معينة تهادنه بينما يحاول أن يظهر معاداتها لدعوة الناس الى الإلتفاف حولها ...

ولقد لعب شاه إيران المقبور دوراً بارزاً وكبيراً في تلك العملية الخبيثة، وجمـــع من حكام المنطقة السائرين بركب الإستكبار، حيث إنهم أغدقوا على بعـــض الطبقات من هذا السلك الأموال الكثيرة فصاروا يعيشون في رفاهية من العيش بدون حساب لحالة الأمة والشعب، ثم إنهم اشاعوا أحاديث الترف الخياليـــة الـــتي يتمـــتع بها العلماء في معيشتهم، كشرائهم للسيارات الفارهة وغيـــره، وهـــم حينما يطلقون ذلك فإنهم يضعون كل طبقة العلماء تحت هذا التصـــنيف ولا يســـتثنون أحـــد منهم . وكيف إنهم يعيشون حاله من البذخ والراحة وأكل المطاعم الفاخرة، وما إلى ذلك من إشاعات، والتي ربما تكون

قــد تنطــبق على فئة صغيرة من رجال تلك الطبقة العلمية ولكنها لا تنطبق على غالبيتهم.

لكــن الامــة لم تفرق بين فلان وفلان ووضعت كل العلماء في مقياس واحــد؛ إنهــم أناس مترفون يلبسون أفخر الملابس ويأكلون أطيب المآكل، ويركبون أفخر السيارات والناس تعيش في فقر وحرمان .

ولقد كانت تلك الصورة ــ صورة الترف ــ التي حاول الكافر أن يطبل ويزمر لها عاملاً لجذب الكثير من الناس التي تستهويهم هذه الحياة ونعمها . فسلكوا هذا الطريق طمعاً في الدنيا ولذاتها وطبعاً بتشجيع من حامي الإسلام آنذاك الشاه المقبور وغيره من حكام الجور وأذناب المستعمرين .

ولقــد جــرى حــوار مــع أحدهم وطلب منه بطريقة مازحة أن ينزع «العمامة» لأن سلوكه لا يتناسب مع من يرتديها، ثم قيل له إن هذا الزي هو زي الرســول (ص) وأنت غير جدير به، فقال، بما معناه؛ « إن وجود هذا الزي يجعل الناس تدفع لي الأموال وهي ممنونة ثم تقبل يدي، فأنا لا أقدر أن أجــد مهــنة تضمن لي هذين الجانبين ... » كلام معقول صادر من إنسان مرتزق، إتخذ من الدين دكاناً له (*) وهكذا توجه الى الدراسات الدينية بعض الشخصــيات المدفوعــة مــن جهات خبيثة من الذين لاهم لهم سوى المادة والأغراض الدنيوية ... فصارت جامعة النجف أيضاً تضم فئتين: ــ

(*) هذا الصنف قال عنهم الامام الصادق(ع) : قصم ظهري اثنان : عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا يصد الناس عن علمه بتهتكه ، وهذا يصد الناس عن نسكه بجهله(بحار الانوار ج١ ص ٢٠٨) وعن رسول الله محمد (ص) : يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة ، فيقذفون في نار جهنم فيدور احدهم في = = جهنم بقصبه كما يدور الحمار بالرحى فيقال له : يا ويلك بك اهتدينا فما بالك؟ قال: اني كنت اخالف ما كنت اناكم.(كنز العمال خ ٢٩٠٩٧).

فـئة مسـتقيمة إتخـذت طريق الله، وهي الفئة الفقيرة البائسة المكافحة المشـردة، وفـئة ثرية إتخذت الهها هواها ﴿ارأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكـون عليه وكيلا﴾ الفرقان ٤٣ ، يساندهم الحكام الظلمة لغرض سيطرتهم على الساحة بمساعدة بعض الأيادي الخبيثة .

كان البعض يفكر في سلوك هذا الدرب والإنخراط في الحوزة، لما توفره من جو إيماني تربوي . ولكنها لم تعد مؤثرة ...

رابعاً:ـ زرع الكيانات الغريبة في جسد الأمة ..

كالأحـزاب والمنظمات والتجمعات والشخصيات المحملة بأفكار الغرب، والمعادية لكل ما يحمل صفة الإسلام؛ وهذا الأسلوب استخدمه أعداء الإسلام للسيطرة على مقدرات الأمة وبسط نفوذهم على أرض الإسلام من خلال دق اسـفين الفـرقة وتمـزيق صفوف الأمة، فأخذت تلك الأحزاب والمنظمات والتجمعات والشخصيات المحملة بأفكار الغرب والمعادية لكل ما يحمل صفة الإسـلام، تحارب كل الأخلاق الإسلامية والعادات والتقاليد الصحيحة والغير صحيحة، بإسم التقدم ومحاربة الرجعية والتخلف، فتغربت بعض الشخصيات من خلال ارسالهم ببعثات دراسية وعلمية، وقد عاد هؤلاء لينتشروا في العالم الإسـلامي فينشروا الأفكار والنظريات الغربية ويستخفوا ويحاربوا الأخلاق والـتعاليم الإسـلامية فنشـروا الكتب والمجلات والصحف مستخدمين شتى وسـائل الإتصـال الجماهيرية ولمعت من هؤلاء أسماء، بل لمعت، فها هو بولـص سـلامة، وسـلامة موسى، وجلال العظم، وإحسان عبدالقدوس .. وغيـرهم الكـثير الكـثير، وراح الشباب يتلقفون ما يكتب هؤلاء ناقلين كل الأفكار الوافدة والنظريات المستوردة مبتعدين بأبناء الأمة عن قيمهم وتراثهم ومـبادئهم، ثـم تنتشـر بشكل كبير المجلات الخليعة والصحف المبتذلة ... الشـبكة ... الموعد ... وغيرها الكثير، الكثير أيضا؛ وراحت تتسابق دور

السينما على عرض كل هابط من أفلام الخلاعة والمجون والإباحية، وفتحت الملاهي الليلية والمواخير وصالات القمار أبوابها .

ثــم الجمعيــات التبشيرية أو جمعيات بإسم الإسصلاح، حتى عاد الفكر الإســلامي الأصيل غريباً عن ذهن مثقفي الأمة وشبابها ولم يعد يفهم الناس عــن دينهم سوى ما يتصل بالأباطيل والخزعبلات والخرافات التي صارت تــندس بإسم الدين، لتلفضها العقول المتفتحة، وترفض معها كل ما يمت الى الدين بصلة .

ثــم يستقطب جموع الشباب والمثقفين والأحزاب والمنظمات الومية التي اتخذت شعار إحياء القومية العربية أو القومية التركية أو القومية الفارسية أو القوميــة الكــردية؛ فــتمزقت الأمــة وإشتدت أوار الصراعات الدموية بين الطوائف والقوميات، وخير دليل على ذلك الصراع الدموي الرهيب في شمال العــراق والإبــادة الجماعيــة التي راح ضحيتها الآف من الأبرياء الأكراد والجنود العراقيين المغلوبين على أمرهم؛ ثم جاءت الأحزاب المؤطرة بإطار تقدمي اشتراكي .. علماني كحزب البعث وغيره من الأحــزاب .

المد الأحمر: ــ

فــي غمــرة الأحــداث الساخنة، وتلك المواجهة العنيفة التي حدثت بين بــريطانيا وحلفائها من جهة؛ وبين علماء الإسلام في النجف الأشرف تتبعهم جمــوع العشائر وابناء الأمة من جهة أخرى؛ برز حدث كبير على الساحة العالميــة؛ وهــو قيــام الثورة البلشفية في روسيا في أكتوبر عام ١٩١٧ م (ومايســمي بثورة أكتوبر الإشتراكية) والتي أدت الى قيام ما يسمى بالإتحاد الســوفياتي وإنضــواء الكثير من الدول تحت راية الإشتراكية أو الشيوعية؛ وقيــام الروس بتصدير ثورتهم بالقوة الى بعض الدول كما حدث في المجر

وغيـرها، هـذا الحـدث أربك الساحة الإسلامية و تناغمت معه الكثير من الشعوب الإسلامية لتظافر أسباب عدة؛ الأمر الذي ادى البى خلق حالة جديدة كادت ان تفصل الإسلام كلية عن المسلمـين .

واتخـذ الكـثير من الشباب المسلم (المادية الديالكتيكية) منهجاً بديلاً لهم وتكمـن خطـورة الدعوة الشيوعية على الإسلام بأنها أيدلوجية لها نظريتها الفكـرية التي اتخذت الإلحاد ركيزة اساسية لها، كما ان لها فلسفتها الخاصة فـي الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وكذلك لها رأيها ونظريتها في الدين حيث رفعت شعار (الدين أفيون الشعـوب) .

إن الإسـتعمار الغربي؛ وان كان يبدي امتعاضاً لتفاقم الأمور وتطورها لصالح المد الشيوعي في العالم الإسلامي إلا إن اوساطه قد تنفست الصعداء لهـذا الأمـر ، فإن عناد الإسلام وصموده وقوته يمكن أن يواجه بهذا العدو الـذي لابد انه سيشغل المسلمين وعلمائهم مدة ليست بالقصيرة؛ وان ضعف أي من الطرفين سيصب حتماً في صالح العالم الغربي الرأسمالي، أما اذا تم القضاء على الإسلام فذلك حلم طالما راود اذهان المستعمرين .

لقـد إمتدت الأفكار الشيوعية على مساحة كبيرة من الأرض الإسلامية وتبناها العدد الكبير من الشباب والشابات في العالم الإسلامي، وأخذوا يهتفون بشـعارات تطـالب بالقضاء على الأخلاق والمباديء والمثل الإسلامية . ان لهـذا الإمـتداد اسباباً عديدة اذ إن الأمة أخذت تنفصل تدريجياً عن علمائها ومفكـريها والرجال الذين كانوا قادة بالأمس في حوزة النجف التي أضحت مؤسسـة أكاديميـة حتى صارت الأمة مهيأة للأنفصال التام عنها، فالغالبية العظمى من رجالات الحوزة وعلمائها أخذوا يتوارون عن الأنظار بعيداً عن السياسـة بعد أن اذق القادة الكبار الأمرين بسبب مواجهتهم العنيده والباسلة للإسـتعمار، وخاصة أبان الإحتلال الانكليزي للعراق وخير مثال على ذلك مـاحدث فـي ثورة عام ١٩٢٠ وما تمخض عنها من قتل وتشريد ونفي، ثم

النكوص والتراجع فيما بعد من البعض، فأخذت الحوزة لاترعى شؤون الأمة وأخذ البحث في الحوزة يتجه بعيداً ويتعمق بأبحاث جانبية فقهية واصولية في جـــال لا طائل من وراءه، أما العمل بالسياسة والنزول الى ما تحتاجه الأمة فهم بعيدون عنه كل البعد، حيث صاروا يعيشون في ابراج عاجية بعيداً عن الأمة .

إن نزول الفكر الشيوعي والدعم المادي الكبير الذي رافقه أدى الى بروز قـــوة كبيرة على الساحة الإسلامية مضادة للإسلام فصارت فكرتان تهيمنان عـــلى الأرض والإنســـان، همـــا الفكـــرة الإسلامية والفكرة الماركسية، أما الرأســـمالية فهي لا تملك أي إطروحة نظرية؛ بل تملك ممارسات وخبرات وتجارب.

الاستعمار يدعم المد الأحمر: ــ

الإستعمار يعلم ان الفكر لا يمكن ان يقاوم إلا بالفكر، ما عداه فهو غير نـــاجح فقـــد تؤثـــر الممارسات الأخرى في تأخر الفكر غير المرغوب فيه ولكـــنها لا تعمل الا بحدود ضيقة، وعلى هذا الفكر الإسلامي يجب ان يقاوم بفكر لا بتجربة و ممارسات، وبما ان الفكر الماركسي يحقق هذا المفهوم فهو نقيـــض الإســـلام أولاً، ويحمل اطروحة عملية تحملها الفكرة الإسلامية في العراق، فإذن لماذا لايطرح الفكر الماركسي على الحلبة أمام الفكر الإسلامي في العراق ؟ ! .

وقد يمكن لنا ان نوجز الفوائد التي سوف يجنيها الإستعمار في هذا النوع من الطرح، والتي عموماً تنحصر في :

١ ــ في الدول الأسلامية يمكن للنظرية الماركسية الوقوف بوجه الفكر الإسلامي باعتبار ان الفكرين يملكان اطروحة نظرية، تناقض أحداهما الأخرى .

٢ ــ إن التجربة التي تقدمها الأحزاب الشيوعية والأفكار اليسارية الى الشعوب غالباً ما تكون مريرة، وظالمة ... فهي غالباً ما تضطهد الشعوب وتبث الجوع؛ والإرهاب، والحكم البوليسي . والقتل بين صفوف الشعب وهذا طبعاً بدافع من الغرب ــ وان كانت الأفكار الشيوعية هذا ديدنها في التعامل مع الشعوب ــ ولكن التأثير الغربي والإيحاء لتلك الأحزاب أن هناك قوى وهمية تحاول الإطاحة بهم ثم إفتعال ذلك بصورة عملية على الساحة، مما يدفع تلك الأحزاب الى إستعمال اساليب غاية في القساوة وفي ذل الشعوب وبصورة مكشوفة ومفضوحة أمام الناس وهذا ما يؤدي الى كره الأفكار اليسارية ورفض تطبيقها من قبل الشعوب ــ، حيث تلفضها الناس وتتمنى زوالها بأي شكل من الأشكال لكي تأكل رغيف الخبز بحرية .

وهكذا وما أن تحاول تلك الأحزاب اليسارية بانقلاب ضد الحكم أو ثورة سواء أكانت بأيادي غربية أو غيرها، فإن الشعب لا يجد غير الفكر الرأسمالي الغربي مرتعاً خصباً للإرتماء في أحضانه، وبذلك يضمن الغرب هذا البلد أو ذاك، ويسدل كل الأبواب على الأحزاب اليسارية أن تدخل ذلك البلد في المستقبل لبشاعة صورته في نفوس الناس، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة يمكن للإنسان أن يستنتجها أو يتبناها في البلدان المحيطة بنا، وخاصة الإسلامية منها .

٣ ــ القضاء على الحركات الإسلامية والوطنية الثورية المعارضة للنظام القائم بحجة الشيوعية، كما في معظم بلدان العالم الثالث كما حدث في إيران بالذات قبل انتصار الثورة الإسلامية، أو غيرها من البلدان الإسلامية، ولعله من الجدير أن نشير الى أن الأحزاب الشيوعية ليس من الضروري أن

ترتبط بروسيا بإعتبارها مهد النظرية الماركسية ... بل إن لها الحق في أن تتعامل مع من ترغب حسب ما تتطلبه الظروف والوضع .. فالأحزاب الشيوعية الأوربية حليفة لغير روسيا وهي غربية في جوهرها قبل أن تكون سوفيتية، كذلك الأحزاب الشيوعية في بلداننا؛ فإن الطابع المكشوف للناس هو إنها مرتبطة بروسيا ــ حامية الطبقة العمالية البلوريتارية ــ وإنها تسير ضمن المخطط السوفياتي في التعامل مع الأحداث ولكن هذا غير صحيح في جوهر القضية، وأكبر دليل على ذلك؛ هو إن روسيا وقفت ضد الأحزاب الشيوعية في بلداننا حينما حاولت الأخيرة السيطرة على الحكم، كما هو الحال في السودان حينما قاد « عبدالخالق محجوب » محاولة إنقلاب فجلس على العرش ثلاثة ايام فقط؛ ثم تعاونت أمريكا وروسيا على التخلص منه وإرجاع « النميري » ثانية .

وهذه الفكرة في واقع الأمر ليست غريبة على الشيوعيين ابداً، فلهم كامل الحق أن يتخذوا هذا الموقف أو ذاك؛ لأن صميم الفكرة الماركسية تقول « إن الغاية تبرر الوسيلة »؛ عندها تكون تصرفاتهم منطلقة من ذات فكرتهم، كما لا يفوتنا أن نذكر المثال الآخر لإثبات ما قلناه حينما تراجع وضع قادة الحزب الشيوعي في العراق .

وفعلاً فقد طرح التيار الماركسي، وأؤكد هنا بأنه تم ذلك ــ بأيادي غربية ــ على الساحة ليواجه التيار الإسلامي الذي كان قد أنهكه الإستعمار قبلاً، حيث يعاني من مصاعب كثيرة ومشاكل جمة ومؤامرة خبيثة مدروسة، الأمر الذي أدى أخيراً الى إنفصال الأمه عن قادتها في مدرسة النجف، وحول تلك المدرسة الى مؤسسة أكاديمية، فالأمة إذن صارت متهيأة لتقبل الفكرة الماركسية للأسباب التالية : ــ

١ ــ استشراء الجوع والفقر والجهل بين معظم طبقات المجتمع العراقي وبشكل كبير فجائت الفكرة الشيوعية لتقول له؛ إننا نعطيك سيارة وبيتاً وزوجة ومزرعة، وما إلى ذلك من الأمور الحياتية الضرورية.

٢ ــ حالة الإنفصال الجزئي التي تعيشها الأمة بينها وبين المدرسة الدينية في النجف.

٣ ــ انتزاع القيادة من العلماء، والإيحاء للناس بأن القيادة لا تنحصر في العلماء فقط، بل قد تكون في شخصية مناقضة للخط الإسلامي.

٤ ــ تقصير علماء الدين في بث الوعي بين صفوف الأمة نتيجة للفخ الذي نصبه الكافر لخلق الطبقية داخلالجامعة العلمية في النجف الأشرف.

٥ ــ تهيأة أذهان الأمه من قبل الغرب الى تقبل نظرية تقدمية الأفكار الماركسية والشيوعية ووصم الفكر الإسلامي بأنه متأخر ورجعي.

٦ ــ فشل ثورة العشرين من جانب استلام السلطة، مما أدى بالأمة أن ترى في العلماء أناس غير مهيئين لإدارة دولة وحكم، فالزراعة التي زرعوها في ثورة العشرين حصد ناتجها غيرهم .

٧ ــ استخدام الشيوعيين اسلوب المراوغة والمخادعة، فهم لم يعلنوا عن حقيقة مبادئهم في أول الأمر، ولم يصطدموا بعواطف الناس ومشاعرهم الدينية، بل ربما صوروا للناس بأنهم متدينون، يعملون على تطبيق الشعائر الدينية، حتى ان بعض المواكب الحسينية كانت تردد شعارات شيوعية ثم انهم رفعوا شعاراتهم البراقة في نصرة العامل والفلاح، وادعاء النية في القضاء على الاقطاع والطبقية اللتان كانتا تلهبان ظهور الناس فكانت الأمة تعاني من تلك الأوضاع بأشد ما تعانيه من فقر مدقع وجوع شديد وظلم، الأمر الذي لا يرتضيه الإسلام قطعاً، فكانت الامة تبحث عمن يخلصها، فسارت جموع الشباب والمثقفين، ومن ورائهم اعداد غفيرة من ابناء الأمة

الآخرين متأثرين بتلك الشعارات، حتى إمتد التأثير الشيوعي الي جميع القرى والأرياف والمدن، ووصل الى بعض بيوت المراجع في النجف.

٨ ــ كــان الشــيوعيون لا يــتوانون عن استخدام كافة الأساليب حتى اللاأخلاقيــة كنشــر كــتب الفساد والإنحراف الأخلاقي، تحت شعار الحرية ومحاربة الكبت الجنسي في التأثير على الشباب، وكسبهم الى حزبهم، فأسسوا جمعيــات الشــباب، كجمعية الشبيبة، واتحاد الطلبة وغيرها، تلك الجمعيات الداعية للإباحية والإختلاط، خاصة في صفوف طلبة الجامعات، وقد كان ذلك الأمــر واضحاً من خلال أدبياتهم ونشراتهم؛ حتى انهم دعوا الى إلغاء عقد الــزواج وجعــل العلاقــة بيــن الرجل والمرأة قائمة على أساس المشاركة الجماعية.

ومن شعاراتهم الاباحية التي كانوا يرددونها في مظاهراتهم التي يعرفها الجميع (بعد شهر ما كو مهر والقاضي نذبة بالنهر).

فــي هــذا الجو المحموم المهيأ لإلتقاط الفكرة الماركسية ضرب الغرب ضربته بدفع تلك الفكرة الى الأمام . وكان «عبدالكريم قاسم» اليد المنفذة في فتح باب العراق على مصراعية أمام ذلك الحزب الذي أكل الشعب واستوعب كــل القطاعــات، واصــبح ســيد الساحة بلا منازع، أما الأحزاب الأخرى كالبعــثيين والقوميــن والديمقراطيين فإنهم لم يكن لهم أي قوة مؤثرة على الناس .

ثم بدأ طغيان الشيوعيين يتفاقم ويتصاعد بشكل كبير وضخم، ويضم كل مــدن العــراق وقصــباته وقــد ساعد على ذلك إجتماع العديد من الأسباب والظــروف المحــلية والإقليمية والدولية، فهي غوغاء إجتماعية ينفذها أناس جهلاء بينما يخطط لها أناس متفننون ومتمرسون في ضرب الفكر، وامتد هذا التيار ينظم الناس بشكل هائل .

وفي طبيعة الحال لابد لنا أن نقول إن الفكر الديني الأصيل أو الأحزاب الإسلامية، وإن كانت غائبة تماماً من الساحة في تلك الفترة، ولكن عاطفة الناس الإسلامية بقيت تجيش في أعماق النفوس، فمع حالة التناقض بين الفكر الشيوعي والفكر الإسلامي، لكن معظم الطبقات العمالية والفلاحية لا تجد فرقاً بين أن تتخذ الشيوعية كخط سياسي للحياة وبين أن تتخذ الإسلام كدين يعتني بتربية الإنسان وصلاته وصيامه وإحترام رجاله .. هذان شيئان من نوعين مختلفين لكن جمعهما ليس تناقضاً، ولإلتزام بكليهما مرة واحدة ليس صعباً ... وهذا في واقع الأمر ناتج عما كان يصوره رجال الحزب الشيوعي للناس وما رفعوه من شعارات خادعة تؤيد الإسلام وتهتف بإسم أهل البيت(ع)، بل ذهبوا بعيداً مع البسطاء من الناس حينما أخذوا يصورون أنفسهم كممثلي الإسلام الحقيقيين والداعين لتطبيقه.. وادعوا ان ابا ذر هو اول الشيوعيين .

فليس هناك في العالم فكرتان متناقضتان كالفكرة الإسلامية والماركسية بينما يراها بعض أفراد المجتمع العراقي مضمومة في بوتقة واحدة، لقصور النظرة وإنخفاض الوعي السياسي والإجتماعي على السائد أنذاك .

وقد تكونت جمعيات دينية شيوعية يديرها أناس بزي علماء الدين، مع إن المجتمع لا يستنكر هذا الإجراء ولا يرى فيه تناقضاً .

والأبعد من ذلك ان الحزب الشيوعي وبصورة رسمية كان يمارس الشعائر الدينية التي يقوم بها عامة الناس، فله موكب عزاء في أكثر محافظات العراق يطرح فيه أفكاره وتطلعاته، مع ان نظرة الحزب الى هذه الظاهرة ليست إلا واجهة من واجهات الرجعية يجب محاربتها والقضاء عليها نهائياً ولكن المجتمع العراقي لا يهتم بهذا الموضوع من الإزدواجية .

و هكذا فان المجتمع العراقي هاج وماج، وصار الأمر بيد الشيوعين يتقاسمون البلد، ويعملون ما يشاؤون ولايمكن ان يوقفهم أي حاجز في تنفيذ

أعمـــالهم فأهـــانوا الدين بصورة علنية، وحاربوا رجاله وتصدوا للخطباء(*) والعـــلماء بالأذى والشر، وكاد الشيوعيون ان يستلموا الحكم ويسيطروا على جميع مقدارت البلاد لو أراد لهم المستعمرون ذلك .

لكن علماء الأمة المخلصين والمرجعية الرشيدة، والتي كان على رأسها الإمـــام السيد الحكيم «قدس سره» كانوا يرصدون حركة الشيوعيين، وكان الســـيد الشـــهيد الصـــدر «رحمـــه الله» يعمل جاهداً للإنقضاض على هذه الجرثومة ليستأصلها وإذا بالضربة القاضية تأتي من لدن السيد الإمام الحكيم بمؤازرة ومساندة السيد الشهيد الصدر والواعين من ابناء الأمة المؤمنين(**) .. لكن الإستعمار كان يحسب لهذا الأمر حسابه، فكان يعد العدة لوضع البديل فكان البعث هو البديـــل .

حزب البعث البديل عن الشيوعية:ــ

والإسلوب الآخر لأعداء الإسلام في النيل منه وتأخير مسيرته هو إعطاء يـــد التنفيذ بيد المسلمين انفسهم من الذين دخلوا الإسلام ويحسبون على الأمة الإســـلامية؛ لأن هـــذا الأسلوب سوف لن يخلق أي حساسية أو رفض لما يطـــرح، بعكس اذا كان الطرح من جهات غير اسلامية، فان عامل الرفض الكبير سيكون من نصيبه؛ وستكون النتيجة عكسية حيث يلتف المسلمون حول قيـــادتهم ويـــنادون وا إسلاماه .. ولقد ادركت روسيا هذه الفكرة وعرفت ان

(*) من الخطباء الافذاذ الذين تعرضوا لمحاولة اغتيال على يد الشيوعيين لمرتين، الخطيب المجاهد الوالد السيد جواد شبّر الذي تصدى لفضحهم وزيفهم من على منابره الواعية الجريئة.

(**) استطيع القول ان الذي اذل الشيوعيين في العراق ثلاثة عوامل :

١- المرجعية الجريئة بقيادة الامام السيد محسن الحكيم (قدس).

٢- الفكر الوقّاد للسيد محمد باقر الصدر والمتمثل بكتابيه (فلسفتنا)و (اقتصادنا).

٣- دور الخطباء الواعين من امثال السيد جواد شبّر.

سـوف لن يكون لها محل قدم في كل الأرض التي يقطنها أناس ينتمون الى الديـن الإسلامي، والابعد من ذلك ان روسيا نفسها تتعاون لإسقاط الأحزاب الشيوعية في تلك البلدان التي تحاول ان تستلم الحكم بثورة مسلحة أو حرب عصـابات، كما حدث في السودان، فسحبت روسيا كل نشاطاتها وتحركاتها فـي تلك البلاد؛ وركزت جهودها على مناطق اكثر تلائماً مع حاجات الفكر الماركسي .

وهكـذا وبعد ادراك هذه الحقيقه من قبل القوى الإستعمارية الكافرة فانها فكرت بالذهاب الى نقطة جوهرية هامة في التحكم بمقدرات البلدان الإسلامية مـادامت الأفكار الإلحادية لا تنمو ولاتترعرع فيها، فأنشأت تجمعات وأفكار تتبنى الخط الإلحادي جوهراً ولكنها ظاهرية الإيمان تعترف بوجود « الله » وتؤمـن بأن هنالك دين يسمى الإسلام ولكنها تقول؛ انه جاء لمرحلة زمنية معيـنة وعلينا ان نستفيد منه بتلك الحدود، فهو تراث ضخم واصالة وعطاء، وانـه رائـع على مستوى المسجد ومستوى الكتب الصفراء، وقد نرى ذلك واضـحاً فـي فكـر الـبعث واقواله التي جاء بها « ميشيل عفلق » الرجل اليهـودي الأم المسـيحي الأب، والـذي طرحه الغرب مسبقاً كرجل ينادي بالأفكـار الشيوعية واليسارية لتأثير تلك النبرة في مجتمعاتنا، كأفكار تقدمية تتقبـلها العقلية العربية ببساطة، ولكنهم ما لبثوا ان ووجهوا بإنتفاض الفكرة الإسلامية في نفس ذلك العربي، حيث أخذ يفكر، لماذا نكران الله ؟ وما الدافع الى ذلـك ؟ فـرآها تتعارض مع فطرته فرفضها بقوة واستشبعها، وهنا فكر الأسـياد أن يخلقوا مـن « ميشيل عفلق » رجلاً يطرح فكرة أخرى وبقالب آخر تعطي نفس عطاء الفكرة الإلحادية، ولكن بصورة لا تتعارض مع فطرة الأمة والناس؛ فجاء « بفكرة حزب البعث » وطرحها كبديل للفكرية الإلحادية لـتحقق نفـس الغرض ولكن بأسلوب أعمق، وتأثير أبعد على مدى الأجيال القادمـة فـي بلاد المسلمين، وهذا هو السبب الذي دعى بالفاتيكان أن يقلد

«ميشـــيل عفـــلق» وسام الكنيسة من الدرجة الأولى بسبب خدماته الضخمة للعالم الحر « كما يدعون، وكما اعترف بذلك تلاميذه [١].

والحقيقـــة فإن هذه النقطة تعتبر من أدق النقاط وأخطرها وأمضاها على مسيره الأمة والمجتمع، حيث تشقق الفكرة الإسلامية وتمزقها أيما تمزيق في نفوس الناس، بحيث تتحول الى هيكل جامد لا يرتبط بالحياة لا من قريب ولا من بعيد، وتحول افراد الأمة الى لعب يوجهها الحاكم بما يشاء وأينما يشاء، حيث تكون من أكبر الإبتلاءات التي أبتليت بها مناطقنا الإسلامية .

فبعض الحكام قد يدعي انه أمير المؤمنين، أو إنه من سلالة علي بن أبي طـــالب «ع» وانـــه وارث الرســـول (ص) أو أن وجوده هو إمتداد طبيعي لـــلفكرة الرسالية السماوية، أو غيره حينما يعتبر نفسه في هذا المجال حاكماً وأميـــراً وملكاً فانه في ذات الوقت يعطي المجال لكل القوى الفكريه والمادية ان تأخذ دورها في تحويل خط الامة الى مراحل متقدمة من الإنحراف والبعد عن الفكر حتى تصل الى درجة أن ترى المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

وقد نجحت القوى الكبرى لدرجة ما في تحقيق ما تصبو اليه في إحراف المجـــتمع الى الوجهة التي ترميها، فهي لا ترغب ان تتحول الأمة الإسلامية الى شيوعية، لأنه في غير صالح الغرب ولا ترغب فيها ان تعتنق المسيحية، وهـــو وان كان احتمالاً مستحيلاً، ولكنه غير مرغوب في نظرهم، وأيضاً لا ترغي للأمة أن تقترب من الدين . ولكنها ترغب فيها أن تتبنى اسلاماً ينظر الى الفكـــرة الإســـلامية عـــلى إنها تمخضت فولدت فكرة حديثة مناسبة لهذا العصر « كالقومية العربية » و « البعث » .

---

١ ــ صدام وشيعة العراق ــ تأليف د. سعيد السامرائي ــ نشر مؤسسة الفجر ــ لندن ــ الطبعة الثانية عام ١٩٩١ ص ١٧.

لقــد جاء حزب البعث بقطار « إنكلو أمريكي » ليحطم القيم والمباديء، ويضيف تركة ثقيلة الى كل التركات التي أصبح على العلماء مواجهتها .

الفصل الثالث

الشهيد الصدر في مواجهة التركة الثقيلة

أولاً:ـ الميلاد وظروف النشأة.

ثانياً:ـ أعادة بناء الحوزة.

ثالثاً: ـ مواجهة التيار ات المنحرفة.

رابعاً: ـ بناء العمل التنظيمي الإسلامي.

في ذلك الخضم المتلاطم من الصراع الذي كانت الأمة تخوضه مع أعدائها صراع الوجود والبقاء؛ حيث كان الطغيان والإستبداد يهدد كيانها ويحاول طمس هويتها ومسخ شخصيتها بأبعادها عن دينها ومبادئها وقيمها بشتى الوسائل والأساليب ــ التي أشرنا اليها سابقاً ــ لإبعاد الإسلام عن مسرح الحياة بدعوى فصل الدين عن السياسة، وبالعمل على هدم شخصية الإنسان المسلم وجعله يعيش في ضياع وتشرذم وشخصية مضطربة لا يقر لها قرار ولا يهدأ لها رأي، فهي شخصية قلقة متلونة، تتمثل بها الإزدواجية بكل معانيها فصار الواحد منا يحمل ضدّه، سرعان ما ينصل عن المباديء والقيم، فيصير سُبعاً ضارياً على أبناء جلدته، ثم عمل المستعمر جاهداً على القيام بعزل الأمة عن قيادتها الحقيقية، القيادة العلمائية في حوزة النجف الأشرف ضمن خطة مدروسة وبعيدة المدى بإدخال تيارات فكرية ومباديء هدامة وآراء منحرفة وعقائد ضالة وبإسم الدين أحياناً، ثم الطاقة الكبرى ببث الكيانات والأحزاب الإلحادية والعلمانية والقومية، كالحزب الشيوعي وغيره من الأحزاب العلمانية، ثم ثمرة الإستعمار وسوئته حزب البعث الذي جمع كل مظاهر الكفر والفساد والفوضى، جاء ليتربع على قلب الأمة الإسلامية، على أرض الرافدين المعطاء ليدمرها وليهلك الحرث والنسل وليعيث في الأرض فساداً .

وفـــي ذلـــك الخضـــم ولد السيد الشهيد الصدر لِينظَمَّ الى قوافل العلماء الأبطال المنافحين عن الإسلام بكل صبر وثبات، وليقدموا كل شيء من أجل الإسلام فكانوا هداة حق ومشاعل هداية، وقادة الامة نحو سبل النجاة

أولاً: مقدمة حول الميلاد وظروف النشأة

لا نريد الإستغراق في الحديث عن الجانب الذاتي من حياة السيد الشهيد الصدر « رحمه الله » وإن كانت ذاته ممتزجة في حب الإسلام كلية بحيث لا يمكن فصل أي جزيئة منها عن تفانيه في الله، سيراً على ما سار عليه اجداده الطاهـرون « سلام الله عليهم » نعم، لا نريد الحديث عن الجانب الشخصي البحت عن حياة هذا الرجل العظيم بقدر ما يتعلق بما ساهم في بناء شخصيته الفـذة المتكامـلة الأطـراف، إذ إن تـلك الظروف ساهمت كثيراً في منح شخصيته ذلك السمو الروحي والفكري والخلقي، والذي لا تجده إلا عند القادة العظـام السائرين على نهج أهل بيت العصمة والطهارة « سلام الله عليهم » ففـي ذلـك المجتمع صاحب التركات الثقيلة كانت نشأة الإمام السيد « محمد باقر الصدر » ، حينما فتح عينيه على الحياة في مدينة الكاظمية بلد الإمامين الهمـامين، الإمام موسى بن جعفر الكاظم، ومحمد بن علي الجواد « عليهما السـلام »، عام ١٣٥٣ هـ في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، ولد ليصبح ثورة فيما بعد، يقارع الأعداء بالعلم والقلم، بعد أن استسلم له الحرف والمـداد، يأتي وكأن هذا العالم كان ينتظره ليعطيه شيئاً لم يتمكن من عطائه إلا قـادة البشـر، فتسـقط دمعتان سخيتان من عيني الأم حينما علمت إنها صارت أم لولدين بعد أن فقدت ثمانية أولاد قبله .

ولم لا يكون ذلك وهو إبن العلم والتقوى؛ رضع من ثدي الإيمان وتربى في حجر الثورة، فأبوه السيد «حيدر الصدر» عالم محقق تشهد له الحركات، وتفتخر بإستاذيته العلماء، وعمه السيد «محمد الصدر» رجل الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠، والرجل الذي لم يخف دوره البطولي في مقارعة الإستعمار البريطاني في العراق . وماذا بعد .. نعم إنه من سلالة العالم الجليل السيد «عبدالحسين شرف الدين» الذي قارع الإستعمار الفرنسي في لبنان حتى

هرب الى البلدان لينقل اليها هدير الثورة الى الأمة حتى عجز الإستعمار الفرنسي عن إيقاف مسيرته الثورية فانتقم منه بشكل يحمل روح العداوة والتأثر وهو حرق مكتبته العلمية القيمة التي كانت تحوي أمهات الكتب .. فكان لذلك أثر بالغ على نفسية السيد « رحمه الله » .. أما أخوه الأكبر فهو الحجة السيد « اسماعيل الصدر »؛ وهو غني عن التعريف لكل عراقي عاش في بغداد أو النجف أو الكاظمية .. [1] .

ظروف النشأة: ــ

ولد السيد في تلك السنين التي كان العراق خلالها يغلي وينتفض بين حين وآخر في ثورات تقودها الأمة الرافضة للحكم البريطاني، فثورة ١٩٢٠ لا زالت عالقة في الأذهان، وهي تمد الأمة بالقوة والثقة بأن كلمة الشعب هي العليا؛ وإن الدخلاء والمستعمرين ما هم إلا رموز لا تدوم على الرغم من القوة التي يتمتعون بها من الإمكانيات المادية والعسكرية .

فالشعب حينما تحرك في تلك الثورة كان لا يملك من القوة إلا قوة الإيمان وبساطتها، إضافة الى إرتباطه بقيادته التي آمن بأنها قيادة حكيمة بالفطرة وليس بغيرها؛ فالشعب آنذاك لم يكن يملك قابلية ادراك قادته ومن هم ؟ لكنه كان ينقاد الى العلماء الأعلام إنقياداً طوعياً وبحب كبير وتفانٍ منقطع النظير.

كان الجنوب يقوم كيد واحدة بوجه الدخلاء الجدد، يعاونه في ذلك الوسط ويسنده الشمال فاستمرت الثورة وانطلقت تهدر بعاصفة باغتت الإنكليز

---

١ ــ تحدث الشيخ الفاضل محمد رضا النعماني في كتابه القيم « الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار » عن سيرة ونسب السيد الشهيد الصدر « قدس سره » بشكل مفصل وبديع ــ ص ٢٣ وما بعدها.

فكسرت شوكتهم، وحطمت أساطيلهم، وسحقت كبريائهم، وكان العلماء الأعلام هم قادة المعارك التي كانت تدور في الشمال وجنوب العراق وبصورة ضارية فانذهل الإنكليز لهذا الوضع، إنهم يواجهون مقاومة هائلة عدادها اشخاص ليس لديهم أي خبرة بالقتال أو السلاح .. إنهم يقاتلون بشيء غير متطور ... إنهم ينتصرون ... يتقدمون ... يواجهون الموت المحتم بالأجساد العارية ... وفعلاً كان « الفرات الأوسط » شعلة من ثورة تقودها « النجف » وينطلق منها الخطباء والعلماء والمتكلمون الى الأمة لتأجيج الثورة ضد المستعمر الغريب . وقد تمكنت الجماهير من طرد الإنكليز شر طردة، فهم لم يكونوا على علم بالشعوب وكانوا حديثي العهد بالإستعمار في هذه المناطق، ولا يدركون جيداً وضع الشعوب، وظروفها، بل كانوا يتصورون ان الفترة الحضارية للأمم اذا سقطت فإن فترات ما بعد الإزدهار ستكون حالكة الظلمة، وكان الإنكليز يتصورون إن في العراق امة تعاني من مرض سقوط حضارتها على يد الغرب، وإنها تعيش فترات حالة الظلمة، وإنها لا يمكنها أن تعيش وتقاوم بل إنها مستعدة لأن تسلم نفسها الى أي يد على شرط أن تملك عامل القوة ...

والنظرية بحد ذاتها تحمل جانب الصحة والواقعية فيما لو أخذت بنظرة عامة مجردة، ولكن لو فرضنا إن هنالك عوامل أخرى تتدخل في الأمة وتعيدها وتعيد تركيب أفكارها وحضارتها وإيمانها المطلق بقوة وصحة طريقها وهدفها، فإن الأمة لا تنطبق عليها تلك النظرية، بل العكس قد يمكن أن تكون النكسة، أو درس السقوط، عامل محفز لهمم الأمة لتعيد مجدها وسيادتها ولنا أمثلة متعددة على هذه النقطة كاليابان مثلاً .. والتي خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي مهزومة حضارياً ونفسياً وعسكرياً أمام الحلفاء الذين قيدوا يدها وحددوا تحركها، بل إنهم عملوا الخطوات الأولية التي تحفر في المجتمع الياباني أخاديد عميقة لتشتته بالمستقبل ليرتبط بالغرب كدولة

تابعة ليس لها إمكانية المقاومة والمقارعة ...ولكن ما أن تمضي عشر سنين حتى برزت اليابان قوة عظمى ثانية ترهب العالم اقتصادياً، مما حدى بالرئيس الأمريكي الاسبق كارتر أن يزور اليابان مرات عديدة توسلاً بإيقاف تصدير بضائعها الى أمريكا خشية من الكساد والإفلاس الذي تعاني منه أمريكا ... والواقع أن اليابان هي المثال الذي عاشه معظمنا في السنيين الأخيرة من هذا القرن مع أن اليابانيين لا يملكون بعداً حضارياً أو أطروحة فكرية لها أبعادها في نفوس ذلك الشعب ...

أما الإسلام فإنه بلا شك له من الإمكانية والقوة ما يستطيع أن يعيد حضارته لما يحمله من قوة فكرية ضاربة يغير بها الأمم ويبني بها المجتمعات ...

ولنا في الدولة الإسلامية في إيران المثال الحسن الذي لا يحتاج الى وصف وتوضيح ...

إذن النظريه الإستعمارية التي جاء بها الإستعمار يحملها بين طيات أوراقه لا تصدق دائماً خصوصاً على واقع العراق ... وقد أثبتت فشلها عملياً وواقعياً كما فشلت القوى الإستكبارية العالمية في تنبؤها في مستقبل الثورة الإسلامية في إيران .

دخلت بريطانيا الى العراق عن طريق البصرة واستطاعت احتلال جميع مناطق العراق ما عدا منطقة « النجف » والتي حوصرت شهوراً طويلة، ولم تستسلم إلا بعد أن قدم الإستعمار ثمناً غالياً، وبعد أن رشى بعض الشخصيات النجفية بالأموال والمناصب والواجهات وغيرها، « ولا زال ذكر أولئك الاشخاص لحد هذا اليوم يتردد بالعار في المجتمع النجفي لموقفهم الخياني في ذلك الحصار » .

فـتجربة ثـورة الـنجف في سنة ١٩١٧ أعطت الأنكليز درساً واضحاً وكـبيراً، هو إن هذه المنطقة لا بد وأن تحمل أو تضم بين ضلوعها شيئاً ما لكي تكون هي البادئة بالثورة، وهي المحركة لها، وهي المنفذة للثورة، ومنها تنطـلق قيادة الثورة، فوضع علامة حمراء على ملف المدينة التي تضم هذه الشخصـيات، ثم أضافت الجماهير العراقية الى ملف الثورة ثورة أخرى في سنة ١٩٢٠، وكانت نفس الوجوه ونفس الشخصيات .

وادرك الإسـتعمار إن عـليه معرفة السر، وإلا فلن يدوم استعمار ذلك البلد.

وتوصـل أخيراً إن « العلماء » هم .. نعم هم .. رأس الثورة، ومدادهم هـو زيـت الـثورة، وأقلامهم هي بنادق الثورة، هكذا توصل وهكذا عرف واستنتج، اذن لا يمكن لبريطانيا أن تدوم بدوام هؤلاء فبريطانيا حينما أقدمت عـلى دخـول العـراق كان في مخيلتها الكثير من المعلومات والآراء عن الوضـع الداخلي ونفسية المجتمع وكانوا يدركون جيداً أن المجتمع العراقي مختـلف سياسياً بدرجة كبيرة، وإنه ليس بإمكانه أن يصنع ثورة كثورة سنة ١٩٢٠، لأنـه غارق في قيود إجتماعية تكبله وتوجه إهتماماته الى وجهات شخصـية بعيـدة عن المقاومة، فهو شعب لم يعد يطأ ذيل التصوير الثوري ولكـنه يمـلك فطـرة، والفطرة تدل على القيادة الدينية، والقيادة الدينية هي صاحبة الحل وهي الأقوى، وبوجودها يتكون المجتمع وتخلق الثورة، وتولد الإنتفاضة، وبغياب تلك القيادة يكون الامر للأنكليز أولاً وآخراً .

في تلك الفترة ولد الإمام الصدر وأطل على العالم من زاوية ذلك البيت المتواضع، وعاش ذلك الصراع الذي وجه لسرقة الأمة من القادة الحقيقيين، فهـو إبن الثورة وقائدها ... وهومشعلها وزيتها .. ولد وهو يحمل القلم بين أصابعه والكلمة بين ثناياه والعلم والطموح والتحرير في محياه ... إن الأمة لتقاسـي وتعـاني من ألام مخاض عسير؛ وهي تتطلع الى ولادة حياة جديدة

تصـــنع الحضـــارة وتصـــنع الإنسان، وهكذا يترعرع الشهيد ويدخل مرحلة مـــتقدمة من التفكير، حيث قرر أن يعيد وجه الحركة الإسلامية الفكرية، وأن يعيد ثقة الجماهير بقياداتها الأصليه، بعد أن سرقتها أيادي اللؤم في فترة غفلة مـــن الأمة ... هكذا قرر شهيدنا وهو المؤهل المتمكن، والعبقري اللوذعي، الذي شهد له كل من جلس مجلسه، واستمع اليه.

ياســـائلي عـــنه لما جئت اسأله الا هـــو الـــرجل العاري من العار

لـــو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والارض في دارِ[1]

كان وهو صغير العمر، يطرح آراءه السياسية أمام معلميه في الإبتدائية فيتعجبون لبلوغ هذا الصغير الرجل .. وبعد نظره ..

هكـــذا وجد شهيدنا نفسه أمام المواجهة، وأمام طريق حاد وطويل، إنه يقـــرر مصـــير شعب ومستقبل أمة ... والإنسان حينما يواجه قدراً حاسماً، وعمـــلاً صـــعباً فإنه ينظر أول ما ينظر الى ذاته ليقيم قدرتها في تنفيذ ذلك القـــدر الحاسم، وهنا يبرز عامل الصدق مع الذات وكشف المستور من خفايا النفس .

كأنه في اجتماع الروح فيه له من كل جارحة في جسمه روحُ[*]

والكثير من الناس لا يمكن أن يواجه ذاته مواجهة صريحة وعلنية لأنها عمـــلية مواجهة بين الحاكم والمحكوم عليه، وفي كل الأحوال يرى المحكوم عليه إن الوقوف بوجه الحاكم صعب حتى وإن كان بريئاً، ولكنها كعملية لا

---

١ ــ هذه الابيات لابي العلاء المعري يمدح بها الشريف المرتضى (عن كتاب شرح جمل العلم والعمل ص٥).

(*) الشعر لابي تمام.

يتقبلها الإنسان، ولذلك نجد ان القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) والأئمة (ع) تؤكد على مواجهة النفس ومواجهة الذات: ــ

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .

هذا كله في الحالات الطبيعية للنفس، فكيف أذا كانت الحالة مصير أمة؟! فالمكاشفة مع الذات وتقدير عامل القوة والضعف والمقدرة عليها ليست بالعملية الهينة .

فالحركات الإسلامية في كل العالم الإسلامي كان السبب الكبير لفشلها إن أعضاءها لم يكونوا يقدرون ماذا سيكون وما يجب أن يكون وما هو موجود أي « أنا والفكرة والمستقبل » لأن نمو الحركة ونزولها الى الواقع لا يتحقق بدون تبني العنصر الذاتي وتقييم الأفراد .

إذن فأمام السيد الشهيد السيد الصدر مرحلة صعبة، إنه يريد أن يحقق ما يريده من الإسلام، لأنه شعر بأنه يملك تلك الذاتية المؤهلة لإمتلاك ذلك الموقع، فعليه واجب شرعي أن يتخذ قراره، وأن يواجه القضية، ويخطط لها بعمق وبحساب الأجواء، وفعلاً فإن طموحه لم يكن لتستوعبه أرض الكاظمية ... فقرر أن يكون بين صفوف فطاحل العلماء والمفكرين، والقادة الذين سلبهم الإستعمارمن أمتهم على حين غرة .

ثالثاً ــ الشهيد الصدر في النجف:

سافر الشهيد الإمام الى النجف وهو إبن الثانية عشرة وكانت النجف آنذاك تضم فطاحل العلماء والمفكرين ومراجع الأمة، وما أن وطأت قدماه ارض النجف حتى بدأ يتفوه في عطائه، ومسيرته، ونبوغه، ثم بدأ بتأليف الكتب وهو لا يزال ابن السابعة عشر من عمره الشريف، ثم استمر في كتبه وفي عطاءه التأليفي، فقدم الكتاب تلو الكتاب، نظراً لحاجة الأمة الى ذلك ــ

راجـــع كـــتاب « الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار » ــ لمعرفة الكتب التي ألفـــها [١] .

ولقد كانت النجف آنذاك مركزاً علمياً تشع من جوانبه المعرفة الى العالم فهي محط الأنظار، ومطمح الآمال، إنها مدينة تبني العلماء ومراجع الأمة وتخرج الفقهاء لينتشروا في العالم الإسلامي قاطبة ففيها المكتبات وفيها نفائس الكتب المخطوطة، إضافة الى مراجع التقليد ... وطأت قدما الإمام الشهيد السيد الصدر أرض النجف، وأخذ يضع برنامجه العملي لتفويت الفرصة على الأعداء في الإستمرار بهذا المخطط، فأخذ ينطلق الى الأمة والى الشخصيات العلمية في النجف ليطرح بعض تلك الآراء التي تخص خطط الأعداء في النيل من هذه المؤسسة العلمية الربانية، ولكن معظمهم لم يكن باستطاعته أن يدرك الأمر، فالوعي السياسي متخلف، والمسيرة الأكاديمية للدراسة قد إستوعبت كل آمال شخصيات تلك المدرسة، فصار همهم الأول هو التبحر بالدراسة وكتابة البحوث والتعمق، فنسوا ما يدور حولهم من أحداث سياسية وتغيرات إجتماعية .

وهكذا لم يستطع « الصدر » أن يطرح الفكرة التي تعتمل في ذهنه أمام فطاحل العلماء لسببين .

اولاً: هـــو عدم ادراكهم الواقع السياسي، وثانيا: لانه كان صغير العمر فهـــو إبـــن الخامســـة عشـــر فكيف يمكنه أن يعكس ما يدور في ذهنه أمام شخصيات بأعمار متقدمة ولهم باع طويل في العلم والحياة ؟ ! ..

---

١ ــ لقد أسهب كل من كتب عن الشهيد الصدر في الحديث عن مؤلفاته؛ بإعتبارها أبرز معلم من معالم حياته الشريفة بعد إقدامه على مواجهة النظام والشهادة، بل إنها الكتب التي أجمع المفكرون على إعتبارها ثورة في عالم الفكرالأسلامي؛ حيث نقلت الفكر الإسلامي الى عصر جديد من المواجهة والوقوف بقوة أمام التيارات المنحرفة الوافدة.

لقد أحس السيد الصدر بعبقريته المبكرة بأن عليه أن يحاول إعادة الأمور الى نصابها وأن يحاول، وبكل ما أوتي من قوة أن يعيد تلك العلاقة بين الأمة والحوزة والتي قطعت أو كادت، طبقاً للخطة الإستعمارية، إن أولى الخطوات ان يعيد أواصر الثقة بين الأمة والحوزة، فيعيد الحوزة الى احضان الأمة وأن يجعل الأمة تحتضن الحوزة من خلال الإلتفاف حول مراجع التقليد.

إذن كيف يمكن أن يتم ذلك وقد استشرى الداء بسبب العمل الدؤوب الذي قام به أعداء الإسلام ؟!

لقــد رأى السيد الشهيد الصدر، أن يعمل المرحلي المدروس والدقيق هو الذي ستتمخض عنه نتائج إيجابية كبيرة، فطرح أسلوباً جديداً يمكن من خلاله تطوير الحوزة، وهذا الأسلوب يتمثل بمشروع « المرجعية الموضوعية » أو « المرجعية الرشيدة » لقد وجد شهيدنا المظلوم أن أول وأهم قضية يجب أن تعــالج هــي الحالة الذاتية في المرجعية، إذ المفروض على كل مرجعية أن تعتمد الموضوعية أسلوباً في عملها المرجعي،لأنه يحقق أكبر قدر من الخدمة للإسلام، ولابد لكل مرجعية أن تكون حلقة في سلسلة كبرى، ولبنة قوية تشتد اللبنة التي سبقتها والتي تليها، والمرجعية الجديدة يجب أن تواصل البناء من حيث انتهت المرجعية التي سبقتها، لا أن تبدأ في نقطة الصفر كما هو الحال في أسلوب المرجعية [1].

ومن المؤكد أن عملية التعبير التي كان يستهدفها الشهيد الصدر في تلك المرحلة كانت شاملة للمرجعية والحوزة من جانب، وللامة من جانب آخر، إذ يبدو من تاريخ تأسيس حزب الدعوة الإسلامية في أواخر عام «١٩٥٧م»

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة وأيام الحصار .. الشيخ محمد رضا النعماني ــ مطبعة اسماعيليان ــ قم ط٢، ص١٥٢.

وتأسيس جماعة العلماء في عام «١٩٥٨م»، أن ما كان قد صمم على تنفيذه خطة شاملة وعامة لكليهما .. ورغم أن السيد الشهيد « رضوان الله عليه » لم يكن أحد أعضاء جماعة العلماء لصغر عمره ألا انه كان له دور رئيسي في تحريكها وتوجيهها .. وقد باشرت جماعة العلماء ــ بالرغم من قوة الأحداث وعدم توفر الخبرة السياسية الكافية، وتخلف الوعي الإسلامي في الأمة ــ عملها من أجل ارساء قواعد هذا الخط الأصيل .

وبعد مضي أقل من عام تمكنت جماعة العلماء من بناء قاعدة اسلامية وشابة، لذا قررت هذه الجماعة اصدار نشرة الأضواء .. وبعثت مجلة الأضواء من خلال خطها الفكري السياسي .. بعث الروح الاسلامية في قطاعات واسعة من الجماهير [١] .

لقد أحدث السيد الشهيد (قدس سره) نقلة نوعية في طبيعة علاقة الحوزة بالأمة من خلال طرح موضوع المرجعية الموضوعية فتفاعلت الأمة كثيراً مع ذلك المشروع الرائع، وتمكن السيد الشهيد من أن يعيد الثقة الى نفوس الأمة .

ان الخطوات العملية التي خطاها في هذا المجال اسهمت اسهاماً كبيراً في اعادة لحمة العلاقة بين جماهير الأمة وقيادتها الدينية.

فان كان مشروع (المرجعية الموضوعية) لم يتم المشروع بتنفيذه على ارض الواقع بسبب الظروف المحيطة، وقصر الفترة الزمنية، ومعارضة الكثير، بل الأغلب، من العلماء التقليدين في النجف لهذا المشروع، الا ان كل ذلك لم يثن السيد الشهيد عن البدأ بالخطوات العملية في هذا المضمار من خلال ارسال مبلغين الى المناطق الفقيرة والمستضعفة، وقد منع السيد الشهيد

---

١ ــ نفس المصدر، ص ١٥٢.

الصـــدر هؤلاء الوكلاء من أخذ الأموال من الناس أو يكون مصروفهم على أهل المنطقة، بل ان المرجعية في النجف هي التي تغطي نفقات واجور المبلغ المرســل من قبلها، وهذا ما دفع الكثير من المناطق الفقيرة الى طلب وكلاء بالحضــور اليهــم، فانتشر تلاميذ وطلبة السيد الشهيد في الكثير من مناطق العــراق، فــأخذت هــذه الخطوة من الوعي لدى الجماهير ومعرفة بالإسلام الشيء الكبير جداً .

لقــد سعى السيد الشهيد في تقوية المرجعية والوقوف الي صف توحدها وضــمها تحت راية فقيه واحد، ولذا فقد أخذ يعمل تحت ظل مرجعية الإمام الحكيــم «قدس سره» فكان الفقيه الأوحد والزعيم الذي تهفو اليه نفوس كل شيعة العالم، بل كل مسلمي العالم، فكان السيد الشهيد يعمل على دعمه وتأييده ومســاندة مشاريعه، بل كان يعمل بأن يستشيره وياخذ أوامره منه في أغلب المواقف وذهب أكثر من ذلك بعد رحيل الإمام الحكيم لدعم ومساندة مرجعية الإمــام الخوئي «قدس سره»، ولم يطرح رسالته العملية إلاّ بعد أن الحّ عليه الكــثير مــن المؤمــنين، وبعد أن أصبح الوضع لا يحتمل تأجيل مثل هذه الخطوة.

لقــد قام بخطوات عملية كبيرة في الإسهام في تغيير واقع الحوزة؛ من تغييــر في مناهجها وطرق تدريسها وعلاقتها مع الأمة، وكسر الحاجز بينها وبين الشباب، وهناك بعض الخطوات يمكن أن نشير لها بإختصار ..

١ ــ تأسيس مدرسة العلوم الإسلامية .. :ــ

فــبعد اســهامه في تأسيس جماعة العلماء، وبعد اسهامه الكبير في اصــدار مجلة الأضواء، والتي كانت نقلة نوعية في حينها في المسار الذي اعــتادت عليه الحوزة، فقد كانت الخطوة الأخرى بإتجاه تغيير الأوضاع على الصــعيد الحوزوي مساهمته في تأسيس (مدرسة العلوم الإسلامية)، والتي تعــرف بــالدورة، وكانت تحت اشراف آية الله العظمى السيد الإمام الحكيم

«رحمــه الله» ؛ وهــي أول محاولــة لتــنظيم الوضع الدراسي في الحوزة، والخطوة الأولى نحو إعتماد اسلوب المراحل في الدراسة الحوزوية .

وقد وقف السيد الشهيد بكل ما يتاح له من امكانات لدعم مشروع مدرسة العلوم الإسلامية، وقد طلب من أفضل تلاميذه تدريس أبسط المواد الدراسية في مختلف المراحل الدراسية حرصاً منه على إنجاحها، وعلى كل حال، لم تسلم جماعة العلماء، ولا مدرسة العلوم الإسلامية (الدورة) من معارضة قوّية استهدفت وأدهما معاً في المهد من قبل بعض أعضاء جماعة العلماء [١].

٢ ــ تغيير مناهج الحوزة :ــ

قام الأمام الصدر بثورة اصلاحية كبيرة في الحوزة العلمية فجدد المناهج الدراسية والكتب التي مضت عليها قرون طويلة ولم تعد تتناسب مع الحركة الفقهية والأصولية والفكرية والتي قطعت اشواطاً بعيدة في التطور والتجديد .. هذا بالإضافة الى كونها كتباً لا تتوفر فيها خصائص المناهج الدراسية ولم يهــدف واضعوها ومصنفوها من جعلها موضع التدريس، وانما كانت تمثّل نظرياتهم وآرائهم النهائية التي توصلوا الى إكتشافها وصياغتها .

وقد توج دعوته التغييرية في المناهج الدراسية بكتابته منهج علم الأصول لطــلاب مــا قبل مرحلة الدراسات العليا « البحث الخارج » وهي المرحلة التي ينبغي تنظيم الدراسة فيها دون مرحلة الدراسات العليا؛ وكان هذا المنهج الجديد بمثابة ثورة جديدة وانقلاباً جذرياً في دراسة هذا العلم [٢] .

---

١ ــ سنوات المحنة وأيام الحصار ــ الشيخ النعماني ص ١٦٠ .

٢ ــ حزب الدعوة الإسلامية، اشكالية الصراع .. تأليف حسين علاوي ــ ١٤٢٠ هــ قم ــ ص ١٥٩.

ولـم تكـن عـناية الإمام الصدر «قدس سره» تقتصر على تطوير المناهج الدراسية الملائمة لروح العصر، بل أولى الثقافة الإسلامية ومدارس ومذاهـب الفكـر الحديث الإهتمام والعناية الفائقة، فنجد لطلاب هذه الجامعة العـلمية مـزيداً من الإطلاع على أبواب المعرفة المختلفة دون الإكتفاء بعلم الفقه والأصول وما يرتبط بهما، وذلك شعوراً منه بضرورة تنمية المجالات لـدى علماء وطلاب جامعة النجف لتتوفر لهم القدرة والقابلية على مخاطبة القواعد الشعبية وتوجيهها بطريقة لا يأباها الذوق ولا تبتعد عنها المدارك .

فكان يحذر العلماء من مخاطر هذه الفجوات وضرورة ردمها وهو يهتف بصـريح عباراته ويلقيها في مسامعهم، وهو يقول: ان هذه الجامعة مازالت تـتعامل مـع أجداد هذه الأمة ومع موتاهم، ومن أجل ذلك كله ابتعدت هذه الأمة عن مركز التوجيه وأخذت تتخبط تخبطاً عشوائياً [١] .

لقـد حـاول السيد الشهيد الصدر ان يعيد اللحمة بين الأمة والحوزة من خـلال جهود كبيرة ومضنية، فصارت الحوزة تخاطب الأمة بلغة أقرب الى اذهـان الناس، بعد ان كانت لغة مغلقة منطوية على ذاتها لا يهمها أن وعى الـناس الإسـلام وفهمـوا الحكم الشرعي أم لم يفهموه، ثم ان السيد الشهيد الصـدر اصـبح مثالاً يحتذى، وقائدا" ترى فيه الأمة أنفاس الأئمة الأطهار بسـلوكه الإسـلامي الـنقي، بتواضعه وتقواه وتفانيه في حب الله والإسلام وإيـثاره المطلق بكل ما يتصل بحياته الفردية من أجل الإسلام، ثم ان السيد الشهيد الصدر لم يضع نصب عينيه ان تتدفق عليه الأموال إلا كي يصرفها في مواردها الشرعية، فكان يؤثر طلابه على نفسه، والحكايات المنقولة عنه

---

١ ــ الإمام السيد الشهيد الصدر ــ الامة في سيرته ومنهجه ــ ص ٢١٤ ــ تاليف محمد الحسيني.

في هذا الصدد اصبحت بحكم المتواترة [١]، لقد صار «قدس سره» قدوة حسنة واسوة تحتذى، لذا أخذ الشباب يسعون الى النجف والى الحوزة ليقابلوا السيد الصدر، و يستمعون الى كلامه الذي يفيض إيماناً، فكم ذهب اليه ممن في نفسه بعض الشك فخرج وقد صفت نفسه وتيقنت بالإسلام .

ومنا الذي لاينطق الناس عنده ولكن هو المستأذن المتصرفُ

تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة ابصارها ما تصرّفُ(*)

ثالثاً: مواجهة الكيانات والتيارات المنحرفة: ــ

وكما أسلفنا فقد أخذ الأخطبوط الأستعماري متمثلاً بالأحزاب العلمانية والقومية والشيوعية ــ بمد أذرعه الى كل مرافق الأمة وعلى كل المستويات، واستطاع بضمن خطة مدروسة متكاملة الحلقات ان يحيط بالحوزة ويحجمها ويبعد الناس عن قيادتها الدينية، فانظم الشباب المثقف الى هذه الأحزاب والتنظيمات واستجاب الشارع العراقي للشعارات التي رفعتها هذه الأحزاب .. وخرجت المرأة وقد القت بحجابها جانباً، وامتلأت الشوارع والأزقة بالحانات والمواخير، وعطلت المساجد وهجرت، وملأت الكتب الإلحادية الشوارع والأرصفة والبيوتات، وأخذت الأفلام الإباحية تعرض جهاراً دون رادع أو ناهٍ، وأخذ الشيوعيون ينظمون المظاهرات هاتفين بالسقوط لأعدائهم فيردد الناس هتافاتهم، وأختفى الكتاب الإسلامي من المكتبات إلا ما ندر، وصارت المدارس بؤرة للفساد والتحلل الخلقي .

---

١ ــ اتذكر لما اعتقلت في ١٩٧٤/٧/٩ م مع اخي السيد حامد وكنا في الامن العامة.. جاءوا باحد طلبة السيد الشهيد فقال لي : ان السيد الصدر لما سمع باعتقالكما لم يزل يبكي ويدعو لكما طول الليل.

(*) الابيات للشاعر الفرزدق.

نعـم لقـد تلوث الشارع العراقي تماماً، بل استغل الشيوعيون ــ وكما ذكـرنا سـابقاً ــ حتى مواكب العزاء الحسيني لترديد شعاراتهم . امام هذا الوضع الرديء أخذ الشهيد الصدر يفكرفي احتواء الأزمة .. وكان في ساحة الـنجف ثـلة مـن المجتهدين الواعين المخلصين الذين شخصّوا الحالة وهم يحـاولون بدء المناورة، وكان على رأس هؤلاء المراجع الإمام السيد محسن الحكيـم «قـدس سره»، وكان زعيم الحوزة العلمية الأوحد في حينها، وكان مـرجع الشيعة في العالم كله اليه تتطلع النفوس والى كلمته تصغي الأسماع فـلا بد أن يقوّل كلمته .. لقد انتشر المرض واستفحل الداء .. وأخذت الأمة تترنح تحت ضربات أعداء مبادئها الشيوعـيين .

وهـنا كـان على العقل الراعي للأمة من طبقة العلماء أن يحدد طريقه ويقـول كلمته، أمام هذا التيار الجارف، وكان المرجع آنذاك هو الإمام السيد الحكيـم « قـدس سره » فأرسل على السيد الشهيد « محمد باقر الصدر » وكـان لـه معـه جلسـة إنجاز مهمة عمل، تباحثا فيها حول مصير الأمة وتحديـات السلطة، وقد خص الإمام « الحكيم » هذا الرجل لما فيه من قوة عـلم وبيان منطق ووضوح رؤيا .. ثم إنفض الإجتماع التاريخي ليتخذ كلا العبقريين دوره في إجهاض مسيرة المد الأحمر، الذي أكل الأخضر واليابس ولقد كان فعلاً امتحان عسير امام قوة التيار وحجمه يعرفه كل عراقي عاش تلك الفترة من تاريخ العراق .

أمـا التحرك والإستراتيجية التي تبناها العبقريان فكانت تحوي جانبين؛ الأول آنـي، والآخـر مستقبلي، وأحدهما أصعب من الآخر، لما يحمل من تبعات ثقيلة زرعها الإستعمار الكافر في نفسية العراقيين فالوقوف تجاه تيار المجتمع وطغيانه في تلك الفترة في غاية الصعوبة، هذا إذا عرفنا إن القوة لم تكن بيد العلماء وإن وسائل الإعلام والدعاية والكتب وكل الجهات الإعلامية لـم تكـن ملكاً للعلماء والحوزة العلمية .. بل كل ما يملكه هو الكتاب والقلم

والحـــب الفطـــري لهـــم من قبل الأمة، ومجرد التصور بمواجهة هذا التيار يـــورث اليـــأس في الخطة، لأنه إمتلك كل الطبقات الشعبية قاطبة .. وكانت المســـيرات الـــتي تنطلق في كل مدن العراق من الضخامة والعدد ما يفوق التصـــور، وقـــد يمكـــن للمرء أن يدرك ان العراق اصبح قلعة للشيوعيين، خصوصاً وإنهم استعملوا اساليب الإرهاب الوحشية في بث روح الرعب في نفوس معارضيهم كعملية السحل بالحبال في الشوارع حتى الموت ... وكانوا يحمـــلونها دائماً معهم وفي أي مكان علهم يعثرون على أحد أعدائهم ... وقد يكـــون من المجدي أن نشير الى إن هذا التيار كان تياراً غوغائياً همجياً لا يســـتند على اساس ثابت ورصين .... ولكن في نفس الوقت فإنه يمثل أوسع قطاع في الشعب تقريباً، ولم تكن بيد السيد الشهيد الصدر والإمام الحكيم كل الوســـائل لمحاربـــتهم وضـــربهم ... فمثلاً تعتبر القوة المادية هامة في هذه الظـــروف لـــتحويل أنظـــار الشعب الى الأقوى والأجدر على المجابهة ... ولكـــنهم لم يكن باستطاعتهم عمل ذلك ... ومن هذه النقطة جاءت الصعوبة في مواجهتهم ودحرهم، ولكن على أي حال فإن فترات الجهاد والمواجهة هي فـــترات عصـــيبة مؤلمة وإلا لما سميت جهاداً، وإن التاريخ الإسلامي أمامنا يحدثنا عن سهولة النصر الإلهي إذا توفرت النيات الصادقة والجهود الإيمانية .. كمـــا إن الجهاد في سبيل الله ومواجهة الكفرة هو واجب شرعي عيني لا يســـقط عـــن الإنسان فيما اذا واجهت خطته الجهادية الصعوبات والمتاعب والتشـــريد ... كـــل ذلك كان واضحاً في ذهن العبقريَيـــن (الإمام الحكيم) و(الشـــهيد الصـــدر) ليخـــتطا هـــذا المســـار في مواجهة الإلحاد وما وراء الإلحاد ...

اذن يجب بدء المواجهة ... .وهنا يكمن الخطر الكبير في استجابة الأمة الى ذلـــك النداء، وهل الأمة لا زالت تحمل بقايا الالتزام بخط العلماء أم انها

تغيـــرت ... ولكـــن على أية حال فان الواجب الشرعي يحتم على القائدين الفذين ان يأحذا دورهما ويدخلان حلبة الصراع مهما كان الثمن .. وفعلاً فقد وضـــعت الخطة لتتناول جانبين، الجانب الأول؛ هو جانب الإلتزام العقائدي والشـــرعي، والجـــانب الثاني؛ هو الجانب الفكري؛ وقد تبنى الجانب الأول المـــرجع الإمـــام « الحكيـــم » «قـــدس سره» حين أصدر فتواه المشهورة (الشـــيوعية كفـــر وإلحـــاد) وبكلمات ثلاث استطاع أن يقلع جذور الفكرة الشـــيوعية مـــن العراق ويؤخرها حقبة من السنيين الى الخلف، وأن يجعل الحزب الشيوعي ينحسروحيداً في الساحة، وقد إنعزلت جماهيره التي صفقت وهلـــلت له بالأمس، وإذا بالوفود من كل زاوية من زوايا العراق تنهال على بيت الإمام « الحكيم » مبايعة ومهنئة ومعاهدة على الإلتزام بخطه، والبذل فـــي ســـبيله، وأن تواصل الطريق في سبيل تطبيق نص الفتوى في إجهاض الفكر الشيوعي وعملائه في العراق.

وهنا لابد من الوقوف على هذه الحادثة، ودراسة طبيعة ونفسية المجتمع العراقي في هذا النوع من الإستجابة والإلتفاف حول قائده الإمام « الحكيم » « قـــدس ســـره » وهي النتيجة الواقعية له، فلو تصورنا أن الشعب العراقي تـــرك يعيش أحاسيسه ومشاعره وبدون أي ضغوط أو تأثيرات أو تلاعب به وبعواطفه، ثم لو خير بين كل الأفكار المطروحة على الساحة آنذاك، فإنه بلا شـــك ســـيتخذ مـــن العلماء قادة له، ومن مدرسة النجف منبعاً لحياته، يلتزم بخطهـــا لآخـــر قطـــرة من دمائه ... وهذا طبعاً لا يمكن أن يتحقق في هذا الظرف المعقد من صراع الأفكار بين الحق والباطل ..... فالباطل قد كسب جولـــته فـــي تمكنه من الأمة على نطاق الجهل السياسي والفقر الفكري ... والـــذي تـــركه يعـــاني مـــن أمراض اجتماعية كبيرة جعلته عرضة لرياح الشـــعارات البراقة واللعبة السياسية البخبيثة، بحيث أصبح المجتمع بالعراق مجتمعاً غوغائياً يسير مع القوة ويتأثر بالإعلام الكافر ويبحث عن هويته بين

الحكـــام ... وهكذا مجتمع نراه متقلب الرأي سريع التأثر، لا يستند في رأيه عـــلى ثوابـــت وأسس ... وهنا، وبلا شك لا بد أن نقول إن الحرب المدمرة الـــتي خاضـــها المستكبرون لطمس معالم صورة الإسلام ومبادئه في نفوس الأمـــه، وإن تمكـــنت من أن تسلبها هويتها الفكرية والثقافية غير إن العاطفة الدينية المتغلغلة في نفوسها والمتجذرة في أعماقها بقيت راسخة، لذا نجد إن الوفـــود الـــتي جـــائت من كل زاوية من زوايا العراق مهنئة ومبايعة الإمام الحكيـــم « قدس سره » بعد اصداره فتواه بتكفير الشيوعية كان معضمها من المـــناطق الفقيـــرة والبســـيطة والمحرومة، وهي تمثل الإمتداد العاطفي لا الفكـــري، بيد إن وجود هذا الإرتباط العاطفي والميل الفطري الوجداني في نفوس افراد الشعب العراقي غير كاف لجعله يتمسك بهذا الخط لآخر الطريق بسبب فقدان التصور الموضوعي للفكرة والأساس الصلب للإنطلاق لمواجهة الأفكار التي تتحدى المسيرة .

الهجوم الفكري: ــ

وهنا كان على العبقري الثاني الشهيد السيد الصدر أن يأخذ المبادرة في توفيـــر الجانب الآخر وهو الجانب الفكري؛ وفعلاً فإنه إنبرى لذلك الطريق وأبدع فيه وقدم من الفكر ما عجزت عنه الكثير من المدارس الإسلامية .... فأتحف المدرسة الإسلامية بتراث علمي لا يمكن أن يطمر حتى تقوم الساعة ... فأصـــدر كـــتاب « فلسفتنا » و« إقتصادنا » وبهما قوض السيد الشهيد اركـــان الفكـــر الماركســـي وجعلها كسيحة الرجلين مفقوءة العينين؛ لا تجد طـــريقها الـــذي إستبشرت في إيجاده في بداية إنطلاق عام ١٩٥٨، فمتى ما ســـلكت درباً فإن معاول تهديمها قد أشرعتها كتب السيد الصدر لتضرب بها وبأركانهـــا، حـــتى وجدت الامر أصعب مما تتصور، وصار هذان الكتابان يتصـــدران فكـــر الشباب، ليرفعهما الإنسان المتدين وهو فخور ومملوء قوة

وعزيمة في الوقوف ليس أمام الفكرة الماركسية فحسب، بل أمام كل الأفكار الرأسمالية والمثالية، وغيرها من المدارس الفلسفية والإقتصادية في العالم .

ولكـــن الأمـــة لا يمكن أن تدب في كيانها روح الحياة والحركة، بوجود هذيـــن الكـــتابين فقط؛ ولا يمكن لهما أن يحييا عقول الأمة بكاملها، ولا أن يصـــنعا معجـــزة في تطور فكر الأمة من الصفر الى درجة قادرة على لفظ الأفكـــار الأخرى مرة واحدة، وبزمن قصير، ذلك لأن الأمة التي تحمل تلك الســـلبيات العميقة التي ورثتها من تربية المستعمر والغرب الكافر وعاشتها خـــلال حقـــبة طويـــلة من السنيين لا بد لتلك الأمة أن تمر بفترة نقاهة لكي تستطيع أن تستوعب كتاب « إقتصادنا » و « فلسفتنا » .

فهي أمة لم تتعود خلال عشرات السنيين أن ترى الإسلام يتصارع فكرياً وسياســـياً وعـــلمياً مع الأفكار الأخرى ولم يستأنسوا ذلك العمل حيث كانوا يتصـــورون إن هذين الكتابين ما هما إلا إمتداد للكتب السلفية ذات الأوراق الصفراء التي تبحث أعماق الفكر الإسلامي وفقهياته، كما ان هناك سبباً آخر من اسباب عدم معرفة الأمة بقدر هذين الكتابين وإتخاذهما كمنهج في رفضها لكـــل دخيـــلة من دخائل الفكر الكافر؛ هو الوضع الذي كانت تعيشه جامعة الـــنجف العـــلمية، والـــتي تحدثنا عنها سابقاً، حيث كانت تضم طبقة منتفعة إتخـــذت هذا الطريق حباً بالمال والجاه وبتشجيع من الحكام المأجورين، فقد إتخـــذت هذه الفئة موقفاً سلبياً أمام هذا الفكر الجديد المطروح على الساحة؛ لأنهـــم طبقة من الأمة لا يمكن لها أن ترتفع فوق مستوى ما تفكر به الطبقة العامـــة مـــن الناس، كما ان الحسد وحب الحفاظ على المنصب وغيرها من الأمـــور الشخصـــية، والتخلف السياسي في عقليات تلك الشخصيات، جعلتها تقـــف ذلك الموقف السلبي تجاه هذا المفكر العبقري واتجاه فكره الجديد الذي يبحث عن متحد في كل الأمور ....

والســـبب الثالث الذي ادى الى تلك النتيجة؛ هو إنّ عملية التجهيل التي مورســـت مع جميع الشعوب المسلمة ومن ضمنها الشعب العراقي، مما أدّى الى انتشـــار الجهـــل والامية بحيث أصبح العثور على من يقرأ ويكتب من الامـــور الصعبة ،وخير شاهد على ذلك ؛إنّ الاستعمار البريطاني ومن بعده عمـــلاؤه كـــانوا يحاولون أن يجعلوا المدارس ؛وخاصة الدراسات الجامعية تقتصر على اولاد المرتبطين بالسلطة أو اصحاب النفوذ والاموال والمصالح ،أمـــا أولاد الطبقة الفقيرة فلا يمكنهم الانخراط في تلك المدارس ،فإستشرت الأميـــة بشـــكلٍ كاملٍ وعمّ الجهلُ فصار الشعب العراقي لا يقرأ، ولا يحب القـــراءة، وبذلـــك إنحصر فكر الشهيد الصدر ــ في أول وهلة ــ في الطبقة المـــثقفة، والعلماء، وخريجي الجامعات، والطبقات الواعية،وهذه لو قورنت بالسواد العام من الناس فإنها الأقلية عموماً؛ وبذلك صارت الفجوة ما بين تلك الطبقة المثقفة وبين السواد العام من الناس واسعـــة .

ولعـــل القائد قد تنبه الى هذه الفجوة والى هذه الثغرة ... فقرر أن يبني جيـــلاً وســـطاً يحمل مميزات الطبقة الشعبية من الأمة وفكر الطبقة المثقة، ليعطـــي من كليهما ويأخذ منه، وهي طبقة المبلغين أو الوكلاءالذين يضعون قلوبهم مع السواد العام من الناس وأفكارهم مع المثقفين تارة، وبالعكس تارة أخـــرى، حـــتى استطاع القائد أن يلئم ذلك الجرح الكبير الذي كاد أن يؤدي بالأمة الى كارثة لولا حكمته وبعد نظـــره .

مواصلة الإمداد الفكري:ــ

ولـــم يقتصر الإمام القائد على هذين الكتابين في تحدي الأفكار الأخرى غيـــر إلإســـلامية فقط، بل انه طرح سلسلة الفكر على شكل نموذج مصغر ومبسط تقرأة الأمة وتفهمه، وتكون مرحلة أولى للقفز أو للغور الى الأعمق، فأصـــدر سلســـلة « المدرسة الإسلامية » وتبعه كتاب « البنك اللاربوي في

الإســـلام » كمـــا ان السيد القائد فكر في إنشاء فكر دوري يطرح الى الأمة وبشكل مستمر ومتجدد، فأنشأ « دار الأضواء » تعالج قضايا الفكر وتحاكي عقول الامة، وتشخص الداء، وتضع الدواء .... وهنا إنهزم الفكر الماركسي، وانقـــلب الأمـــر عـــلى المسيرة الحمرَاء، وصاروا يجمعون شتاتهم وبقاياهم ليفروا من الساحة بعبقرية هذين الرجلين، فعلى المستوى الشعبي كانت فتوى الســـيد الحكيم وعلى ألسنة الخطباء الواعين لها أكبر الأثر في نفوس الأمة، بينما كان الفكر الذي طرحه العبقري الثاني السيد الصدر له دوره الفعال بين الطبقات المتعلمة والمثقفة .

فترات بداية الستينات :ـــ

ومـــا أن تدخـــل الأمـــة في العراق بداية الستينات حتى نجد إن الحركة الإســـلامية قد بدأت تتخذ طابعاً جديداً في التحرك وطرح الفكر على الساحة وبصـــورة جديـــدة تختلف عن الصور السابقة، حيث أنها بدأت تستعيد قوتها وعـــنفوانها ... إنها ولا بد أن تصل الى المرحلة التي سرق منها الإستعمار الكافـــرُ جماهيـــرها ... مـــرحله القيـــادة، ثم إن الأمة بدأت تستوعب الفكر الإسلامي بشكل جديد يختلف عن الفهم الذي كانت تفهمه .

إن الإمـــام الشهيد الصدر قد أسس القاعدة وأنشأ الأركان ووضع اللبنات الأولى، ورسم الطريق، وأعطى للجيل المثقف المتعلم سلاحه الماضي، وأعاد ثقـــته بنفســـه في مواجهة أي فكرة يطرحها الحاكم، أو المتسلط أمام الفكرة الإسلامية .

النتيجة: ـــ

وأمام هذا المصير السيء الذي وصل اليه الحزب الشيوعي في العراق، وأمـــام العزلة الجماهيرية التي أحدثتها فتوى الإمام الحكيم، فإن « عبدالكريم قاسم » وجد نفسه أمام خيارين، أما أن يتخلص من « الحمر »، أو أن يُعزل

هــو إجتماعياً لذا فإنه إختار الطريق الأول فضربهم ضربة موجعة ثم ذهب الى « الإمام الحكيم » وكان (رض) وقتئذ يتعالج في أحد المستشفيات وكأنه يحاول أن يعتذر عما بدر منه من تأييد لهم ...

وقبل الإنتهاء من سرد أحداث هذه الفترة من تاريخ الشهيد السيد الصدر، نجد أن الفكر الماركسي الذي تبناه الغرب وطرحه مقابل الفكر الإسلامي قد أجهض بجهود الإمام الصدر والمرجع الإمام الحكيم، كما لا حظنا ..

استعادة مواقع ولحظات تفكير:ــ

وهكــذا خــرجت مدرسة النجف العلمية وهي تحمل وسام النصر مكللاً بالغار نسجه العبقريان الكبيران « الحكيم » و « الصدر » بعدما ضربا المد الأحمر ضربة موجعة قاصمة للظهر .

وهــنا لا بــد لــنا وأن نشير أن الفتوى كانت ضد الفكرة ولم تكن ضد الأشــخاص بأي حال من الأحوال، لأن القائد يعلم ان الجهل وعدم الإدراك وتخــلف الوعي السياسي هو الذي قادهم الى هذا المطب الخطر . فلو أنهم ادركــوا حقيقة الأمر لم ينتموا الى الحزب الشيوعي، ولكن هذه حالة شعوبنا ... فكانت الفتوى « الشيوعية » أي الفكرة أو الإطروحة النظرية هي « كفر وإلحاد » .

والحقيقة فإن هذه الفتوى لم تكن موجهة الى الفكرة الشيوعية فحسب بــل انهــا كانت تهديد مبطن لكل فكرة غريبة تحاول أن تدخل الى مجتمعنا لضرب الفكرة الإسلامية ...

عندها صارت مدرسة النجف محط الأنظار ومطمح الآمال، فكانت تنظر اليهــا الأمــة نظرة القيادة الحكيمة الصادقة، فبايعها الناس مجدداً بعد مبايعة ثورة العشرين، فكان محمد باقر الصدر رجل الفكر الأول ينظر بفكره الثاقب الى هــذه الأفــواج مــن الأمة وهي تبايع قائدها الحكيم، وكان ينظر بعين

المستقبل فيرى إنّ هذا الإرتباط الفكري العاطفي يميل ويتأرجح حسب الظروف، وتتلاعب به عوامل الخوف وتحركه نزوات الشخص، وتبعده أو تقّربه القوة، فكان يحاول أن يبدأ العمل على إستكمال هذه الخطوة، واستثمار النتائج الإيجابية الكبيرة التي تمخضت عنها هذه الفتوى من لدن الإمام الحكيم « قدس سره » والتي جعلت الشيوعية، بل كل الأفكار الإلحادية والإشتراكية والعلمانية تترنح تحت هذه الضربة الموجعة، والصفعة القوية التي وجهها هو « رحمه الله » لأفكار هذه الأحزاب بكتبه التي أخذت تنتشر انتشاراً واسعاً وكبيراً في أوساط شباب الأمة وجموع مثقفيها الذين أخذ الكثير منهم ممن إنخدع بأفكار هذه الأحزاب بالتوبة والتراجع عنها وعن أفكارها الضالة المنحرفة، فصار الإسلام يعيش حالة الإنتعاش والقوة ويعيش حالة الهجوم بعد أن بقي أمداً طويلاً يعيش حالة الدفاع عن النفس والتراجع .

نعم، لقد فكر الشهيد الصدر أن يستثمر هذه الجهود بالحفاظ على ديمومة هذا التوجه الإيماني العاطفي الذي أخذت تعيشه الأمة بخلق جيل من الدعاة تتحمل هذه المسؤلية في التغلغل في وسط صفوف الأمة ويبني الشخصيات التي على أكتافها تستثمر هذه الفطرة السليمة في نفوسها، وإلا فإن هذا المد الجماهيري لا يستبعد أن يسرق منها بين عشية وضحاها، ولكن هذه العملية ليست بالهينة إنها عملية تغيير أمة وتحويل مسير شعب، إنها من أصعب القضايا في عالم الإنسان .. إنها كلمة خفيفة على اللسان ولكنها ثقيلة في الميزان ..

جلس القائد يفكر وقد أحاطت به جل الإحتمالات الممكن حدوثها في هذا البلد، وأمامه تاريخ العراق وتاريخ هذا الشعب المتغير الأطوار ... إنه يعيش المحنة بأوجها، إنه يعيش أصعب وأهم مسؤلية القاها الله سبحانه في تفكير هذا الرجل لأن من يدرك الواجب عليه أن يصل بفكره الى إنتهاجها، إن الرجل ما زال يعيش مآسي الماضي وأحزانه، إنه لا زال يتذكر كيف زرع

العــلماء الثورة في عام ١٩٢٠ وحصد الناتج غيرهم، فالرجل لم يتعامل مع مجتمع بسيط، انه يتعامل مع مجتمع مغلق ومتلون .

وحادثة أحد علماء ثورة العشرين لازالت ماثلة في ذهنه، تعطي إنموذجاً للنفسية العراقية ... فقد ذهب العالم كقائد للجيوش يقودها الى البصرة متوجهاً لمقابــلة الــبريطانيين، وفــي منتصــف الطريق نزل ليصلي صلاة الظهر والجماهيــر خــلفه تهلل وتكبر وتدعو بالنصر، وما إنتهى من صلاته حتى إنشــغل مع بعض الشخصيات المعنية بأمور الإدارة، ثم التفت واذا بسجادته الثمينة والتي داوم على اداء صلاته عليها منذ فترة طويلة قد سرقت فتعجب واســتدعى شيوخ العشائر للتحدث معهم حول الموضوع فأجابوه بكل براءة، أن اتباعــنا لــك شــيء وســرقة سجادتك شيء آخر، انهما عمليتان ليستا متناقضتين ... نعم نحن نموت تحت أمرك ونبذل دماءنا لتوجيهاتك، لكن هذا لا يمــنع أن نســرقك .. العالم الجليل لم يعد يصدق ما حدث، وهل أن هذا الحديــث من باب الهزل أم الجد، ولكنهم طمأنوه إنه من باب الجد، وإنه من الأفضل له أن يسكت على هذه الحالة .

وحــوادث، مشــابهة تعيش في ذهنية الإمام القائد، وهو العارف المتبحر الذي يحسب الأمور بأعماقها ويدرس الأشياء بخلفياتها .

رابعاً :ــ السيد الشهيد الصدر القدوة الحسنة:ــ

يمــتاز مذهــب أهل البيت (ع) عن سائر المذاهب والاديان بأنه يوجب وجود القدوة الصالحة أو من ينوب عنها في كل عصر، فالارض لا تخلو من حجة، تلك حقيقة لا يختلف فيها فردان، فالرسول (ص) ارسله الله كي يكون مبــلغاً لرســالته وأن يكــون القدوة في التطبيق، وهذه القدوة تمتد في الأئمة ألاطهــار (ع) ثــم تنــتقل هذه الوظيفة الألهية في العلماء الربانيين ((الذين

شخصهم الامام (عليه السلام) ، الصائنين لهواهم، الحافظين عهود مولاهم)) وعلى جميع ابناء الامة ان يقتدوا بهم ويهتدوا بهداهم يسيروا على خطهم، لذا تجد العلماء مراجع الحوزة يتقدمون الصفوف ينامخون عن الاسلام يؤصلون مبادئه وقيمه في النفوس من خلال تطبيق هذه المبادئ والقيم على نفوسهم، وحين يدلهم الخطب تراهم يتقدمون الصفوف ذابين عن حياض الاسلام وقوته ومنعته، ولهم في أمير المؤمنين (ليه السلام) أسوة حسنة:ـ ((ولعل بالحجازاو اليمامة من لاطمع له في القرص ولا عهدله بالشبع؟)) او يقول ((اوابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرى ..؟))

(ءأقنع من نفسي بان يقال: هذا امير المؤمنين، ولا اشاركهم في مكاره الدهر؟) .

لقد سار بعض مراجعنا على ماسار عليه أمير المؤمنين (ع) وأبناؤه وقد تنبه الاستعمار لهذا الامر وخطورته على مصالحه، فأخذ يثير الشائعات حول شرف العلماء وأبتعادهم عن الأمة، وكم روّج الشيوعيون لهذا الامر ـ فكان أكبر ماترك الإستعمار من تركاته الثقيلة هو عدم وجود القدوة الحسنة التي ترى فيها الناس أخلاق علي (ع) تلتف حوله جموع الأمة، لقد تنبه السيد الشهيد لهذه الثغرة الخطرة فأخذ يعمل جاهداً على سدها بما اوتى من سلوك وحسن تعامل مع الناس، فكان يتواضع للصغير[1] والكبير للغني والفقير، ويعامل الكل بدماثة اخلاق تمتزج فيها ورع وزهد وتواضع، مما جعل النفوس تهفو إليه، شباب الأمة وشيبتها، رجالها ونساؤها، فهو الأب والأخ والصديق، بل شمل عطفه حتى رجال ألامن الذين كانوا يحاصرونه في بيته

---

١ ـ اتذكر ان الوالد السيد جواد شبّر كان بعد ما ينهي مجالسه في منزل الشهيد الصدر فان السيد كان يزورنا الى المنزل ليقدم الشكر الى الوالد ، ولا انسى خلقه الرائع عندما يقوم لنا من مجلسه ونحن صغار.

أيــام المحــنة ... وأن له فــي ذلك لقصص وقصص ... اورد منها الشيخ النعماني جزءاً يسيراً .. فيقول :ــ (كانت السمة العاطفية في شخصية السيد الشــهيد «رحمــه الله» تشكل نقطة ضعف في نظر البعض، وكان يلام على ذلــك، ويُنــتقد ــ ومــن العجب أن يُنتقد الانسان على حسناته ــ بل استغل الــبعض هذه السمة ممن أرهبهم شموخ السيد الشهيد وامتداده في الأمة، بعد أن عجــزوا عــن العثور على سلبية في شخصيته أو سلوكه، فشنّوا حملات كــبيرة من ألانتقاد والتشهير تثير العجب، وكانوا يقولون ((ان السيد الصدر عاطفي لا يصلح للمرجعية وقيادة الأمة))[٢] ؟!

واعــتقد ان هؤلاء الذين ينتقدونه على ذلك، ويعتبرون هذه السمة نقطة ضــعف فيه ــ أيا كانوا لا يعرفون حقيقة الشهيد الصدر، بل لا يعرفون ما يجب أن يتوفر في القائد من سمات ومقوّمات وصفات، بل لعلهم لا يفهمون ســيرة نبينا محمد (ص) وأئمتنا (عليهم السلام) مع المؤمنين والمسلمين على امــتداد الــتاريخ الاســلامي، رغــم انهــم يرددون مقاطع من تلك السيرة ويستشهدون بها في أحاديثهم وخطبهم.

كــان (رضوان الله عليه) يتألم حين ما تبلغه تلك الانتقادات، لا لأنها تمســه شخصياً، فما اكثر المواقف والانتقادات التي استهدفته فتجاهلها وكأنها لــم تكــن، أو كأنه لم يسمع بها لأنها شخصية، بل لأن هذه الأنتقادات كانت تصبّ في اطار تهديم الحوزة والمرجعية، وهو ما كانت تستهدفه السلطة.

لقد سمعت (والكلام هنا للشيخ النعماني) يقول: ماذا يريد هؤلاء منّي، هل يريدون ان اتعامل مع الناس بجفاء وخشونة، هل يريدون أن لا أمنحهم حبّي، اذ كيــف يمكــن للاب أن يربّي أبناءه بقلب لا يحبهم، اليس هؤلاء هم الذين

---

٢ ــ ولا عجب من ذلك، الم يقل ذلك الرجل (الفظ الغليظ) لامير المؤمنين(ع) : لولا فيك دعابة!. فابتسامة علي(ع) للايتام وادخاله السرور عليهم تعتبر (مثلبة) في قاموس هؤلاء..؟؟

سـيحملون راية الاسلام ويدافعون عن كرامة القرآن، اذا كنا لا نسع الناس باموالنا، فلماذا لا نسعهم باخلاقنا وقلوبنا وعواطفنا* ؟

فمـثلاً فـي يـوم من الأيام حاولت (لازال الكلام للشيخ النعماني) أن اشـتري جهاز تكييف، من دون إذنه لأن والدته ــ حليفة الورع والتقوى ــ مصابة بمرض في جهازها التنفسي، وكان الدكتور .. قد اخبرني بأن حالتها ستسـتمر بالـتدهور .. وفي اليوم التالي ذهبت الى السوق لأسأل عن سعر الجهاز كي استأذن السيد الشهيد في شرائه، ولم اكن اخبرته برأي الطبيب .. وهنا كانت المفاجأة، لقد غضب غضباً شديداً، وتغيرت ملامح وجهه، واعتقد اني لوكنت ابنه الصبي لضربني في تلك الساعة، ثم خاطبني منفعلاً بقوله:

« هل مات احساسك ؟ هل تريد ان أنعم بالهواء البارد وفي الناس من لا يمـلك حـتى المـروحة البسيطة ؟ الم تعلم بأني اريد لهذه المرجعية حياة البساطة والإكتفاء بأبسط مظاهر العيش، بل الضروري منه ؟ » فوالله العظيم لقـد اذهلتني الصدمة وأنا ارى السيد الشهيد قد بلغ به الإنفعال اشده وكأنه لم يعرف للعاطفة والمحبة محلاً في قلبـه .

فقـلت لـه: الطبيب نصح بذلك .. هنا عاد « رضوان الله عليه » الى وضعه الطبيعي، وبدأ يخفف مما أحسه في نفسي من أثر، وقال:

« انا يا ولدي اريد ان اغير هذا الواقع بقولي وفعلي، وعليك ان لا تنسى هذه الحقيقة في كل تصرفاتك واعمالك في المستقبل [1].

---

* وهذا الكلام مأخوذ من جده امير المؤمنين (ع) القائل : انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاكم وطلاقة الوجه.

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ــ النعماني ص ٩٨.

لقــد امتدت تلك العاطفة، وهذا الشعور بالمسؤولية، وذلك الحرص على كيــان المــرجعية حتى في أحلك الظروف أيام الحصار الذي فرضته عليه السلطة الغاشمة فيقول النعماني:

« فمــن تــلك المواقف العجيبة ما رأيته حينما صدر حكم الإعدام على الشهداء الخمسة في عام ١٩٧٤ إذ تأثر غاية التأثر، كان الحزن يخيم عليه، وكان الأسى يملأ قلبه، لا يقر له قرار، ولا يهدأ له حال وكأنه قد ثكل باعز أولاده، وأصيب بما يشبه الشلل، دخلت عليه في يوم من ايام « حادثة اعدام الشــهداء الخمســة » « رحمهــم الله » في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر فوجدته يبكي والدموع تجري وكأنه فقد أعز عزيز عليه، فقلت له سيدي؛ أذا كنت تفعل هكذا، فماذا يجب أن أفعل أنا وأمثالي؟!

كفكف دموعه ثم قال لي:

« والله لــو ان البعثيين خيرّوني بين اعدام أولادي الخمسة وبين اعدام هؤلاء لأخترت اعدام أولادي وضحّيت بهم، إن الإسلام بحاجة الى هؤلاء لا الــى أولادي [١] .

ان الحديث عن اخلاق السيد الشهيد الصدر ومواقفه ليطول ويطول ولكن توخيــنا الإختصــار، فبتلك الأخلاق العالية والشمائل والخصال أعاد الشهيد الصدر للحوزة هيبتها وتمكن من كسر الحاجز الذي طوقها به المستكبرون، فعادت الأمة الى احضان مرجعيتها حيث، جاء المثقفون والجامعيون والطلبة والفلاحــون، وجاء بسطاء الناس يسألون عن ضالتهم، يستشفون في الاسلام دواءهم، ينهلون من معين علمائهم، لقد تمكن الشهيد الصدر من ان يزيح عن صــدر الحوزة تلك التركة الثقيلة التي أخذت تنوء بها اعوام طويلة بطرحه

---

١ ــ المصدر السابق ص ١٠٢

القــدوة الحســنة والمــثال الطيب الذي كان يستمد خلقه من أئمة أهل البيت «عليهم السلام» فوجدتها الأمة لدى السيد الشهيد محمد باقر الصدر «رضوان الله عليه» .

الفصل الرابع

البعث لعبة الماسونية العالمية لحرب الإسلام

أولاً: ــ المنشأ:

ثانياً: لماذا البعث بالذات؟

ثالثاً: ــ اساليب البعث لإركاع الشعب العراقي.

رابعاً: البعث حرب على الإسلام.

اولاً:ــ المنشأ:

جــرب الغــرب والشرق حظهم بخطتهم الجديدة في الهيمنة على العالم الإســـلامي بـــزرع الكيانات والشخصيات العميلة لها، بعد أن فشلت طريقة المواجهـــة المسلحة والغزو المباشر فاستبدلوا طريقتهم القديمة بطريقة أكثر لؤماً وحقارة، فبادروا ليقودوا عملية مبطنة مدروسة ومحكمة، فأخذوا يغرون عملائهـــم بشتى طرق الدعم والمساندة والمؤازرة مادياً ومعنوياً، بمسرحيات مفـــبركة وكان الثقل الأكبر، والفصل الأشد خطورة هو مشهد هيمنة الحزب الشـــيوعي، لا على الشارع العراقي فحسب، بل على عموم الشارع العربي والإســـلامي، وإن كـــان يـــتفاوت بيـــن أرض وأخـــرى تبعاً لطبيعة القوى المتصـــارعة والمضادة الموجودة، وتبعاً لأهمية تلك الدولة لمصالحها، وكان نصـــيب العـــراق مـــن ذلك الزخم كبيراً، فاستحوذ الشيوعيون على الشارع العراقي وعلى عموم أبناء المجتمع من الطلبة والفلاحين والمثقفين بشعاراتهم الـــبراقة ووعودهم المعسولة، واساليبهم التي أسلفنا الحديث عنها، حتى صار الإنســـان العـــراقي بكله يشارك في المظاهرات ليهتف « الحزب الشيوعي بـــالحكم مطلب عظيم » أو « ما كو مؤامرة إتصير والحبال موجودة » الى غيرها من الشعارات التي كانوا يهتفون فيها بمظاهراتهم الصاخبة، واستحوذ الكتاب الإلحادي على عموم المكتبة العراقية .

فـــي ذلـــك الجو كان العلماء الواعون يرصدون ذلك التحرك الهائل كماً وكيفـــاً، وكـــانوا لا يملكون أن يعملوا شيئاً إزاء هذا الضجيج إلا صرخات تذهـــب أدراج الرياح، كانوا يكتبون لكن الناس لاتقرأ، الشباب لا تقبل على الكـــتاب الإســـلامي، لأنـــه كان يُكتب بلغة مغلقة رمزية يغلب عليها السجع

والأساليب البلاغية القديمة التي لم تعد تستسيغها الشرائح المثقفة في المجتمع، حتى صار الفكر الإسلامي غريباً عن أذهان أبناء الأمة وفِهم شبابها.

في ذلك الخضم يولد السيد الشهيد الصدر، وفي ذلك الأتون تحترق أصابع الكثير من المؤمنين، بل أيديهم حتى وصلت النيران الى رؤوس البعض منهم فأخذوا يستغيثون، فكانت الإستجابة العظيمة لزعيم الحوزة آنذاك الإمام السيد الحكيم « قدس سره »، فيصدر فتواه، فإذا هي الضربة القاصمة، وإذا بالنمر الورقي يترنح تلاحقه الضربات القاسية على يد السيد الشهيد الصدر بذلك اليراع الأخّاذ وبذلك المنطق الذي سحر الألباب بكتبه التي صار يتلقفها الناس ويقبلون عليها بشكل هائل، فصار مفكروا الشيوعية ومنظّروها يفرون مذعورين خائفين أمام هذا الزحف المقدس، بل إستسلموا للهزيمة كليةً .

إن الإستعمار كان يترقب ذلك الحدث، فهو قد خَبر الحوزة ورجالاتها الأفذاذ، فهم وإن صبروا على الظلم والضيم برهة لكنهم لا يخنعون ولا يستكينون، ثم إن الغرب لم يكن يرغب بإستحواذ الشيوعيين على السلطة، فهم بالنسبه له سلاح ذو حدين، يقتل بهم ويقتلهم فيما بعد ــ وذلك ديدن كل الطواغيت ــ فهم يستخدمون العملاء والمأجورين ليبطشوا بالأمة، ف (من اعان ظالماً سلطه الله عليه) كما يقول نبينا (ص) ، فسرعان ما تخلى الغرب عن صنيعته، وترك الشرق ربائبه ومن إرتموا بأحضانه، لكنه كان قد أعد البديل، الإلحاد والشيوعية بوجه جديد، وجه مغلف بغلاف القومية العربية وبشيء من الشعارات الزائفة في العودة للتراث والإستفادة من التاريخ ، وفي فترة تعرفت الأمة على الشيوعيين وزيف مبادئهم، وفشل شعارات الأممية التي طرحوها والتي أثبتت زيفها بسبب محاربتها للقيم والمباديء التي عاشتها الأمة فترة طويلة من الزمن، فلا بد من الإتيان بشيء مضاد للأممية ولما يسمى بـ « دكتاتورية البروليتاريا »، ويحمل وجه القومية التي تصاعد

حســـها ، وعلى يد رجل مسيحي تربى في أحضان الصليبية، وأعدته محافل الماسونية « ميشيل عفلق » وثلة من المأجورين كشبلي العيسمي والياس فرح وغيـــرهم، الذيـــن عهـــدوا الى تأســـيس « حزب البعث »، كي يتبعهم كل المتمردين على مباديء الإسلام واخلاقه وعقائده، من ابناء هذه الأمة، « إن عفلق شاء أم أبى لا يستطيع أن ينفك عن صليبيته في المواقف، وعن كنيسته في الأفكار والآراء، فقد تحول عقله ووجدانه وتحولت عواطفه ومشاعره الى كنيســـة ناطقة في شخص مبشر عصري مكنه الإستعمار من النفوذ الى قلب الأمـــة العربية ليزرع فيها أفكار وآراء الكنيسة تحت غطاء القومية العربية، هـــذا مـــن جهة، ومن جهة أخرى، يسلب من هذه الأمة سر أصالتها وقوتها المتمثل بإسلامها ويفرغه من محتواه الإلهي ليجعله هيكلاً خاوياً قابلاً للتغيير والتبديل .

وقـــد عبر عن ذ لك بوضوح في كتابه « في سبيل البعث» تحت عنوان «في ذكرى الرسول العربي » قائلاً: « إن الإسلام في رأيه تعبير عن العقلية العربيـــــة » [١] .

أو يقـــول: « كـــان محمـــد كل العرب فليكن كل العرب محمداً »، وهو بمقولته هذه أراد أن يقرر إن الإسلام جاء نتيجة طبيعية لما أفرزته الحاجات الإجتماعية والأفكار السائدة عند العرب آنذاك « وليس شريعة الله للبشر » .

هذا هو مؤسس حزب البعث وقائده وأمينه « الى أن مات »، وهذه هي أفكـــاره وآراءه الأساســـية، وبهذا نستطيع ان نقول: ــ إن حزب البعث هو أفضل وأنضج طريقة استطاعت مدرسة الإستشراق التبشيرية ابداعها لغرض إمـــداد الإســـتعمار ونفـــوذه في أوساط الأمة العربية بعد أن فشلت الأساليب

---

١ ــ في سبيل البعث ــ تحت عنوان « في ذكرى الرسول العربي تاليف « ميشيل عفلق».

التقـليدية الـرامية الى سـرقة الأمة العربية من الإسلام العظيم، ثم تدمير مقومـات وجودها كأمة رسالية، وبذلك تتحول الى مجموعة بشرية خاضعة للصليبية، خانعة للإستعمار خادمة لمصالحه وأهدافه [١] .

ثانياً: ــ لماذا حزب البعث بالذات ؟؛ : ــ

قـد يثار سؤال وهو: ــ لماذا تدّعون إنَّ الإستعمار قد هيأ حزب البعث ليكـون أداتـه في المنطقة؟ وما هي المؤهلات التي يمتلكها البعثيون والتي تمكنهم من أنْ يجيدوا اللعبة ويتربعوا على كرسي الحكم لتنفيذ اهداف الغرب واغراضـه مـن خلالهم؟ ثم لماذا لم يُصَرْ الى إختيار غيرهم في هذه اللعبة الدوليـة الـتي حاك خيوطها خبراء الماسونية بالتعاون مع أساطين السياسة الشرقية والغربية؟ .

أسـئلة كثيرة تكشف أجوبتها الوقائع والأحداث التي مر بها العراق طيلة فترة حالكة الظلام مر بها من خلال حكم البعثيين له .

لقـد جاء حزب البعث الى العراق، حيث كان هو الفئة الوحيدة المرشحة لإستلام الحكم في العراق، فليس هناك من خيار أمام ترشيحه لهذا المنصب، فهـو ذخيرة الغرب وقت الأزمات، واذا أعيت الحيل، وانسدت الطرق فانه مفـتاح الحل للأوضاع المغلقة المتأزمة، ولقد ذكرنا في هذا الموضوع كيف إن (عبدالسلام عارف) في سنة ١٩٦٣ م ، وحينما قاد انقلابه ضد البعثيين، قد وضع اعضاء القيادتين في طائرة خاصة ونقلهم الى باريس، وهو تصرف غـريب كـل الغرابة فيما اذا عرفنا انه كان على علم إنهم اعداؤه الأ لداء، وانهم الذين ينازعونه السلطة، وانهم قد تحين لهم الفرصة لإستلام الحكم منه

١ ــ العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل ــ ص ٦٥

ثانية .. كل ذلك كان واضحاً في تفكيره، ولكن مع كل هذا فإنه فعل ما فعل وأوصلهم بسلام وأمان .. وهذه الحادثة هي كافية لأن تدلل على مدى نظرة الإستعمار للإستفادة من هؤلاء في وقت الحاجة، وهنا كانت الحاجة في منتهى الأهمية، فنكسة حزيران عام ١٩٦٧ م تعيش في أذهان الأمة، وأن الناس تشعر إن حكامهم مهزومون وضعفاء، وإن وجودهم غير قادر على الصمود أمام أية ثورة جماهيرية قد تحدث، أو رفض شعبي عام لهم ،وهذا ما لا يرغبه الإستعمار .

وليس ذلك فقط بل إن السبب الآخر؛ هو نزول الفكر الإسلامي بعنفوانه وطاقاته الهائلة الى الساحة ليحتل عقول الأمة وشبابها، كما وان النفط الذي يسيل له لعاب الغرب قد وجد وبصورة هائلة وبإحتياطي ضخم في جنوب العراق ،إذاً لماذا الإنتظار ... وفعلاً كان حزب البعث هو المرشح لا غير،فالشيو عيون مرفوضون فطرياً عند الشعب العراقي بعد فتوى (الإمام السيد الحكيم) ، والقوميون لا يحققون شيئاً من المفهوم العملي لربط الناس بالدولة، كما وإن صورة رجل القومية العربية آنذاك تهتز، بل وتضعف بعد نكسة حزيران وبعد حرب اليمن وفشل التجارب القومية الأخرى، أما الأحزاب الصغيرة الأخرى فإنها أحزابٌ ليس لها في واقع المجتمع شيء، وانها لا تملك مؤهلات حزب البعث من ناحية مستقبل إخلاصه للغرب، وفعلاً كان لابد للإستعمار أن ينفذ خطة جهنمية يعطي على ضوئها هذه الأرض وما عليها ومن عليها لقمة سائغة لحزب البعث، فهيمن ليجعل أموال الله له ولأسياده دولاً وعباد الله ــ الشعب العراقي المسكين المضطهد ــ خولا.

إن المتتبع لمجريات الأحداث يمكن أن يستخلص بعض المؤشرات التي تنم عن مجموع المؤهلات التي يتمتع بها حزب البعث، كي يعطيه أسياده

الـــثقة الـــتامة في النفوذ وبسط اليد على بلاد الرافدين، ويمكن تلخيصها بما يلي:ـــ

١ ـــ إن رئيسه ومؤسسه: (ميشيل عفلق) الرجل الثقة بالنسبة للكنيسة العالميـــة وللغرب، حيث تربى في أحضانها وهضم مبادءها ، ثم ارتوى من معيـــن الماركســـية الإلحاديـــة، فصارت أفكاره مزيجاً من الأفكار العلمانية الإلحادية ومن الأفكار اللاهوتية الكنسية .

٢ ـــ حـــزب الـــبعث خاض تجربة السيطرة على الحكم عام ١٩٦٣ م والتي أذاق العراقيين فيها الويلات من خلال ما يسمى بالحرس القومي، وهذه التجربة وان لم تستمر طويلاً، حيث فشل البعثيون في الحفاظ على ما حصلوا عليه، لكنهم إتخذوها درساً وعبرة استفادوا منها فيما بعد .

٣ ـــ إن حـــزب الـــبعث نسخة مزيفة للشيوعية التي لا تعترف بالله أو بـــالقيم والمباديء الدينية، وان كانوا يغطون ذلك بورقة توت واهية، سرعان ما مزقتها تصرفاتهم وأفعالهم .

٤ ـــ رفـــع البعثيون شعار القومية العربية، في أوج تصاعد المد القومي فـــي العـــالم عامـــة، ولـــدى العرب خاصة أبان الإنقلاب الذي قام به جمال عبدالناصـــر فـــي مصر وتجاوب جميع العرب في بقية الأقطار العربية معه كرد فعل للأممية التي رفع شعارها الشيوعيون .

٥ ـــ إن قادة حزب البعث جلهم من المسيحيين المقربين لدى الغرب أو ممن تربى في أحضان الكنيسة أو الغرب .

٦ ـــ إخـــلاص البعـــثيين لـــلغرب ابـــان الأحداث التي جرت في العالم العربي، كما هو الحال في الأحداث التي جرت في سوريا .

٧ ـــ لقـــد إعـــتمد حزب البعث على ماكان يمتلكه من عصابات مجهزة بـــأحدث وســـائل الإغتيالات، ومنها عصابـــة (قني) التي كان على رأسها (صـــدام) ؛ تـــلك العصـــابة الـــتي أخذت تثير الهلع والرعب وتسفك الدماء

للسيطرة على الشارع العراقي، وقد كان آخر لعباتهم الإجرامية عصابة (أبو طبر) التي روّجوا لها بتكتيك مبطن في أجهزتهم الإعلامية، وكل العراقيين، وخاصة أهالي بغداد، عاشوا أجواء مرعبة منذ الفترة الأولى لمجيء البعثيين للحكم .

٨ ــ اعتمد حزب البعث التركيبة الطائفية العنصرية، فجميع قادة البعث والمتــنفذين والذين بيدهم زمام الأمور ينتمون الى عشائر متقاربة في النسب والمذهب، فهم بين تكريتي وعاني و راوي وسامرائي و دليمي، واذا وجدت فيهــم شخصاً آخر فهو تابع ذليل وعبد مطيع شفاهه على نعال الطغاة ، ولقد حــاول البعــثيون التغطية على هذه الوصمة فأصدروا قراراً منعوا بموجبه استخدام الألقاب في الدوائر والمؤسسات الرسمية في جميع المخاطبات .

ثالثاً : ــ أساليب القمع البعثي لإركاع الشعب.

إن الأحــداث المتلاحقة التي رافقت مسيرة حزب البعث منذ مجيئه الى السلطة، بل وحتى قبل مجيئه، أوضحت وبكل جلاء إن البعث هو الأداة التي أجمــع الغرب والشرق على صياغتها ورسم آيديولوجيتها ودعمها ومساندتها لــتحقيق أهدافهم في ضرب الإسلام والأمة الإسلامية في الصميم من خلال الهيمــنة عــلى العراق، فلم يسبق أن إجتمعت كل تلك القوى على أمر كما أجــتمعت عــلى دعمها ومساندتها للبعثيين طيلة فترة بسط نفوذهم على بلاد الرافدين المنكوبة بهم، فقد تدفق الخبراء وتدفقت الشركات، وتدفقت الأسلحة المــتطورة وتكنلوجيا الدمار الحديثة منذ اليوم الأول لمجيء البعثيين، ويزداد ذلــك كــلما أحســوا بــأن ثمة خطر عليهم، وإن فترة إعلانهم الحرب ضد الجمهوريــة الإسلامية في إيران لهو خير شاهد، لقد كان الخبراء الفرنسيون والألمــان والأمريكان يأتون لدراسة وضع الجبهة، وتحديد نوع السلاح الذي

يمكن أن يكون فاعلاً ومؤثراً في التصدي للقوات الإسلامية وتدميرها ووقف تقدمها، وكانت الأموال من دول الخليج تسيل كنفطهم لسد حاجة البعثيين من الأمـــوال لإدامة أتون الحرب التي ذبحت الشعبين المسلمين، ثم إن الضباط العـــراقيين كـــانوا يذهبون الى الأكاديميات الروسية والغربية للتزود بالخبرة الغربية التي يستخدمونها في قتل إخوانهم المسلمين من الشعب الإيراني .

نعـــم، لقـــد تم إعداد حزب البعث ليرفع شعار القومية في سبيل ضرب الإسلام وتدمير القاعدة الجماهيرية الملتفة حول قيادتها العلمائية، والتي سبق وأن أذاقـــت المستعمرين الامرين ، فوضعت خطة محكمة الخطوات للهيمنة على الشعب العراقي وبالتالي قتل الإسلام وكبح جماحه في مواجهتهم .

لقـــد أعطى البريطانيون والأمريكان والروس أجمعهم الضوء الأخضر لحزب البعث وأعطوه الملف الكامل للعراق وما إستفادوه من خبرة وتجارب كي يستفيد منها .

جـــاء حـــزب البعث المشؤوم وهو يحمل ملفاً كاملاً عن طبيعة المجتمع العـــراقي وحالته النفسية ومستوى تفكيره، وتصرفه مع الأحداث وموقفه من الحكـــام ومن الشخصيات التي تحاول التسلط على الشعب، ومتى يثور، متى يستكين، متى يقبل الذل، متى ينتفض، كل تلك الأمور قدمها السكرتير الأول للســـفارة الـــبريطانية في العراق الى رجال حزب البعث، كان الملف يحوي دقـــائق الأمـــور في هذا المجتمع، من عاداته وتقاليده وشخصياته، ويحتوي المـــلف ايضـــاً عـــلى أقسام المجتمع العراقي ومدنه وخصائص كل مدينة، والأديـــان المنتشـــرة فيه، وحتى الثروة الإقتصادية المتوقعة في كل سنة من الســـنين القادمة، فكان مثمراً لرجال الحزب في العراق، خصوصاً ما يرتبط بجـــانب الحالـــة النفســـية للمجتمع العراقي، والتي عرفها البريطانيون جيداً وعاشـــوها وكتبوا عنها وجربّوها، وتوصلوا الى الجهات التي يمكن الإعتماد عليها من خلال تجاربهم الماضية في العراق، ولقد احتوى الملف أيضاً على

ماضـــي العراقيين وحاضرهم واحتمالات ردود فعل العراقيين تجاه مايصدر عن حكامهم، واحتمالات الإستفادة من ردود الفعل تلك .

إذن فالـــرفاق جـــاؤا (مفتوحي العيون) يعرفون كل شيء، فخبرة نصف قرن من العيش بين البريطانيين والعراقيين أكسبتهم خبرة هائلة ليستخدموها للهيمـــنة عـــلى ذلـــك الشعب وإضطهاده واركاعه واذلاله، ومن ثم التحكم بمصيره وجعله اداة طيعة لتنفيذ أغراضه .

لقد توسل البعثيون بشتى الأساليب التي لم يخطر بعضها على ذهن أعتى الطغاة، الأساليب المبطنة والعلنية، المباشرة وغير المباشرة، والتي لا يمكن الـــتحدث الا عن النزر اليسير منها، وإلا فإن المقام يطول عنها فهي كثيرة، ومنها:ــ

١ ــ استخدام إثارة عنصر الخوف: ــ

إن أكـــثر العوامـــل النفسية تأثيراً على الإنسان وما يجعله يفقد السيطرة عـــلى مشـــاعره وأحاسيســـه هو « عامل الخوف » فقد كان هذا العامل هو العـــامل المؤثر الأول في طبيعة كل مجتمع وليس المجتمع العراقي فحسب، وهـــو من الأساليب التي حرص الحكام عليها منذ القدم في تسييس المجتمع، أي مجتمع كان، لذا فنحن حينما نرجع الى تاريخ الأمم والشعوب، نجد هذه الحقيقة ماثلة للعيان، ولنا في تاريخنا الإسلامي خير شاهد، فقد حازت أرض العراق قصب السبق في كثرة الدماء التي سالت على جنباتها، وحصلت على الأولويـــة فـــي ضـــخامة عدد القتلى الذين سقطوا على ثراها، فحينما نقرأ الـــتاريخ نجد إن الحكام الذين تسلطوا على العراق كانوا من النوع النادر في قابـــلياتهم على قتل الأنفس البريئة وإزهاق الأرواح المظلومة، وسفك الدماء الزكية، فكان ذلك اساس استمرارهم في السلطة وهيمنتهم على رقاب الناس،

ويـــنقل لنا التاريخ صفحات يندى لها الجبين عما فعله بنو أمية، ثم من ورائهم بنو العباس، فذاك معاوية بن أبي سفيان حينما أرسل أحد قواد جيشه الى العراق، وهو يحاول سحق ارادة هذا الشعب، وقتل روح التمرد والثورة فيه، قال له : ــ

(الـــزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيتْ فتقطعها فإن وجدت بها جنداً فأغِر عليهم وإلّا فامض حتى تغير على الأنبار. فإن لم تجد جنداً فامض حتى تـــتوغل في المدائن، إن هذه الغارات على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له هوى فينا منهم . وتدعو الينا كل من خاف الدوائر، فاقتل كل من لقيته ممن هو على غير رأيك واضرب لكل ما مررت به من القرى واحرب الأموال فان حرب الأموال شبيهة بالقتل وهو أوجع للقـــلب) [١] .

ثـــم نجـــد كيـــف ان لغـــة التهديد والوعيد والتخويف مؤثرة في نفوس العـــراقيين حيـــنما نسمع أيضاً يخاطبهم ليقول لهم : (يا أهل الكوفة أتروني قاتلـــتكم عـــلى الصـــلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت إنكم تصلون وتزّكون وتحجـــون، ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم، والى دماء رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنـــتم كـــارهون، إلا ان كل دم أصيب في هذه مطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمّي هاتين [٢].

انه تحد واضح لطبيعة العراقي الذي لا يتحرك بدون أن تهدده وتخيفه ثم تفعـــل، وهكـــذا يكتب الحاكم كتاباً الى واليه على العراق فيقول له :ــ (من إتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره) .

---

١ ــ تاريخ الفتوح ــ ابن أعثم الكوفي ص١٦١ ــ مطبعة دائرة المعارف الهند ــ سنة ١٣٩١ هـ.

٢ ــ نفس المصدر ص ١٦٧.

منطق مكشوف

ان هؤلاء القوم لا يفهمون إلا لغة القتل، وإن الأسلوب الوحيد لإستتباب الحكم هو التخلص منهم، فهنالك خياران إما أن نتركهم، وبذلك تكون نهايتنا لمـــا يملكون من طاقات وقدرات فكرية وعلمية هائلة، وأما القتل فليس هناك طريق ثالث، وفعلاً يصعد الحجاج ليقول لهم:ــ (إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لَصاحبها) .ثم يجمع تلك الرؤوس ويصنع منها تلاً عالياً بباب (القصر الجمهوري) أو (ساحة التحرير) وعفواً أقول: (دار الإمارة) ثم يدعو الناس لإستعراضهم .

وحيـــنما يدعـــو الحاكم السابق الناس الى تنفيذ اغراضه الدنيئة في تنفيذ القـــتل بالـــثوار والمخلصين الذين ثارت فيهم روح الكرامة والعزة ونصرة العقيدة .

حيـــنما يجـــند الـــناس الأبـــرياء لقتال العصبة المؤمنة والتي يطبل لها بأنهـــا (خارجة) أو (ضالة عن الإسلام) أو إنها (قادسية القرن الحالي) أو(ام المعارك) اوغيرها فان المتخلف الذي يجب ان لا يحاسبه الله غداً لسفكه ذلك الدم فإنه خائن و (جبان) و (عميل) أحياناً .

فـــلقد قبضـــت الشـــرطة أو (الإنضباطية) * على رجل إعرابي دخل الكوفة حديثاً ولا يعلم ماذا يدور فيها فأرسلوه الى الوالي فوقف أمامه وسأله الوالي (لماذا لم تخرج لقتال الفئة الباغية ... ؟)

فأجابـــه: ــ لا أعلم بأن هنالك حرباً وأنا من البلد الفلاني ودخلت الكوفة لأشتري بعض المواد الغذائية فقبض عليّ الشرطة وأحضروني أمامك .

فقـــال الوالي: ــ أشهد بالله إنه صادق ولكن إقتلوه ليكون عبرة لغيره ، فقتـــلوه وأضافوا رأسه الى مجموعة الرؤوس الموضوعة عند مدخل الكوفة ليراها القادم والذاهب [١] .

لا فـــرق إذن في تغير الوقت إن كان قبل ١٤٠٠ سنة أو الآن، فالشعب العراقي لا يمكن تطويعه إلا بالخوف .

وقـــد كتـــبت (المس بل) في مذكراتها عن ثورة العشرين وكيف واجه الـــبريطانيون الشـــعب العـــراقي فتقول :- (اننا من خلال معرفتنا بالشعب العـــراقي وجدنا إنه يرهب الأمور التي تُحدث قرقعة عالية وصوت ضخم، وهذا الخوف إن تسرب فإنه يعم الكثير من الطبقات لذلك فإننا بدل أن نرمي القنابل من الطائرات فإننا بدأنا نرمي أحمالاً ثقيلة من الحديد وحينما تصطدم فيما بينها بالجو أو على الأرض فإن صوتاً هائلاً ينطلق منها يخيف كل من سمعها) [٢] .

جاء حزب البعث وأخذ يفكر في كسر شوكة المجتمع العراقي، والذي لم تمـــر عليه فترة إرهاب منذ زمن بعيد، فالجيل الحاضر والجيل الذي سبقه لم يجـــرب الخوف والإرهاب بمعناه الإجتماعي .... نعم إنهم جربوا الحروب والمعـــارك ولكنهم لم يجربوا الخوف الذي تعمله الوسائل البطيئة في الموت، إنهـــم لم يجربوا الإعدامات والإغتيالات والفضح أمام الناس، إنهم لم يجربوا الخوف من قطع لقمة العيش، ولم يجربوا أن تؤخذ منهم أطفالهم او آباؤهم أو عوائـــلهم ... إنهم لم يجربوا الخوف من التعذيب البطيء .. نعم إنهم جربوا

---

* ــ الإنضباطية كلمة تطلق على الحرس الذين يضعهم صدّام من أفراد الجيش العراقي لمراقبة الطرق وممرات المدن ونقاط التفتيش الكثيرة جداً ويمتازون بسوء أخلاقهم في تعاملهم مع الناس وخاصة مع الجنود *

١ ــ تاريخ الفتوح ــ إبن أعثم الكوفي ــ ج ٤ ص ١٩٠.

٢ ــ مذكرات المس بل.

القتل وهو الموت بلحظة واحدة أمام جموع تشاركه في المسيرة ويتحول الى بطــل او شهيد، أما هنا فإن الأمر مختلف تماماً ... لذلك فإن تجربة الخوف يجــب أن تعاد لكسر شوكة النفسية التي ترغب بالتجديد دوماً وأبداً، وكأنما تبحث عن شيء مفقود ولكنه مجهول، ومع ذلك فهي تتقاتل عليه، إنها اليوم تــريد حاكماً وغداً تثور عليه لأنه ليس الذي كان يطمحون اليه فيأتي الثاني ونفــس الشــيء يحدث، ولذلك نرى معاوية يوصي إبنه يزيد حينما حضره المــوت فيقول له: ــ « إن هؤلاء ــ أي أهل العراق ــ لو سألوك أن تُأمَّر عليهم كل يوم أميراً فافعل » .

كان معاوية يرى إن تبديل الوالي أمر بسيط حيث إنه تبديل وجوه وليس تــبديل سياسة .. أما الآن فإن الشعب لايقبل تبديل الوجوه إنه يريد السياسة كامــلة وهــذا شيء يزعج الحكام وأسيادهم، إن ذلك من أصعب الأمور إذن يجب إستئصال هذه الروح التي تبحث عن ذلك الشيء الذي يشبع طموحه أو المجهــول في عرف هذا الشعب المتمرد سياسياً وفكرياً ... وبدون ذلك فإن الأمر في غاية الصعوبة .

والخــوف هو من أهم الأساليب، وليس كل الأساليب في إستئصال تلك الــروح الثورية ... وفعلاً جاء البعثيّون الى الحكم وكان أمامهم أن يخوضوا هــذه الــتجربة قــبل أن يضعوا مخططهم القادم فليجربوا ذلك على رؤوس الأشــهاد فقدمــوا مجموعــة من الرجال الى المحكمة بإعتبارهم جواسيس لاسرائيل أوللمخابرات الأمريكية، وحشروا فيهم شخصيات لامعة إجتماعياً، ومحــبوبة ، تقــدم الخيــر للمجــتمع وترعى الفقراء والمعوزين، أي أنهم معروفون في أوساط الأمة، إنهم متدينون ومحسوبون على الجانب الإسلامي فقدموهــم الى الإعــدام واعدموا .... والمجتمع في هذه الغمرة من إختلاط الأحــداث بيــن مصــدق ومكذب أصيب بشلل فكري لا يفهم كيف يتصرف

فـــالأمور التي طرأت عليه مرة واحدة كثيرة وكل أمر منها يحتاج الى نوع مســـتقل من التفكير المنفرد فكيف بضخامة هذا العدد من الأفكار، إنه لم يعد يتحمل أن يجمع هذه الأحداث مرة واحدة ويضع الرأي الصائب، إنه مشلول فكـــرياً كالجهاز المناعي للإنسان الذي يصاب بالشلل حينما يدخل الى الجسم عـــدة أنواع من الأجسام الغريبة وبكميات كبيرة فإنه يفقد السيطرة على ذلك ويصاب بالشلل الوقتي.

وهـــنا في هذه المرحلة فإن الوقت مناسب جداً لإجهاض أي تحرك مهما كـــانت هويـــته لأن أي تحـــرك مضاد للسلطة سيكون في صالح البعث فإن تحـــركت الفئة الدينية للإحتجاج فإن وسائل الإعلام البعثي كانت مهيأة لربط فكرة الجاسوسية والصهيونية والأمريكية بالحركة الدينية، وهذا من صالحهم طبعاً وإن سكتوا فإن ذلك ما يريدونه لأن الأمة ستسأل وتقول لماذا لم يدافع هؤلاء عن أنفسهم لو كان الإتهام باطلاً.

٢ ــ ساحة التحرير مكان الذبح: ــ

وأعدمـــوا تـــلك الوجبة التي كانت تحوي يهودياً عراقياً واحداً،ثم علقوا الأجســـاد فـــي ساحة التحرير في قلب العاصمة العراقية، ثم دعيّ الناس الى الـــتظاهر ورؤيـــة جثث مثليهم في الخلق وهي معلقة في الهواء تتلاعب بها الرياح كيفما شاءت ... وهنا نلاحظ إن المردود النفسي للمجتمع العراقي كان صـــعبا للغاية ، فقد خرجت الناس الى ساحة التحرير، وهي كما قلنا سابقاً، مصـــابة بنوع من الشلل الفكري ...فرأت أجساد البشر معلقة، نعم إنهم بشر وليســـوا حيوانات ،إنهم قبل ساعة كانت الدماء تجري في عروقهم، أما الآن فهم أجساد باردة ووجوه صفراء ، إنهم موتـــى...!!!

وهنا ولأول مرة يشاهد الشخص العراقي هذا النوع من المنظر الرهيب إنه مذظر تشمئز منه كل نفس بشرية، إنه يثير الشجون والرهبة في قلب كل إنســـان، فالمجتمع آنذاك كان كمن يدخل المكان المظلم المخيف ولكنه يرفع

صـــوته لإقناع نفسه بأنه غير خائف ، هكذا كان الناس آنذاك كان كل منهم يهتف وينادي وكأنه يريد أن يقنع نفسه إنه غير خائف، ولكن نقولها بكل ثقة إن ذلـــك المنظر اثار الخوف في نفوس الطبقة الكبرى من المجتمع العراقي الذي كان يعيش حالة الشلل الفكري .

ولـــم يكـــتف البعثيون بذلك العمل الإجرامي بل إنهم واصلوا الحملات الواحدة تلو الأخرى ، وكان شبح (ساحة التحرير) يخيف الأطفال في بطون أمهاتهم والناس كما ذكرنا يهللون خوفاً، ثم بث الحزب طابوره بين صفوف الأمة لتثبيت فكرة الإعدام والتعليق في ساحة التحرير في نفوس الأمة، فكان الـــتهديد الـــذي يســـتعمل دائمـــاً مع الموظف الغير مرغوب فيه أو الإنسان المستقيم أو الذي لاينتمي الى الحزب (ان ساحة التحرير موجودة) . وكانت الوجبة الثالثة أو الرابعة تضم شخصيات مرموقة إجتماعياً وسياسياً من الذين كان لهم دور في تثبيت وانتشار بعض جوانب الفكر الإسلامي على مستوى السياسيين والموظفين .

وهكـــذا توالت عمليات الإعدام والناس لم يزدادوا فيها إلا خوفاً وارهاباً لأنهم يرون امامهم شخصيات قدمت الى الإعدام وعلقت اجسادهم في ساحة التحرير دون أي ذنب ، وحتى السلطة لم تستطع أن تقدم مبرراً لإعدامهم إلا بـــالقول انهـــم جواسيس وكفى .. لكن..!! كيف ، ولمن ، ومتى .. صاروا جواسيس ؟ فذلك مالم تستطع السلطة اثباته للناس، فاذن كل عراقي (محتمل) ان يستدعى غداً الى الإعدام ثم تلصق به تهمة . فالشخص الذي لا ينتمي الى حزب البعث ممكن ان يكون جاسوساً ثم يعدم ويعلق في ساحة التحرير .

وهـــنا وصل المجتمع الى حالة من الإرهاب والخوف الذي لا يمكنه ان يفكـــر فـــي مصيره الا من خلال ارتباطه بعجلة السلطة، وفي هذا الظرف

بـــالذات كـــان الوقـــت قد حان لضرب الجهات القيادية في المجتمع العراقي والتخلص من أكبر عقبة تواجه الحكم في العراق .

٣ ــ مؤسسات القمع البعثي:ــ

منذ أن تسلط البعثيون على رقاب العراقيين عمدوا الى بناء ترسانة كبيرة مـــن مؤسســـات القمع، فالإستخبارات والمخابرات والأمن الخاص والجيش الشـــعبي .. مؤسســـات تســـتنزف كل موارد العراق ،مهمتها خنق الأنفاس وإحصاء حركة الإنسان، ثم المؤسسات التي تعمل على إحاكة المؤامرات في الخارج، مؤسسات لم يسبقه لها أي نظام ولم تُعرف على مدى التاريخ .

يقـــول حســـن العلوي في كتابه (العراق دولة المنظمة السرية) :ــ (إن نشر مؤسسات بهذا الحجم والمهمات يستنزف نسبة كبيرة من موازنة الدولة فقـــد خصـــص لهـــذه المؤسسات وللمهمات السرية نسبة من ميزانية الدولة تســـاوي ثـــلاث أضعاف ما خصص منها للمؤسسات الصحية والتعليمية في العراق و يمكن صياغة هذه الفكرة بالمعادلة التاليـــة .

مايخصص لمؤسسات الموت في الميزانية العراقية هو ثلاث اضعاف ما يخصص لمؤسسات الحياة .

ولهـــذا اقترب العراقيون من حافة المجاعة بعد اسبوعين فقط من اعلان مجلس الأمن قرار مقاطعة العراق وعدم تزويده بالأغذية .

ولا يُخضـــع صـــدام حسين قرار الموت الى حساب الأرباح والخسائر، ولعله القرار الوحيد الذي لا يتوقف ولا يتردد لحظة قبل اصداره ولا يراجع بعـــد تـــنفيذه نفسه أو يشعر بأن خطأ قد ارتكبه والموت للموالي والمعارض ولإبن قريته ولأبناء القرى الأخرى .

وإذا كـــان صـــدام حســـين معـــروفاً بعدائة للديمقراطية فإنه مع الموت ديمقراطي للنهايـــة .

وأمـــام المـــوت يتساوى العراقيون في الفرص ويتمتعون بعدالة التوزيع وتتشكل على خشبات الموت وحدة عربية كردية وآصرة وطنية تتعالى على المذاهب والمباديء .

إن الخـــط البياني لصيرورة الموت يتصاعد باستمرار، ليس في حجمه وإنما بإجراءاته وطقوسه أيضاً .

ففـــي المرحـــلة الأولى كـــان القتل يجري بكتمان وسرية وكان صدام يحرص إذا إنتهى من تصفية أحد رفاقه على شيئين، هما إقامة مجلس العزاء وتعويـــض عائلة الضحية براتب كبير ترافقهما حملة إعلامية لإظهار الأسى والحـــزن عـــلى الفقيد، وأوضح مثال على هذه المرحلة تصفية أحد أعضاء القيادة القطرية وهو عبدالوهاب كريم بعد تكليفه بمهمة إغتيال وزير خارجية الإنقلاب الأول الدكتور ناصر الحاني وتصفية حماد شهاب وزير الدفاع من قـــبل ناظم كزار مدير الأمن الأسبق ، وفي المرحلة الثانية التي بدأت بإعدام نـــاظم كزار تحول صدام حسين الى اسلوب القتل العلني عن طريق تشكيل محـــاكم حزبية خاصة دون أن يعاقب أو يكافيء عائلته بينما صارت عائلة الضـــحية مســـؤولة في المرحلة الثالثة أمام القانون والجهاز الحزبي وصار القتيل مطلوباً للقتل وعلى أهله أن يدفعوا الديّة .

فـــي هذه المرحلة أيضاً قدّم صدام فكرة مرعبة لتنفيذ أحكام الموت ضد رفاقـــه إذ يدعى أقرباء المحكوم، لتنفيذ الحكم به وإن لم يجد أحداً من أقربائه فـــي المـــنظمة الحزبية المكلفة بالإعدام، فعلى أحد أعضاء منظمة المتقدمين اطلاق الرصاص على مسؤوله الحزبي المشدود الى خشبة الإعدام.

وبهـــذه الطريقة أعدم كل اعضاء القيادة القطرية الخمسة والذين رفعهم في المؤتمر القطري الثامن وأعدم معهم بنفس الطريقة خمسة عشر قيادياً في الثامن مـــن آب ١٩٧٩ .

صـــرنا أمـــام حالـــة جديـــدة في التاريخ العربي يمكن أن أسميها القتل برصاص العشيرة وهنا أعود ثانية الى حديث إذاعي لتفسير القتل برصاص العشيرة .

ينقل من فرائد السلطان .

فـــي المراحل التالية صارت قراءة سورة الفاتحة في مجلس عزاء القتيل فعلاً جنائياً يعاقب عليه قارئوا الفاتحة ..

إن كلامـــاً مثل هذا قد لا يدخل الى عقول الناس بسهولة مما يدفعنا الى الإشارة للقرار الصادر عن مجلس قيادة الثورة المؤرخ في ١٢/٨ / ١٩٧٩ والمـــرقم ٧٣٢١٢ والذي إعتمدته المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء في فصـــل مدرّســـتين بسبب زيارتهن لزميلة لهن في المدرسة نفسها وتعزيتها بإعدام إثنين من أبنائها .

وســـتبدو هـــذه العقوبة عادية أمام عقوبات أخرى ستشمل مجلس العزاء المقام على أرواح الضحايا فقد أعدم مدلول ناجي المحنة السفير العراقي في الأردن ومحمـــد حســـين الشامي السفير في الإمارات العربية المتحدة وعلي الشعلان رئيس اتحاد الفلاحين لأنهم حضروا في شهر نيسان من عام ١٩٨٠ مجلســـاً لـــلعزاء تـــرحموا فيه على أحد رفاقهم وكان الأخير قد أتهم بتقديم الـــتعزية لصديقه اثناء زيارة الى الولايات المتحدة الأمريكية. وعلي الشعلان كان الصديق الشخصي لصدام حسين فترة طويلة .

من هم رجال التعذيب في سجون العراق ؟

انهم ببساطة رجال المنظمة السرية !! .

وهو أمر طبيعي فليس معقولاً أن تناط مهمة خاصة كهذه بأشخاص غير حزبيين.

ومن هم رجال المنظمة وقد اصبحت المنظمة السرية دولة ؟

انهـــم أعضـــاء مجـــلس قيـــادة الثورة والوزراء والمحافظون والسفراء ورؤساء المؤسسات .

ضمن أي منطق سيتصرف هؤلاء الرجال ؟

من البديهي ان أياً منهم انما أخذ موقعه الرسمي وفقاً لموقعه في المنظمة وهـــي التي تحدد واجباتهم وترسم لهم خطوط سيرهم اليومي وهم ما داموا اعضاء فيها فهم شركاء مخلصون في أعمالها ومنها العمل في هيئات التحقيق .فـــإذا تخلف أحد منهم عن أداء واجبه الحزبي فقد موقعه في الدولة ووضع في غرفة التحقيق متهماً لا محققاً !! .

ولهـــذا كان من تحصيل الحاصل أن يتوجه أعضاء مجلس قيادة الثورة والـــوزراء ورؤساء المؤسسات في أوقات محددة الى أقبية التحقيق ليمارسوا مهـــامهم فـــي انتزاع الإعترافات من الموقوفين والتمتع بممارسة التعذيب ضـــدهم ، وكـــان (قصر النهاية المعتقل السيء الصيت) منتجعاً ليلياً لرجال الســـلطة يقضـــون فيـــه السهرة وتختلط متعة التعذيب بمتعة الأكل والشرب والخمور والاباحة الجنسية .

إن الســـفراء المعتمدين في بغداد قد يتحدثون بسهولة وفي أي وقت من الـــليل مـــع وزيـــر الخارجية على هاتف خاص لكنهم لا يعرفون إنه هاتف الوزير في مكتبه بهيئة التحقيق .

ولكـــل وزيـــر مكـــتب خـــاص في قصر النهاية أو في مكان آخر من المعتقلات السريـــة .

لقـــد اســـتدعيت في صيف عام ١٩٧٨ الى هيئة التحقيق الأولى كمتهم محال من رئيس الجمهورية بسبب مقال نشر في المجلة التي أرأس تحريرها وكانت بعنوان « إنهض أيها القرمطي » وقد فوجئت إن رئيس هيئة التحقيق هو سمير عبدالوهاب الشيخلي أمين العاصمة آنذاك والذي كان وزيراً للتعليم

العـــالي والبحث العلمي ثم وزيراً للداخلية حالياً وقد أتخذ مكتبه في بيت شبه مهجـــور مـــن بيـــوت محـــلة الزوية التي تقع في الجهة الأخرى من النهر ويربطها الجسر المعلق بالقصر الجمهوري .

وفي عام ١٩٨٠م زرت مدرساً كان يقدم دروساً خصوصية لولدي في الفيـــزياء بمناســـبة اطلاق سراحه من الإعتقال وكان قد إختفى عام ١٩٧٠م فجأة ولم نعثر على أثر له .

وعـــلمت مـــن شقيقه آنذاك إن الشرطة السرية القت عليه القبض وهو يصـــلي فـــي جـــامع « براثا » في منتصف الطريق بين الكرخ والكاظمية فحدثـــني عن يوميّاته في معتقل قصر النهاية الذي أمضى فيه ثلاث سنوات وأمضـــى الســـبع الباقية في معتقل آخر، قائلاً :« في ليلة ١٣ رمضان عام ١٩٧٠ م اســـتدعاني عبدالكريم الشيخلي وزير الخارجية للمثول أمامه بهيئة الـــتحقيق وقـــد وجدته لأول مرة ودياً للغاية خلافاً لتصرفاته معي في أوقات ســـابقة وقـــد نهض من مكانه فتصورته سيجلس الى جانبي لكنه أخرج من ثلاجته قنينة ويسكي وصب كأساً وقدمه لي فشكرته على ذلك، معتذراً .

قال:ـــ إشرب .

قلت:ـــ أنا مسلم كما تعلم فاعذرني .

قال :ـــ وهل نحن كفار؟ خذ واشرب .

قلت :ـــ إن الله يمنعني من ذلك .

قال:ـــ وأنا آمرك على ذلك .

قلت :ـــ معاذ الله أن أخالف أمر الله .

قـــال:ـــ إذن لـــم تشرب هذا فستشرب شيئاً آخر. لكنني أصررت على موقفي، فنادى شخصاً يدعى صبحي ـــ وكان هذا من قساة هيئة التحقيق ومن مساعدي ناظم كزار وقد أعدم معه في عام ١٩٧٣ ـــ فقال له خذه «وتبولوا» في فمه، فأخرجني الى باحة السجن واجتمع أربعة أشخاص ففتحوا فمي وأنا

ملقى على الأرض وبالوا فيه، فتقدم الوزير قائلاً لي: ــ يبدو أن هذا هو شرابكم المفضل .

وكما يوزع الموت بعدالة على الناس يوزع صدام مهمات الإغتيال والتحقيق والمحاكمات الشكلية على جميع أعضاء القيادة بعدالة مشهودة له كي لا يخرج أحد منهم (بثوب أبيض) و (بأصابع نظيفة).

إن الأمثلة التالية رغم طابعها المحلي وتكرار الأسماء المحلية فيها ستكون مفيدة سواء كمعلومات أم وثيقة تسجيلية لجانب غير معروف من تاريخ دولة المنظمة السرية في العراق يتعلق باسلوب صدام في توسيع بقع التلوث، وتوريط رفاقه في المهمات غير النبيلة ومنها تظهر أحدى وسائل صدام حسين في تسخير البعثيين لقتل بعضهم الآخر بالطريقة التي يقتلون فيها الناس [١].

٤ ــ التجويع ومصادرة الأموال اسلوب بعثي خبيث:ــ

لم تكن السياسة القمعية من بطش وتنكيل وقتل وسجون وتشريد هي السياسة الوحيدة التي اتبعها حزب البعث في الهيمنة على العراق، بل تعدت تلك السياسة لتطال كل مرافق الحياة، فقد هيمنوا على كل مصادر الثروة هيمنة تامة، وتحت شعار الإشتراكية استولوا على جميع الشركات الأهلية والعامة فلا يمكن للمرء أن يحصل على لقمة العيش إلاّ من خلالهم، ثم إنهم اتبعوا سياسة التجويع، فبحجة تأميم النفط رفعوا شعار التقشف، وبين عشية وضحاها خلت الأسواق من أبسط المواد الغذائية الضرورية فكان الناس يقفون طوابير طويلة للحصول على البيض أو الخبز أو حتى الخضروات، فصار الإنسان العراقي ليس له هم سوى كيف يستطيع الحصول على لقمة

١ــ حسن العلوي: العراق، دولة المنظمة السرّية لندن ــ ١٩٩٠ م ــ ص ١٥٨.

العيش له ولعائلته، ثم ان من يتخرج من ــ أي جامعة أو من يريد الحصول عــلى أبســط عمــل سوف لن يستطيع إلاّ أن ينتمي الى حزب البعث ، أما الإســتثمارات وبناء الشركات والمعامل فلا يمكن إلا لسكان بعض المناطق ومن ينتمون لقبيلة صدام أو السائرين في ركابه، ثم سياسة مصادرة الأموال المــنقولة وغير المنقولة التي انتهجها البعثيون بحق كل من تشم منه رائحة عــدم الولاء للسلطة، فكم من التجار قد صودرت أموالهم لكلمة تفوهوا بها أو عــلى ضــوء تقرير رفعه عنهم أحد الرفاق أو الرفيقات، ثم ما من قرار يصــدر بحق المناوئين السياسيين إلاّ وفيه فقرة بخصوص مصادرة الأموال المنقولة .

وتجيء لعبة التبرعات والضرائب التي أثقلت كاهل الشعب منذ مجيء البعــثيين لــلحكم، فبدءاً بسنوات التقشف ثم مروراً بسنوات الحرب، حملات التبرع، وحملة الصمود، و كل تلك الأموال كانت تأخذ وتستقطع من قوت الإنســان الفقيــر لــتغدق بسخاء وكرم على فرق الرقص الغربية والجرائد والمجلات المأجورة وعلى الأذناب والمتآمرين والعملاء، وعلى شراء أسلحة الدمــار والقتل، وعلى فرق شرطة مكافحة الشغب وشرطة مكافحة الإجرام .وفــرق الارهــاب مــن استخبارات ومخابرات وأمن وجيش شعبي ورفاق يحصــون عــلى الــناس أنفاسهم ويتابعون حركات الناس، من وكلاء أمن ووكيلات ملؤا بهم الشوارع والأزقة والبيوت والدوائر .

نعــم كانت الأموال تغدق بسخاء على بيوت الدعارة وعلى الراقصات، وعــلى شــراء الخمــور، ووســائل الإفساد، وكلها تمتص من دماء الشعب المضــطهد المســكين المغلوب على أمره والذي لم يعد يجد بداً إلاّ الخضوع والإستكانة والإستسلام أمام حمامات الدم وأحواض التيزاب ومقاصل الإعدام أو الموت تحت أيدي الجلادين القساة .

إنهـــا قصـــة شـــعب إجتمعت كل قوى الشر متحالفة على قهره واذلاله واركاعـــه .

رابعاً:ــ (البعث) حرب على الإسلام بلا هوادة

إستيقظ المستكبرون وقد هزتهم المفاجأة، ليتضح إن هذه الأمة المقهورة المســلوب عنها قرص خبزها لا تموت حتى وإن وهنت وخارت كل قواها، فهـــي سرعان ما تنتفض وتصبح سبعاً ضارياً يفترس كل من يقف بوجهه، وحـــاولوا البحث عن السر ليعرفوا أن سرها يكمن في إيمانها بدينها وقيادتها الإســـلامية، فمـــتى مـــا إلـــتفت حول قيادتها العلمائية حطمت كل الحواجز والسدود، إذن فالإسلام هو السر، فلا بد لهم أن يحطموا الإسلام كي يحطموا شخصـــية الأمـــة ويمزقوا عنفوانها، ولا بد من أداة عاتية لتنفيذ هذه المهمة، وليـــس ثمة أقدر وأجدر من (البعث) وشبابه المتمردين على كل المباديء والقيـــم، والذيـــن لا يهمهـــم ســـوى التربع على كرسي الحكم، مهما قذرت الأســـاليب ورخصـــت، وتـــأتي التعليمات، وعليهم أن يتوجهوا الى المركز لضرب الأمة بالصميم، فكل عراقي يتذكر اللحظات الأولى لمجيء البعث الى الســـلطة، إنـــه مجيء خجول مبطن، مغلف بغلاف الوطنية والتقدمية وإنقاذ الشـــعب مـــن بـــراثن الإستعمار والرجعية، وتخليص أموال الأمة وحقوقها المهتضـــمة من براثن شركات الإحتكار النفطي الأجنبية، والأخذ بيد العامل نحـــو الرفاه والعيش الرغيد، واعطاء الفلاح حقه الذي هضمته سنين طويلة ثلة الإقطاعيين وطبقة الإحتكاريين، فأخذوا يلوّحون عن أهدافهم بشكل مبطن تارة، ومفضوح تارة أخرى .

لكن الأمر أبعد من هذا بكثير، فالهدف الأول والأخير هو ضرب الإسلام وتحطيم مرتكزاته لإبعاد تأثيره عن حياة الأمة لإيقاضها وإجذاء روح التمرد

عـــلى الطغيـــان والظلم، فقد كان هدفهم الأول، منذ مجيئهم الى السلطة الذي أعلنوه أو بيتوه، إنما هو ضرب الدين فكان ذلك أول أهدافهم المبيتة .

ففـــي تموز عام ١٩٦٨ م قادت المخابرات البريطانية انقلابها الذي كان البعثيون الأداة المنفذة فيه للإطاحة بـــ « عبد الرحمن عارف »،

ونحـــن هنا لسنا في مجال اثبات وجه العمالة والمشاركة لهؤلاء الرفاق ؛لأن الكـــثير من الخبرات والتجارب، اضافة الى الكتب وفلتات السنة الرفاق أغنتـــنا بذلـــك ولا داعـــي لتكراره في هذا الموضوع ... ولقد كان هدف الإنقلاب هو تحقيق أمرين.

الأمـــر الأول:ـــ الغاء قانون رقم « ٨٠ » الذي وضعه الأمريكان حينما جـــاء عـــبد الكريم قاسم الى الحكم في سنة ١٩٥٨ م حيث حدد فيه شركات النفط البريطانية في التنقيب عن النفط في أي أرض جديدة .

الأمـــر الـــثاني:ـــ ضرب الحركة الإسلامية الواعية والتي بدأت تغزو عقول المجتمع العراقي، وأثبتت قوتها ووجودها على الساحة ... ولقد جاء ذلـــك على لسان أول خطاب يلقى أمام الناس حينما حدد « شبلي العيسمي » هذين الأمرين بصورة مطلية، فقد قال:ـــ (إن مجيء حزب البعث الى الحكم هـــو لحمايـــة الثروة النفطية ولضرب اليمين الرجعي)، ولتحقيق الأمر مثل البعـــثيون مســـرحية الـــتأميم الـــتي إستطاعوا بها أن ينقلوا شركات النفط الـــبريطانية من حقول نفط كركوك الناضب الى حقول نفط الجنوب الغزير. وبذلك قالوا: بأننا حققنا هدف قانون رقم (٨٠) وارغمنا أنوف الشركات .

ومـــن الجديـــر بالذكـــر ان الشخص الوحيد المطلع على هذه المسرحية وتفاصـــيلها بعـــد «البكر » و « صدام » هو « مرتضى سعيد عبدالباقي » حيـــث ان الحكومة عينته بمنصب ادارة المفاوضات مع الشركات، وقد أبعده صدام بعد تنفيذ المسرحية مباشرة الى خارج العراق ثم استدعاه وسجنه بعدها أعدمه .

أما تحقيق الأمر الثاني؛ فإن خطة خمسية وضعت لتحقيق هذا الغرض، وكـــان يـــتوقع ان يتم القضاء على الحركة الإسلامية بعد إنتهاء مدة الخطة ليحقق غرضاً جليلاً لأسياده الذين سلّطوه على رقاب الشعب .

بمـــا إن المحـــور الرئيسي للصراع السياسي الذي تشن السلطة البعثية حملـــتها ضـــدّه هـــو الفكر الإسلامي، والقيادة المرجعية المجاهدة، وفصائل الحـــركات الإســـلامية الثائرة، نورد أدناه بشيء من التفصيل أهم ما أفرزته السياســـة البعثية من اتجاهات عملية تجاه المحور الإسلامي، تنفيذاً للمخطط الذي رسمته الدوائر الإستعمارية .

الإتجاه الأول: ــ

محاربـــة الفكـــر الإســـلامي ومنع انتشاره وغلق ابواب التربية والتعليم بوجهه، وزرع التشكيك في قيمته وصلاحيته لقيادة الحياة ...

لقد أشارت الدوائر الإستعمارية على حزب البعث في العراق بأنّ الفكر الإسلامي فكر عقائدي صميمي وشريعته شاملة أصيلة، وتتناول كافة جوانب الحيـــاة الإنسانية ابتداءاً من بناء ذات الإنسان الى تقنين سلوكه الخاص الى رســـم علاقـــته مـــع مـــا حولـــه، فهـــو نظام يرسم حياة الانسان الاخلاقية والاجتماعية والسياسية والإقتصادية، وقادر على ان يواكب مسيره التطور الإنســـاني مهمـــا بـــلغت من اشواط، وإن يخاطب كافة اللغات مهما تنوعت واختـــلفت، ثـــم إن هذا الفكر « الفكر الإسلامي » استطاع من خلال تجربة نظـــرية أن يقارع أعظم المدارس الفكرية المعاصرة الشرقية منها والغربية، وأن يسدد ضرباته القاتلة لمبادئها،

إن الخطـــر الآخـــر فـــي هذا الفكر الخلاق هو مخاطبته للجماهير على إخـــتلاف مســـتوياتهم الثقافية والإجتماعية، فهي إذن المادة الثورية والغذاء الحـــركي المســـتمر للشعوب الإسلامية القادرة على تفجير طاقاتها العظيمة،

لتصـــب فـــي طريق ثورة إسلامية شعبية لتكتسح كل الطواغيت من أمامها، وتهدد محاور الإستعمار العالمي في كل مكان تحط قدم له فيها .

لهـــذا كلـــه كان لا بد من ضرب هذا الفكر واختلاق الشبهات والأباطيل ضده، لغرض زرع روح التشكيك في قيمته وصلاحيته لقيادة الحياة، ثم الحد مـــن انتشـــاره وغـــلق ابواب تربية ابناء الشعب العراقي عليه، وكانت أهم الخطوات في هذا الإتجاه هي ما يلي : ــ

١ ــ قيـــام رؤوس الـــنظام البعثي العميل، وعلى راسهم صدام باطلاق تصريحات ونشر مقالات وعقد ندوات للنيل من قيمة الفكر الإسلامي وقدرته على بناء الحياة الإنسانية السليمة منها: ــ

حديث في إجتماع مكتب الإعلام بتاريخ ١١ / ٨ / ١٩٧٧ م حول الدين والتراث، حيث قال فيه: « ... المطلوب منا هو أن نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة ... ثم قال: من غير الممكن أن نحشر معالجاتنا للشؤون الدنيوية للحياة الراهنة حشراً فقهياً دينياً، لأن مشاكل المجتمع الحديث الذي نعيش فيه والمطلوب منا معالجتها والتعامل معها مختلفة إختلافاً أساسياً عن المشاكل التي واجهتها العصور الإسلامية الأولى التي وضعت فيها قواعد الفقه بحيث أصبح التشريع والفقه الإسلامي أحد المصادر المركزية التي تستقي أو تستلهم منه التشريعات القانونية وليس قانون الحياة الراهنة، إضافة الى الإنسياق وراء الرجعية في إعتبار إن نظرية الحياة العصرية بما فيها من تطور يجب أن يكون إنعكاساً لتعليم الفقه القديم، يقود المسلمين الى الإختلاف الذي يؤدي الى الفرقة نظراً لإختلاف المذاهب والإعتبارات الأخرى وبذلك نكون قد وفرنا الأجواء اللازمة للإستعمار الجديد ليلعب لعبته الخبيثة في شق الشعب وتسريب المخططات التي تستهدف الثورة والوطن العربي بأسره

بالإضافة الى إن مثل هذا الطريق لا يعدو أن يكون جرياً خلف السراب ..»[١].

وفي حديث آخر لصدام في الندوة الموسعة للقضاة والمستشارين والمفتشين العدليين والمدعين العامين ونوابهم في القطر بتاريخ ١١ / ٨ / ١٩٧٩م قال: « .. قد يقول بعضكم لماذا لا نأخذ القرآن والسنة ونطبقها مثلما هي، طالما إعتزازكم بها يصل هذا الحد ؟ والجواب : - بأن الله سبحانه تعالى لم يأت بدين واحد وكفى، ولو جاء بدين واحد وكفى، لأختلف تفسيرنا للدروس المستنبطة فهو جاء بأديان ... ثم يستمر صدام في حديثه فيقول: وهكذا بدأ الإجتهاد وتشعب وتحول المسلمون الى مذاهب وفرق، ولذلك العودة الى التعامل بالنصوص الدينية والإجتهاد عليها من خلال طريقها سيقودنا الى إجتهاد متميز بين واحد وآخر، كذلك سيقود الى أن نجتهد، سنجتهد عند ذلك بالدين، وسنحترب على الإختلاف في الإجتهاد لأغراض الحياة من خلال السلطة وسيكون الإحتراب قاسياً بالصراع بين عقيدتين أو أكثر كلاهما يستند الى أحكام السماء .. ثم يقول صدام:- من الناس الذين يدعون الى العودة الى الطريق السلفي في التعامل مع المسألة الدينية، يريدون لمجتمعكم التمزق والتناحر والإقتتال وضياع الجو الإنساني الأساسي للرسالة السماوية إن كان بالنوايا أو بالنتيجة، علينا أن نحترم ديننا الإسلامي الحنيف، وأن نحترم الآخرين من أبناء شعبنا الذين يعتقدون بدين

١ــ من حديث لصدام التكريتي في إجتماع مكتب الإعلام بتاريخ ١١/٨/ ١٩٧٧ حول الدين والتراث.

آخر، ولكن لا علينا أن نجعل من السلطة كركن للإصطراع والإختلاف يمزق شعبنا وأمامكم شواهد التاريخ ...» [١].

وصدام هنا يبرر عدم الإعتراف بالإسلام وتطبيقه في الحكم بسبب وجود أديـــان أخرى شرعها الله سبحانه أيضاً واعترف بها متجاهلاً بذلك ضرورة التسلســل فـــي تـــنزيل الشريعة السماوية التي إكتملت بالإسلام، واستوعبت حاجـــات البشـــرية على مدى العصور، وبذلك نسخت ما قبلها من الديانات وعالجت ما ترتب من آثار تلك الديانات السابقة في الواقع، متمثلة بالنصارى واليهود والصابئة بروح إنسانية سامية، ثم يكابر صدام ويعتبر تطبيق الإسلام يقـــود الى الإختلاف والصراع والإحتراب والفرقة وضياع الحق الإنساني، إذن لابد من احترام الآخرين من ابناء الشعب الذين يعتقدون بدين آخر غير الإســـلام (كالنصارى واليهود وغيرهم) وهذا لا يتحقق إلاّ بإقصاء الإسلام عـــن الحكم والسلطة وابعاد المجتمع عنه، وتوحيد الشعب ببعث جديد يؤلف بين الأديان والفئات، وهو حزب البعث العربي الإشتراكي !! .

وفـــي حديـــث آخر من أحاديث التشكيك بالإسلام وقيمه الفكرية وقدرته عـــلى قيـــادة الحيـــاة الإنسانية، في الإجتماع الموسّع لمكتب الإعلام بتاريخ ١٩/٩ /١٩٧٧م حول كتابة التاريخ، قال فيه:ـــ

« ... فنحن إذن أمة، ولكي لا تبدو هذه الأمة وكأنها خلقت بالإسلام، بما يقـــوّي منطق الرجعية الدينية المتخلفة، وبما يعني أننا يجب أن نكون حزباً ديـــنياً، ونحن لسنا كذلك، فيجب أن ندعم نظريتنا بالتاريخ القديم، مؤكدّين أن تـــاريخ الأمة العربية يمتد الى عصور سحيقة في القدم، وان كل الحضارات الأساســـية الـــتي نشأت في الوطن العربي انّما هي تعبير عن شخصية ابناء

١ ـــ حديث لصدام في الندوة الموسعة للقضاة والمستشارين والمفتشين العدليين والمدّعين العامّين ونوّابهم في بغداد بتاريخ ١١ / ٨/ ١٩٧٩.

الأمة الذين نبعوا من أصل المنبع الواحد، صحيح ان الإسلام هو روح الأمة ونحــن نستلهم دروس الأمة العميقة والعدالة، وفي المقدمة منها الإسلام في التعــبير عــن مصلحة الأمة وروحها، ونزعتها في الثورة، وفي التطور في البناء الإجتماعي، وفي العدل الإجتماعي، بنظرية جديدة اسمها حزب البعث العربي الإشتراكي، يعبرعنها تعبيراً صميمياً واصيلاً ومقتدراً [١] .

وفــي هذا الحديث يظهر صدام رفضه ان تكون أمتنا تبدو وكأنها خلقت بالإسلام، لأن ذلك يقوي منطق الرجعية الدينية المتخلفة (أي علماء الإسلام الرســاليون والقــوى الإسلامية المجاهدة)، ودعماً لنظرية البعث الجديد في طرح تاريخ الأمة لابدّ من طمس هذه الحقيقة التاريخية القائلة بأن الإسلام هو الــذي خــلق الأمــة وأوجد حضارتها المتميزة، وأركزها على أسس فكرية شاملة، ولازم ذلك التأكيد على العصور السحيقة في القدم قبل الإسلام، على عصــور الحضارات البابلية والفرعونية والفينيقية وأمثالها واعتبارها أصل الــتاريخ لخلق الأمة وتشييد حضارتها المعبّرة عن شخصية ابناء الأمة الذين نــبعوا مــن أصل المنبع الواحد الذي هو الحضارات الوثنية وتنزيلها منزلة الإسلام المنزل من الله سبحانه وتعالى، بل هو الأقدم والأعرق منه في خلق الأمــة وبناء حضارتها وبهذا لم يضع الإسلام في موضعه المناسب والمحدد ســوى حــزب الــبعث العربي الإشتراكي في نظريته الجديدة التي تستنسخ الإسلام الذي مضى بل استلهمت روحه بصيغة جديدة من التطور .

أما حديث صدام في الإجتماع الموسّع لمكتب الإعلام بتاريخ ١ /١٢ / ١٩٧٧ م عن كتابة التاريخ والذي كشف بوضوح عن كفر حزب البعث وكفر قادته حيث قال:« وفي العموم لايستطيع المنهج والفقه الإسلامي في جوانبه

---

١ ــ حديث لصدام في الإجتماع الموسّع لمكتب الإعلام بتاريخ ١٩٧٧/٩/١٩.

المنغلقة والمتحجرة، أن يكتب التاريخ العربي ويقرأه قراءة علمية وموضوعية، فالمنهج الإسلامي والفقه الإسلامي جوانبه متحجرة فهي عاجزة عن كتابة تاريخ العرب وعاجزة عن استنطاقه بطريقة علمية وموضوعية [١]. بل الذي يكتبه ويقرأه بطريقة علمية وموضوعية هو حزب البعث العربي الإشتراكي ورجالاته من ربائب حركة المستشرقين الاستعمارية لغرض سلخ الأمة سر أصالتها وحضارتها العظيمة التي تهدد أوربا الكافرة ومصالحها الدنيئة .

٢ ــ ضــرب الحــوزة العــلمية في النجف الأشرف ومحاربة وجودها ونفوذها في الأمة، باعتبارها مركز الإشعاع الاسلامي ومنبع الفكر الاسلامي الأصــيل وحصــنه الحصــين الذي صمد في وجه محاولات الغزو الفكري لتحريف الاسلام واحتواء علمائه، وتمثل ذلك بالحصار الفكري والإجتماعي الذي ضرب حول الحوزة العلمية ومن ثم تشريدها واعتقال واعدام كثير من رجالاتها، ومنعهم من التعبير عن آرائهم ومواقفهم من خلال وسائل الاعلام الطبيعية مهما كانت يسيرة ومحدودة .

٣ ــ تحديد انتشار الكتاب الإسلامي، وذلك بمنع مئات الكتب الاسلامية مــن الــتداول ومنع دخول المئات الأخرى منها الصادرة في خارج العراق، واخضاع المؤلفات الإسلامية الجديدة الى تعليمات وقرارات الموافقة لمديرية الــرقابة العامة على المطبوعات التابعة لوزارة العلام، والتي وضعت بنوده وتعــليماته مــن قبل المكتب الثقافي للقيادة القومية لحزب البعث، وغالباً ما يخــرج المؤلــف الإسلامي من هذه المديرية وقد ختم عليه بختم ممنوع من

١ ــ نفس المصدر.

الطــباعة والنشر(*)، كما صدرت التعليمات بمنع اعادة طبع كثير من الكتب الإسلامية المتداولة في الأسواق .

٤ ــ مــنع تــداول ودخــول المجلات الاسلامية الصادرة من المراكز الاســلامية المنتشرة خارج العراق وكذلك اصدار قرار بسحب امتياز بعض المجلات الاسلامية التي كانت تصدر قبل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ ،وتحديد الــبعض الآخــر الذي لا يعدو المجلتين أو الثلاثة بقيود وضوابط من شأنها تفريغ قيمة المجلة من محتواها الإسلامي المطلوب ، وبنفس الوقت صدرت التعليمات الى الصحف والمجلات الرسمية وغير الرسمية بالإمتناع عن نشر المقالات والبحوث الإسلامية الرساليّة .

٥ ــ اصدار قانون استيراد الكتب والمجلات بما يسمى (الدار الوطنية للنشر) وقد وضعت هذه الدار الموجهة من قبل أجهزة البعث الحاكم تعليمات وضوابط تمتنع بموجبها من استيراد الكتب الإسلامية، وفتح الباب أمام الكتب الإلحادية والفكر الغربي والعلماني وكل ما ينسجم مع الإتجاه الفكري لحزب الــبعث حتى كتب الأدب المنحل والساقط واغراق السوق والمكتبات الثقافية بكميــات هائلة منها، وأجبر على نشرها وبيعها كل دور النشر ومكتبات بيع الكتب مهما كانت صفتها وإلاّ تعرض صاحبها الى الإعتقال وتصفية مكتبته أو دار النشــر العائدة اليه ومصادرة ما فيها، ولهذا اصبح الكتاب الإسلامي عملة نادرة يتنافس للحصول عليها من يملك المنافذ الخاصة والوسائل الخفيّة.

٦ ــ اعتبار حيازة بعض الكتب الإسلامية الرسالية جريمة يعاقب عليها القانون البعثي الجائر ويودع من تضبط بحوزته السجن ويتعرّض الى أنواع

(*) اتذكر ان الوالد السيد جواد شبر لما قدم الجزء الاول من موسوعته القيمة (ادب الطف او شعراء الحسين (ع)) للرقابة في وزارة الاعلام البعثية رفضوا التصريح له بالطبع ، مما اضطر الى طباعته في بيروت.

الـتعذيب والـتهم قد تصل حد الإعدام ، في مقابل ذلك تقدّم كافة التسهيلات والإغـراءات الماديـة والمعنوية لبعض المؤلفين المشبوهين لنشر نتاجاتهم المعاديـة للإسلام، وترويج مؤلفاتهم التي تثير الشبهات والمطاعن بالإسلام وقادتـه العظام، ومنع أي مقالة أو مؤلّف اسلامي يحتوي على رد ونقد لهذه الكـتب والمؤلفـات المشـبوهة الـتي تـم ترويجها ونشرها في المكتبات والمؤسسات الثقافية .

٧ ــ شن حملات التنكيل والإضطهاد ضد الكتّاب والمفكرين الإسلاميين لغـرض شـل قدرتهـم على الإنتاج والعطاء الفكري للأمة واجبارهم على الإعـتزال فـي زاوية البيت وإلاّ تعرضوا للسجن والتعذيب والتشريد على مختـلف الـتهم، في الوقت الذي تيسّر كافة وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية للكتاب والمؤلفين المنحرفين وتعتبر حكراً لهم ولإقلامهم المسمومة.

٨ ــ العمـل على تصفية كل المؤسسات الإسلامية للتربية والتعليم التي أُنشـأت بجهود العلماء وثلة من أبناء الشعب المسلم الغيارى منها:- مدارس جمعية الصندوق الخيري الإسلامي ، مدارس الإمام الكاظم ، ومدارس الإمام الجواد ، وكلية أصول الدين في بغداد، ومدارس حفاظ القرآن ومدارس الإمام الصادق في البصرة » وكذلك كلية الفقه ومنتدى النشر الإسلامي في النجف الأشرف، وغيرها من المدارس والمشاريع التعليمية، وقد بدأت حملة التصفية هذه بمضايقة العاملين في تلك المؤسسات وإرهابهم بمختلف الوسائل الدنيئة، كالإعتقال والإهانة والتحقيق والتعذيب ثم إلغاء القوانين السابقة التي تضمنّت بموجـبها المدارس الأهلية بشكل رسمي واستبدال المناهج الإسلامية المتبعة فيها بمناهج علمانية حكومية ، ومراقبة تنفيذها عن طريق المفتشين الرسميين والحـزبيين الذين زرعوا في داخلها، بعدها تم حصر تعيين أعضاء الهيئات التدريسـية لتلك المؤسسات التعليمية بالجهات الحكومية واصدار أوامر النقل للكثير من المدرسين الإسلاميين وإحلال غيرهم محلهم .

وأخيــراً تــم إصدار قانون بتأميم جميع المدارس الأهلية وعلى رأسها المــدارس والمعــاهد الإسلامية ومصادرة كافة الأموال والأبنية والأراضي العــائدة لهــا، وقد شمل هذا القرار تلك المؤسسات التي لا زالت قيد الدرس والإنشاء كجامعة الكوفــة .

الإتجاه الثاني:ــ

محاولــة القضــاء على الحوزة العلمية والمرجعية الدينية المجاهدة في العــراق ، ولعل في ذلك طلباً لثأر قديم للإنكليز في ذمة المرجعية الدينية في النجف الأشرف عندما اعلنت الجهاد المقدس في وجه غزوهم الكافر للعراق واستطاعوا ارغام الانكليز على الرضوخ لمطالبهم وتم سحب اغلب جيوشهم المندحرة، واستمرت هذه المرجعية الإسلامية المجاهدة تشكل شوكة دامية في عيــن الإنكــليز وعملائهم المتوالين على كرسي الحكم ومنذ ثورة العشرين الإسلامية التي فجرتها ضد الحكومة العميلة للإنكليز في العراق .

فــهى «أي المرجعية الإسلامية» من جهة تغذي الأمة بالفكر الإسلامي المــتجدد وتنشــر رسالة للحياة في أوساطها وتحرك قدراته الكامنة للنهضة والدعــوة الى إقامة حكم الإسلام العادل على ربوع البلاد، و من جهة أخرى تقــف وبلا هوادة تقارع خطط الإستعمار وعملائه من الحكام وتكشف للملأ خطورتهــا وتسدد ضرباتها الى مهدها ومنبعها ببيان حكم الله والعقل في كل مــا يخرصون من أفكار ومباديء، فكان لا بد للدوائر الإستعمارية من اعداد قــوة عمــلية تمــتاز بكل مقومات الحقد على الدين ورجاله ولا تتورع من اســتعمال أخس الأساليب وأدنى الوسائل لضرب هذا الوجود والقضاء عليه، فكــانت عصابة البعث في العراق وقامت بعد أن إستقر تحتهم كرسي الحكم واســتلموا زمــام الســلطة بعــد ١٧ / تمــوز/ عام ١٩٦٨ بتنفيذ المخطط الإســتعماري لإجتثاث الإسلام من واقع الأمة وعزلها عنه، وضرب مراكز

العطـــاء والإشـــعاع فيه، وكانت حصة الحوزة العلمية المجاهدة هي الحصة الأكـــبر ومـــن الأساليب التي مارسها الطغاة البعثيون في ضربها وضرب العلماء والمؤسسات الدينية مايلي:ـــ

١ ـــ مـــنع إلتحاق أغلب الطلبة المسلمين غيرالعراقيين بمدارس الحوزة العلمية لغرض الدراسة والتحصيل العلمي وعدم السماح لهم بدخول العراق، أمـــا العراقيون الذين يريدون الإلتحاق بمدارس الحوزة العلمية فيتم إبعادهم عـــن هـــذه المـــدارس بمختـــلف الوسائل والأساليب الوحشية كإلصاق التهم المختـــلفة بهم كتهمة الإشتراك بنشاطات سياسية معادية للسلطة ومطاردتهم واعـــتقالهم وتعذيـــبهم أو ملاحقتهم لسوقهم لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية ورفض اعطاء أي إعفاء لطالب الحوزة أو تأجيله إسوة بباقي طلبة المدارس والجامعات العراقية، كما حاولت السلطة وضع مدارس الحوزة العلمية تحت طائلة قوانينها الجائرة، فأصدرت قانوناً منعت بموجبه تسجيل الطلبة في أية مدارس لا تملك ترخيصاً رسمياً .

٢ ـــ غـــلق كل منافذ الإمداد المالي الشرعي المتمثل بالحقوق الشرعية المقـــررة في الشريعة الإسلامية كالزكاة والخمس، ومنعها من الوصول الى مـــراجع المســـلمين من مقلديهم في خارج العراق وإلصاق التهم الدنيئة بكل مـــتدين تـــتوفر لديه أموال كبيرة من الحقوق الشرعية يسعى لإيصالها الى المراجع ووكلائهم في مختلف المناطق .

١٤ إن الهدف من ذلك واضح لأبسط الناس، فالسلطة تعرف إن استمرار الطلبة والأساتذة والمراجع في دراستهم الإسلامية وأدوارهم الرسالية يتوقف على توفير الأموال اللازمة كأحد العوامل لتيسير التفرغ للدراسة والتحصيل وللعمل الإسلامي الرسالي .

٣ ـــ القيـــام بحمـــلة تسفير وتشريد واسعة النطاق شملت أغلب أساتذة وطلـــبة الحـــوزة العلمية وبعض الفقهاء والمراجع غير العراقيين بل وحتى

العــراقيين مــن حمــلة الجنســية العراقية إلاّ إنهم من الدرجة الثانية حسب التصــنيف الإســتعماري لدائرة الجنسية العراقية بدون بيان أي سبب معقول لهذه الحملة.

أمــا مــن تــبقى من الفقهاء والعلماء فقد شدد التضييق عليهم ولوحق طلبــتهم، بــل ومنع البعض منهم من إلقاء المحاضرات العلمية والدراسات الإسلامية ومزاولة مهامهم وواجباتهم الشرعية المختلفة .

٤ ــ ممارســة الضــغوط المختلفة على إدارات مدارس الحوزة العلمية لغــرض ربطهــا بالأجهزة الحكومية وتوجيه نشاطاتها المختلفة وإخضاعها لسياسة السلطة البعثية ومناهجها الرسمية المنحرفة في التعليم الديني وعزلها مــن علماء الإسلام ومراجع المسلمين، في نفس الوقت تسعى سلطات البعث الى صناعة علماء دين مزيفين موالين لها، وإنشاء مدارس وجمعيات اسلامية كاذبة تتاجر بالدجل والخداع بإسم الإسلام وتخريج مجموعة من رجال الأمن المعممين وتوزيعهم وزرعهم في الأوساط العلمية وبعض

المساجد والحسينيات بعنوان وكلاء للمرجع الديني .

٥ ــ إصدار قانون خاص للعتبات المقدسة وضعت بموجبه هذه العتبات تحــت الإدارة الحكوميــة المباشرة، وسيطرت على كافة الثروات والأموال الواردة اليها، وأطلقت يدها فيها كيف تشاء، ولم تلتفت هذه السلطة لصيحات الإســتنكار ورفضت كل مقترحات التعديل في هذا القانون الجائر بما ينسجم وقدســية هــذه العتبات وتبعيتها للإسلام ومراجع المسلمين، بل إستمرت في غيهــا فــتحركت للســيطرة على المكتبات الإسلامية الضخمة وصادرت ما تحتويه من نوادر المخطوطات العلمية المهمة والضرورية في أي بحث فقهي أو تاريخي يقوم به علماء الدين وتمت هذه الخطوة تحت ستار المحافظة على المخطوطــات الوطنية، ولم تكتف بالمكتبات العامة، بل عمت الى المكتبات

الخاصـــة بـــبيوت بعض علماء الدين وصادرت اغلب محتوياتها المهمة من المخطوطات والكتب النفيسة وألحقتها بمكتبة الآثار العامة بدلاً من استثمارها في البحث والدراسة العلمية.

٦ ــ بث الإشاعات المغرضة والمقالات والكتب الرخيصة التي تعرض تاريخ شخصيات المراجع والعلماء المسلمين العظام بصورة مشوهة، لإلصاق شـــتى التهم والشبهات حول أدوارهم الإسلامية ومواقفهم الشرعية وفي هذا الإتجاه حاولت السلطة البعثية من خلال مخططاتها زج المرجعية الدينية في مكـــائد سياسية خطيرة من شأنها تشويه سمعتهم في المستقبل وإظهار دعوى إرتـــباطاتهم المشـــبوهة، منها محاولة أحمد حسن البكر الطلب من المرجع الديـــني السيد محسن الحكيم « قدس سره » لإصدار تأييد للحركة الإنقلابية المشبوهة في ١٧ / تموز/ عام ١٩٦٨ قبل قيامها ولكن الطلب رفض رفضاً باتـــاً، وبعـــد الإنقلاب حاولت الزمرة البعثية مراراً الحصول على فتوى من المـــرجعية الديـــنية تبيح فيها الحملات العسكرية الظالمة للسلطة البعثية التي تهـــدف الى إبـــادة الأخوة المسلمين الأكراد وإصباغ الصفة الشرعية عليها، فرفضـــت المـــرجعية هذه الطلبات المتكررة رفضاً قاطعاً، وفي سنة ١٩٦٩ طلبت السلطة البعثية من المرجعية ــ وكان على رأسها في ذلك الوقت الإمام الســـيد محسن الحكيم قدس سره ــ التوسط لدى حكومة الشاه في ءنينه لحل مشاكل الحدود والنزاع القائم بين البلدين على شط العرب، فطلبت المرجعية أن يكـــون طلب السلطة تحريرياً ويعلن في أجهزة الإعلام لوعيها بأن وراء ذلك مخططاً خبيثاً يهدف الى جر المرجعية لإقامة علاقات وممارسات سرية تضـــعها فيمـــا بعـــد في موضع التهمة والمساومة، فاسقط ما في يد السلطة البعثية وتراجعت عن طلبها هذا .

وفـــي الســـنين الأخيـــرة قبل إنتصار الثورة الإسلامية في ايران، وبعد تدهـــور الأوضاع بين البعثيين والشيوعيين حاولت السلطة مراراً من خلال

مــبعوثين مــن كبار المسؤولين البعثيين الحصول على فتاوى من المرجعية الإسلامية تبرر قيامها بحملات الإعتقال والمطاردة والقتل للشيوعيين، ولكن المــرجعية المجاهدة كعادتها رفضت اصدار مثل هذه الفتاوى وأجابت هؤلاء المســؤولين: « أن ارفعوا الحصار عن الفكر الإسلامي الحبيس وهو الكفيل بقطع دابر الشيوعية في البلاد ... » [١].

٧ ــ قيــام الســلطات البعثية العميلة بحملات الإرهاب والتضييق على الفقهــاء ومــراجع الديــن المجــاهدين، ومنع ابناء الأمة من الإتصال بهم، والإنهيال عليهم بالإهانات والإشاعات الرخيصة، حتى وصل بهم الأمر الى محاولة قتلهم بشتّى الأساليب وبطرق وحشية خشية إثارة حفيظة الأمة، وليس بــبعيد عــن ذاكرة الشعب العراقي ما تعرض له المرجع الديني المغفور له السيد محسن الحكيم قدّس سره في السنة الأولى من حكم البعثيين عام ١٩٦٩ مــن مضايقات واهانات وارهاب واتهامات وما تعرض له من بعده العلماء والخطــباء ورواد الحــركة الاســلامية مــن مضايقات ونفي وتنكيل وقتل جماعي..

ولم يكتف جلاوزة البعث بذلك بل عمدوا الى كافة الحسينيات والمساجد في البلاد خاصة تلك التي تقع تحت اشراف وكلاء مراجع الدين وأخضعوها الى بعــض القوانيــن الــتي أصدرتها وزارة الأوقاف في محاولة للسيطرة التدريجية عليها وادارة شؤونها وحصر تعيين أئمة الجماعة فيها بهذه الوزارة بــدلاً مــن مــراجع الديــن، ومن ثم تحديد دور الوكلاء ومنعهم من القيام بواجــباتهم الرســالية، وقــد رافق ذلك القيام بحملات الإعتقال والإضطهاد والتعذيب للوكلاء المجاهدين في كافة مناطق العراق .

---

١ ــ من كلام آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر « قدس سره » حينما طلبت السلطة البعثية منه تبرير قيامها بحملات إعتقال الشيوعيّين واصدار فتاوى بذلك .

وتمخضت الحملة عن استشهاد البعض تحت التعذيب الوحشي وتنفيذ حكم الإعدام والسجن المؤبد بعدد آخر وتشريد الكثير ممن تبقى منهم داخل العراق وخارجه.

الإتجاة الثالث: ــ

التصدي لتنظيمات الحركة الإسلامية والعمل على تصفية كوادرها وتشكيلاتها العامة :ــ

ان من أبرز مظاهر الخطر التي انتبهت لها قوى الإستعمار والصهيونية العالمية في البلاد الإسلامية وفي العراق خاصة، على نفوذها السياسي ومصالحها الأساسية ... هي بروز التنظيمات والأحزاب الإسلامية التي أفرزتها المرجعية الإسلامية المجاهدة وعلماء الدين العاملين، لما تتمتع به من محتوى عقائدي نقي واطروحة علمية تتميز بالإعتماد على الله وعلى القوة الكامنة في الشعب المسلم منطلقاً مبدئياً ومادة أساسية لبناء وجودها وكيانها وبتبني المرجعية المجاهدة قيادة شرعية وسياسية لها وبرفض كل انواع الوصاية والتبعية السياسية لكافة القوى الكبرى الشرقية منها والغربية وكافة الحكومات العميلة في المنطقة السائرة في ركابها وكذلك رفض الممارسات اللاأخلاقية وكل الأساليب المشبوهة التي تمخضت بها كل الأحزاب السياسية لقوى الشرق والغرب وعلى رأسها حزب البعث إنما اعتمدت مبدأ التغيير الجذري الشامل القائم على الأساليب الإنسانية والأخلاق الإسلامية الرفيعة، وقد استطاعت بذلك استقطاب خيرة ابناء الشعب العراقي وغيرهم من ابناء الأمة الإسلامية خارج العراق، وفي طليعتهم العناصر المثقفة والمخلصة من طلبة الجامعات العلمية وحملة الشهادات الإختصاصية المختلفة .

وبدلاً من فتح ابواب الحوار الموضوعي الهادف وتيسير الفرص المناسبة للمناقشة الحرة لبيان الفكر الأصيل الذي تتبناه العقول السليمة واثبات الأطروحة الجديرة بقيادة الحياة البشرية، راحت قوى البعث وانطلاقاً من

فراغها الفكري وهزالها المبدئي، ومن خلال مركب النقص هذا تشن حملات الإرهـــاب والتـــنكيل بقـــوى الحركة الإسلامية الرائدة تنفيذاً لأوامر اسيادهم المســـتعمرين الذين جاءوا بهم الى كرسي الحكم لهذا الغرض الإجرامي وقد تدرجت هذه الحملة الفاشية المضادة بالممارسات التالية :ــ

١ ــ منع هذه الأحزاب والتنظيمات الإسلامية من العمل والنشاط العلني مـــن خـــلال المنافذ الإعتياديه لها كالمساجد والحسينيات والمؤسسات الدينية اضـــافة الى منعها من الظهور على المسرح الإجتماعي العام وحرمانها من استثمار أية وسيلة من وسائل النشر والإعلان لغرض طرح أفكارها وآراءها فـــي مختـــلف الشـــؤون وتوضيح حقيقتها وبيان رسالتها واطروحتها لأبناء الشـــعب العـــراقي خاصة وللجماهير الإسلامية عامة، ليكون الشعب المسلم ولتكون الأمة الإسلامية هي الحكم الفيصل في قبول هذه الرسالة وتبني هذه الأطروحة في قيادة حياتها الإجتماعية والسياسية، في الوقت الذي كانت هذه الســـلطة تقـــدم كافـــة التسهيلات والإمكانات لكثير من الحركات الإجتماعية والأحزاب السياسية وحتى الحركات المشبوهة للأقليات القومية والدينية وتفتح أمامها سبيل استثمار بعض وسائل الإعلام بمجرد إنها لا تحمل فكر الإسلام وعقيـــدة الشـــعب المسلم وتنسجم مع سياستها العلمانية الحاقدة على الإسلام ورجاله.

٢ ــ إشـــاعة بعـــض الشـــبهات المختلفة والتهم الباطلة وإلصاقها بهذه الأحزاب والتنظيمات الإسلامية ومحاولة عزلها عن الأمة وعن الوسط الديني التقليدي .

٣ ــ فـــي محاولـــة لشـــل قدرات هذه الأحزاب والتنظيمات الإسلامية وتصفية كوادرها القيادية ومنعها من ممارسة دورها في أجواء حرة طبيعية، قـــام الـــنظام البعـــثي الجائـــر في فترات متعددة بحملات إرهاب واضطهاد

وملاحقـــة لأعضـــاء وأوساط وأنصار هذه الأحزاب والتنظيمات وتعريضهم لأصـــناف الـــتعذيب الوحشـــي والتحقيق البوليسي وترك الكثير منهم تحت الـــتوقيف لعـــدة ســـنوات دون إجراء أي محاكمة قانونية لهم، كما اصدرت أحكامـــاً بالسجن المؤبد أو لفترات طويلة أو بالإعدام لخيرة العناصر القيادية فيهـــا مع العلم إن البعض منهم كان قد استشهد تحت تعذيب وحشي لم تعهده دوائـــر المخابرات والأمن العالمية إلا في غرف التعذيب النازية، مثل:إذابة بعضهم في أحواض من الحوامض المركزة أو تركهم تحت رحمة الأمراض الفتاكة حتى الموت أو الإجهاز عليهم بآلات التعذيب القاتلة، كل ذلك تم بتهمة الإرتـــباط بالأحزاب الاسلامية ومن خلال محاكمات صورية ومحاكم خاصة وقوانين استثنائية لا إنسانية .

٤ ــ أحكـــام الحصـــار الـــثقافي والإجتماعي والإقتصادي على أوساط الأحزاب الإسلامية وأنصارها، وذلك بمنعهم من دخول بعض الكليات العلمية بحجة عدم الإنتماء لحزب البعث أو التعاون معه، وكذلك إبعادهم الى وظائف حكومية خارج مناطق سكناهم وعزلهم عن عوائلهم ومجتمعاتهم، وحرمانهم مـــن كافـــة الإمـــتيازات المعاشية والإجتماعية الأخرى التي يحصل عليها موظفـــوا الدولـــة أو العامـــلون فـــي مختـــلف القطاعات الإقتصادية العامة والخاصة.

٥ ــ لقـــد تـــوّج البعـــثيون أعمـــالهم الإجرامية بإصدار القرار الجائر والإجرامي بتاريخ ٣١ / آذار / ١٩٨٠ م والذي يقضي بإعدام كل من ينتمي الى حـــزب الدعـــوة الإســـلامية، وكل من يحمل أفكاره ويروجها ويتعاطف معها، وتسري أحكام القرار بأثر رجعي، وهذا يعني الحكم بالإعدام على كل مـــن ينـــتمي لأي تـــنظيم إسلامي أوحركة إسلامية، بل يشمل كل من عمل للإســـلام وروّج أفكـــاره ودعى الى تحكيـــم مبادئه، فراحت قوافل المؤمنين تصـــعد على المشانق أو تموت رمياً بالرصاص أو تموت تحت التعذيب في

سبيل الله وفي سبيل رفعة الدين القويم، وعلى رأس تلك الجموع السيد الشهيد الصـــدر وأخـــته العلوية المظلومة الشهيدة بنت الهدى، حيث أقدمت سلطات الإجرام على أعدامهما بتاريخ ٨/ نيسان / ١٩٨٠ م .

الإتجاه الرابع: ــ

العمل على إزالة كافة المظاهر الإسلامية القائمة في المؤسسات الرسمية وفـــي المجـــالات الإجـــتماعية العامـــة وزرع بؤر الفساد الأخلاقي الموجه ومظاهر التحلل والإباحة بدلاً عنها :ــ

إن بقـــاء الأرضية الدينية والأخلاق الإسلامية، كأجواء ينمو فيها التيار الإســـلامي وتـــتمكن مـــن خلالـــه التنظيمات الإسلامية من الإمتداد وبسط النشـــاطات الإسلامية الشعبية المختلفة التي إعتاد عليها أبناء الشعب العراقي عـــلى اختلاف طبقاته وقومياته، وفي مختلف أنحاء البلاد، سوف يهدد منهج الســـلطة العـــلماني الهادف الى تقويض الدين من حياة المجتمع وضرب كل مـــنابع القـــدرة والنمو فيها، فعمدت السلطة الى إنتهاج خطين متوازيين في القضاء على هذه الأرضية الإسلامية ومظاهرها الأخلاقية:

الخـــط الأول: القيـــام بحمـــلة إجـــراءات تهدف الى إزالة كافة الصور والمظاهـــر الإســـلامية من الوسط الإجتماعي والأجهزة الحكومية، كان من أبرزها ما يلي: ــ

١ ــ اصـــدار قرار بمنع أجهزة الإعلام من نقل كافة المظاهر والشعائر الإســـلامية، كشعائر صلاة الجمعة والآذان للصلاة اليومية ونقل الإحتفالات الإسلامية الموسمية وشعائر الأعياد وغير ذلك، وكانت حجة السلطة في هذا الإجـــراء هـــو عـــدم إثارة الأقليات الدينية كالنصارى واليهود، حفاظاً على

الوحـــدة الوطـــنية، ومن المضحك أن تكون الوحدة الوطنية هدفاً يسعى اليه البعثيون في الوقت الذي تهرج وسائل الإعلام ليل نهار بشعارات عنصرية، كالقوميـــة والعرقية ولا يخشون من إثارة الأقليات القومية الأخرى كالأكراد والتركمان بل وتشن حرب الإبادة الظالمة ضد أبناء القومية الكردية في شمال العراق دون رحمة .

٢ ــ مـــنع إقامـــة بعـــض الشعائر الإسلامية، كالإحتفالات والمسيرات ومجـــالس العـــزاء والوعـــظ المقامة في المناسبات والمواسم الإسلامية في الأمـــاكن العامة وحصرها في المساجد والحسينيات وبعض المناطق الدينية المحدودة بهدف عزل مايمكن من الأوساط الشعبية الواسعة من المشاركة أو الـــتأثر بهـــا وفي نفس الوقت تمارس الأجهزة الحزبية ورجال الأمن بعض الأعمال القمعية وبث الإشاعات الإرهابية، لزرع الخوف والرهبة في نفوس الناس ومنعهم من إرتياد المساجد وتحديد مشاركتهم في هذه الشعائر .

٣ ــ الضـــغط عـــلى وكلاء المراجع وأئمة المساجد والخطباء الدينيين ومحاولـــة إجـــبارهم على الإرتباط بأجهزة السلطة من خلال فرض رواتب شهرية لهم وقسرهم على إستلامها ومن ثم تحديد موضوعات معينة معدة لهم مـــن قبل وزارة الأوقاف لغرض قرائتها وبخلافه يمنع من ممارسة وظيفته الديـــنية وإرتقاء المنبر الإسلامي، إلا بعد الحصول على إذن خاص من قبل السلطات الأمنية والحزبية ووفق الشروط والإلتزامات التي تمليها عليه .

الخط الثاني: زرع الفساد الأخلاقي الموجه ومظاهر التحلل والإباحة في كافـــة الدوائر والمؤسسات الحكومية والمجالات الإجتماعية والثقافية وأبرز صورها هـــي: ــ

١ ــ وضـــع مخطـــط إعلامي وثقافي تم تنفيذه بواسطة أجهزة الإعلام المختـــلفة والمؤسســـات الـــثقافية الحـــزبية والمدارس والجماعات والدوائر الحكومية، كالتمثيليات التي تستخف بعلماء الدين والأخلاق الإسلامية وبرامج

الــترفيه الماجــنة والحفلات الليلية الفاجرة واستدعاء فرق الرقص والوفود الأجنــبية فــي مختلف المناسبات وارسالهم لزيارة المناطق الدينية كالنجف وكــربلاء والكاظميــة وســامراء والموصــل وغيرها وهم في غاية التهتك والإســتهتار تحــت وصاية وحماية المنظمات الفاسدة، الى إنشاء بؤر الفساد قــرب المــدن الديــنية المقدسة، « كبحيرة الرزازة » السياحية في كربلاء، ومهرجانات الربيع السنوية في الموصل وغيرها، وارسال الفرق الفنية للغناء والــرقص وتعاطي الخمور هناك، وزجت هذه السلطات الفاسدة بأغلب طلبة المدارس والجامعات وموظفي الدوائر الحكومية في هذه الأجواء والممارسات اللااخلاقية بهدف التأثير فيها، وتشجيعهم على السقوط في رذائلها خاصة في إشــاعة ظاهــرة الإخــتلاط بيــن النساء والرجال ونبذ الحجاب الإسلامي والخروج بسفور فاضح مبتذل.

٢ ــ زيادة الطاقة الإنتاجية لمعامل الخمور والبيرة ومضاعفة استيرادها مــن الخارج وطرحها في الأسواق بكميات هائلة وبأسعار زهيدة رافقها دعم وتشــجيع فــتح حانات الخمور والزام كافة مطاعم الدرجة الأولى والمقاهي الســياحية والــنوادي الإجتماعية على تقديم المشروبات المسكرة، بل وتقديم الدعــم المالي لها بحجة تشجيع السياحة، حيث كانت مؤسسة السياحة تعطي مــنحة مقدارها ٥٠٠ دينار لكل مقهى ومطعم يقوم ببيع الخمور كما أقامت شركة المخازن العراقية الحكومية بفتح محلات خاصة لبيع الخمور في أغلب فــروعها المنتشرة في المحافظات والأقضية وإيصالها الى مقرات الجمعيات الفلاحية ونواديهم الخاصة بالقرى .

٣ ــ رفــع الــرقابة عــن الأفــلام السينمائية الخليعة، خاصة الجنسية والإباحيــة منها وتشجيع دور السينما والنوادي على عرضها واغراق برامج التلفزيون بها وبحفلات الرقص الخليع وبكل ما من شأنه نشر الفساد وإشاعة

الرذيلة وإباحة هتك الأخلاق والأعراض، وكذلك تشجيع اصدار ونشر الكتب والمجلات الجنسية الفاضحة وإشاعتها في أوساط طلبة المدارس والكليات .

٤ ــ وضــع الإمتيازات الخاصة والمكافآت الكبيرة لكل من ينتمي الى فــرق الموسيقى والرقص وفرق الفنون الفلكلورية الشعبية حتى صار راتب عضو الفرقة القومية للرقص مساوياً لراتب الأستاذ الجامعي من حملة شهادة الدكــتوراه في بداية تعيينه واستثمار المدارس والجامعات والنقابات ونوادي الموظفين وغيرها لإقامة نشاطاتها الفاسدة وحفلاتها الماجنة .

٥ ــ فتح مراكز الشباب وتشكيل ما يسمى بمنظمة الطلائع وجعلها بؤرة للمارســات اللاأخلاقيــة واشــاعة الإختلاط الفاسد بين الجنسين في أوساط الشــباب الناشيء وتشجيع مظاهر التحلل والمجون بينهم من خلال السفرات والمخيمات المختلطة الى جانب أهدافها السياسية الأخرى .

٦ ــ محاربــة مظاهــر الإلــتزام الأخلاقي، واتهام اصحابها بالرجعية والتحجر والتخلف واضطهاد من يروج لها بتهمة العمل السياسي ضد الثورة والحزب، ومن أمثلة ذلك حملة التشهير والملاحقة للشابات المتدينات اللواتي يرتدين الحجاب الإسلامي في المدارس والجامعات والدوائر الحكومية، وفي نفس الوقت تقوم السلطة بفتح المدارس المختلطة بين الجنسين في كافة أنحاء الــبلاد ابــتداءاً مــن مراكز المحافظات الى القرى والأرياف وغلق المعاهد والكــليات غير المختلطة، ككلية البنات وكلية الشريعة / قسم البنات وغيرها وتــم ذلك تحت شعارات وعناوين براقة، كالثورية والعصرية والتحرر، في مقــابل شعارات ومقاييس كالرجعية والتعصب والجمود والتخلف التي تطلق على مظاهر العفة والإلتزام الأخلاقي .

٧ ــ إنــتهاك ما تبقى من حرمات للشريعة الإسلامية في إطار الأحوال الشخصية وتشريع قوانين منافية لأحكام الإسلام وخاصة في مسائل الزواج، حيــث تــم تحديد سن الزواج بعمر متقدم على سن البلوغ الشرعي بسنوات

ويعـــاقب المتزوجون قبل هذه السن ورافق ذلك خلق أوضاع معيشية صعبة في مجالات العمل والغلاء الفاحش وشحة المواد الغذائية وندرة النقل والسكن الضروري وتشريع قانون الخدمة الإلزامية وزيادة سنواتها وبمرتبات زهيدة جـــداً، كـــل ذلـــك كان يفرز حالة من الحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية كالـــزوج المناســـب وضرورات الحياة الكريمة من معاش ومسكن وخدمات أخرى فيندفع الشاب الى مجالات الفساد الأخلاقي المنتشرة في كل مكان وفي تكاليف زهيدة أو مجاناً في كثير من الأحيان كحانات الخمور وأوكار تعاطي الـــزنا والرذيـــلة وحـــتى الحدائـــق والمتـــنزهات التي تحولت الى مراكز للممارسات اللاأخلاقية ولإقامة العلاقات غير المشروعة، ولم يكتف البعثيون بذلك بل كانت نوادي نشاطهم الحزبي ومؤسساتهم الترفيهية الساقطة مفتوحة لأعضائهم وأنصارهم.

هذه أهم الإتجاهات العملية التي مارسها حزب البعث وسلطته العميلة في العـــراق ضـــد المحور الإسلامي الذي رأى فيه الخطر الرئيسي الذي يهدد الوجود الإستعماري ومصالحه في المنطقة [١].

---

١ ــ العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل ــ ص ١٥٨

الفصل الخامس

التصدي للمخطط البعثي لتدمير الحوزة

أولاً: ــ المعادلة الصعبة.

ثانياً: إعادة الثقة بالنفس للأمة وربطها بالمرجعية.

حماية الحوزة.

الدفاع عن المرجعية.

لماذا لم يطرح نفسه للمرجعية مبكراً ؟

ثالثاً : ــ عملية في إعادة بناء الحوزة .

وكما اسلفنا فقد كان المخطط الاستعماري، الذي وُضع لتثبيت اركان البعث في سبيل تحطيم اركان الإسلام وسلب قدرة الأمة على المواجهة يحمل في أولوياته اسلوب العنف والمواجهة والدم، وكان يسير بخطة مرسومة محكمة تنفذ بالتدريج، فبعد ان تم تصفية الحساب مع الأعداء التقليديين «الشيوعيين » لا بد من الإتجاه نحو العدو الحقيقي الأكبر والاهم والأعتى والمتمثل بالمرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الاشرف، وقد ادرك البعث ان المواجهة المباشرة محكومة بالخسارة دون ادنى شك فعليه ان يستخدم الأسلوب المرحلي .. فضرب القاعدة أولاً، وابعاد الأمة عن الحوزة ثانياً ، وسلب الدعم المادي ثالثاً، واستخدم البعث في ذلك أقذر الوسائل .

ولما كانت المرجعية الدينية تمثل الوجه القوي والعملي الذي يحتل الساحة، ومن ورائها الحركة الإسلامية التنظيمية الواعية ، لذلك تصور الاستعمار ومن وراءه البعثيون؛ ان الحركة الإسلامية المنظمة تكمن قيادتها في مدرسة النجف الأشرف أو بالتحديد في مرجعية الإمام الحكيم بالذات ؛ فلذلك خططوا لضرب هذه الشخصية في النجف، اضافة الى ضرب الحركة الإسلامية التنظيمية من خلال تشويه صورة هذه الشخصيات وعزلها اجتماعياً لتخلو الساحة الى قوة واحدة هي حزب البعث ... فصمموا على تلك النقطة ، ولكنهم قبل ان يخطوا خطوتهم فكروا بالإستفادة من شخصية الإمام الحكيم « قدس سره » الى الحد الممكن في تدعيم حكمهم، ثم تنفيذ الأمر، وفعلاً فان رئيس الجمهورية آنذاك « أحمد حسن البكر » سافر الى النجف للقاء « السيد الحكيم » وقبل أن يصل النجف بـــ ٢٠ كم اتصل الإمام الحكيم بقائمقام النجف وأخبره بأنه ليس على استعداد لإستقبال « البكر » فاتصل هذا بالجهات المسؤولة ثم اتصلوا بالبكر في سيارته وأخبروه بأن الإمام الحكيم لا يرغب أن تزوره فلوى عنانه ورجع من حيث أتى ...

والحقيقة ان البعثيين حاولوا أن يثبتوا شرعية وجودهم وشرعية ما قاموا به من إعدامات وازهاق ارواح بعد أن يظهروا للناس بأن الإمام الحكيم قد بارك خطواتهم، وان كان السيد قد أبدى إمتعاضه منهم، ولكنهم لا يتورعون أن يكتبوا في جرائدهم ما يريدونه ويرغبونه، وعندما لا يكون للسيد أي خيار غير السكوت ؛حيث أن الكلام في هذا الموضوع يعني المواجهة العلنية ؛ وهو ما يهدفون اليه لضربه والتخلص منه لذا فكر (رحمه الله) في عدم استقبال البكر والجلوس معه لئلا يكون ذلك ذريعة للسلطة في تقوية مركزها.

وقد حاول النظام وفي أكثر من مرة الطلب من السيد مهدي الحكيم الذي كان يمثل والده السيد محسن الحكيم في بغداد منذ عام ١٩٦٤ م القيام بزيارة علنية الى الرئيس أحمد حسن البكر ولكن طلبهم كان يُرفض في كل مرة .

وهنا حانت الفرصة في نظر بريطانيا في التوجه وانهاء حسابها معه على يد عملائها في العراق؛ لأن الظروف مواتية والامة تعيش واقعاً بعيداً عن التفكير الجدي والثورية وكانت الخطة تضم نقطتين .. الأولى تقوية صورتها أمام الناس، والثانية التخلص من القيادة الدينية المنافس القوي ، وفعلاً فقد تمت الخطوة الأولى في ظروف سياسية واجتماعية مناسبة، حيث ان مسألة الجواسيس لا زالت في الأذهان، والناس تعيش تجاهها حالة الشلل الفكري، والخوف النفسي.

وفي غمرة هذا الوضع قدم الحزب خطته لتشويه صورة المرجعية الدينية في النجف حيث انه قدم أحد الرخصاء، وهو المدعو مدحت الحاج سرّي من خلال الإذاعة والتلفزيون في يوم ٧ حزيران ١٩٦٩ تحت تهديد الإعتداء على عرضه أمامه، واعترف بأن أحد ابناء الإمام الحكيم وهو الشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم « رحمه الله » كان يقوم بوساطة المصالحة في زمن (عبدالرحمن عارف) مع الأكراد، وهذا هو نوع من انواع التجسس حيث ان الأكراد في عرفهم عملاء والحكومة السابقة عميلة،

وفعلاً فقد صدر عليه فيما بعد حكم بالإعدام ومصادرة جميع أمواله المنقوله وغيــر المنقولة كما خصص النظام جائزة مالية مقدارها خمسة آلاف دينار لمن يلقي القبض عليه أو يدلي بمعلومات عن مكان إختفائه .

ولــو أمعــنا النظر في هذه النقطة لوجدنا ان حزب البعث كان في ذلك الوقت لا يجرأ على التوجه التام لشخصية (السيد الحكيم) بالذات أولاً، وانه لم يســتطع أن يــتهم ابنه بما يريدون صراحة حيث كان بامكانهم وببساطة ان يــتهمو ا ابــن الســيد بما يرغبون من التهم على لسان رخيصهم على شاشة التلفزيون، ولكنهم كانوا لا يملكون الجرأة الكاملة في هذا المضمار، ولخوفهم مــن ان الــناس سوف لن تصدقهم . ثانياً انكشاف خدعتهم وكذبهم . وبذلك يفشل مخططهم ولقد كان في حساب البعث ان يحقق من هذه العملية اموراً في غاية الأهمية ومن أهمها : ــ

١ ــ تشويه صورة المرجعية الدينية امام الناس وعزلها عن المجتمع ثم سرقة القيادة منها .

٢ ــ تخويــف كل مراكز القوى الأخرى وارهاربهم بعدما ينجحون في ضرب اقوى شخصية دينية وسياسية في العراق على الإطلاق .

السيد الصدر ودعم مرجعية السيد الحكيم «قدس سره»:

لجأ النظام الى حملة واسعة لحل المؤسسات الدينية الشيعية منها والسنية عــلى السواء . والواقع إن النظام لم يكن له خيار آخر حيال هذه المؤسسات فهــو على طرف نقيض منها، ويشهد توسع الحركات الدينية في القطر على حساب ما يدعيه من أفكار قومية وعلمانية .

فاذا اريد لأفكاره الصمود ولنظامه البقاء فما عليه إلا أن يحشر الطرف المقابل في زاوية ضيقة أو الإجهاز عليه .

ولجأ النظام في البداية الى إتباع سياسات شعبية متطرفة يطرب لها الشعب ويستحسنها، منها مناهضة الصهيونية وتحرير فلسطين ومناهضة الأنظمة التي وافقت على الحل السلمي مع اسرائيل، واعدام الجواسيس، وتمتين العلاقات مع دول المعسكر الشرقي والدول الغير منحازة، وتقديم يد العون للحركات الثورية في العالم الثالث، وتأميم إمتيازات الغرب في العراق، وغيرها من الشعارات البراقة والبرامج الإعلامية .

وخطى النظام خطوته الأولى في طريقه لتقليص نفوذ المؤسسة الدينية الشيعية لإغلاقه المدارس الدينية وبالتحديد مدارس « الجوادين » الإبتدائية منها والثانوية، وكذلك كلية أصول الدين، وكذلك صادر الأرض والأموال المخصصة لبناء جامعة الكوفة، وإغلاق اصدار مجلة «رسالة الإسلام» وهي « المجلة الدينية الوحيدة التي سمحت بها رقابة الأنظمة السابقة»، ومنع مواكب الطلبة «وهي المراسيم التي كان يؤديها طلبة الجامعات في ذكرى إستشهاد الإمام الحسين «ع»، وتسفير مئات الطلبة غير العراقيين الذين كانوا يدرسون في الحوزة العلمية، وتطبيق الخدمة العسكرية الإلزامية على طلبة الحوزة العراقيين والذين كانوا معفوّين منها سابقاً، وبالرغم من شمولية الإجراءات ولكنها كانت محددة الهدف ألا وهو تحديد فعاليات الحركة الإسلامية الشيعية والتي يظهر إن قيادتها قد أخذت على حين غرة حيث إن ردود فعلها كانت غير منسقة وغير منسجمة مع طبيعة الإجراءات التي إتخذتها حكومة البعث .

بعض ردود الفعل هذه كان هو الأجتماع الذي دعت اليه جماعة العلماء التي تمثل جل المؤسسة الدينية للتشاور بالإجراءات التي يجب اتخاذها ضد الهجمة السافرة التي تشنها الحكومة والذي عقد في بغداد العاصمة، وكان من جملة القرارات التي تمخض عنها الإجتماع، هو دعوة السيد الحكيم السفر الى بغداد وتعبأة الجماهير ضد اجراءات حكومة البعث .

وبالفعل قام السيد الحكيم بالمبادرة وانتقل الى الإقامة في الكاظمية حيث بدأ باستقبال جماهير المريدين الذين عبّروا عن تأييدهم وولائهم له.

بعدهـــا توجـــه الســـيد الصدر الى لبنان، حيث يرأس إبن عمه وشقيق زوجـــته، السيد موسى الصدر، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى واستعمل مكتـــبه لتنظيم الإحتجاجات الشعبية من الخارج ضد النظام العراقي كما بعث الســـيد موسى الصدر برقيات الى رؤساء الحكومات والمؤسسات الإسلامية يحـــثهم فيها على التدخل ضد المضايقات التي تتعرض لها القيادة الدينية في الـــنجف . ولكن الرد عليها كان مخيباً للآمال ولم تتخذ أي اجراءات مناسبة ســـوى بعـــض بـــرقيات التضـــامن والتعاطف من جمال عبدالناصر وملك السعودية الملك فيصل والرئيس اليمني الإرياني، ورئيس الجامعة الإسلامية في باكستان أبو الأعلى المودودي .

ونـــتيجة لذلك عاد السيد الصدر الى العراق بالرغم من الخطر المتزايد باعـــتقاله نتيجة نشاطه المضاد للحكومة في لبنان . وقد اقترح حزب الدعوة مـــن طـــرفه عـــلى السيد محسن الحكيم تنظيم المظاهرات واغلاق السوق الرئيسي في بغـــداد . وقد رفض السيد الحكيم الخطة بأكملها على أساس ان الحزب لم يكن مهيأً بعد لعمل مثل هذا مع الأخذ بالحسبان الإجراءات القمعية السريعة التي قد يقدم عليها النظام .

وبمجـــرد رجـــوع السيد الصدر الى العراق قام، وبالتنسيق مع جماعة العـــلماء بالكاظميـــة وبغداد وجماعة علماء النجف، بتنظيم تجمع جماهيري حاشد في مرقد الإمام علي « ع » في النجف تضامناً مع السيد الحكيم وتنديداً بتصرفات النظام ضده .

وقـــد القى السيد مهدي الحكيم كلمة نيابة عن والده السيد محسن الحكيم كانت بالواقع من بنات افكار السيد الصدر الذي كتب مسودتها بنفسه .

وطـبقاً لما أورده السيد مرتضى العسكري كان من المقرر القيام بنشاط أوسع من ذلك؛ وهو تنظيم مظاهرة شعبية تضامناً مع السيد الحكيم في أحدى ضواحي بغداد .

ولكـن حكومـة البعث بادرت، وقبل تنفيذ المخطط بإعلانها عن كشف محاولة لقلب نظام الحكم بواسطة ضباط كبار، ورجال أعمال شيعة مرتبطين بايـران والغرب « الولايات المتحدة واسرائيل » واتهام السيد مهدي الحكيم بانه كان الرأس المدبر للإنقلاب .

لم تفلح حكومة البعث من إغتيال السيد مهدي الحكيم سياسياً بهذه المكيدة فحسـب، وإنما وضعت كل الحركة الإسلامية الشيعية في موضع الدفاع عن نفسها وشتت قوتها الجماهيرية .

وعـلى ضـوء ذلك تم تهريب السيد مهدي الحكيم خارج القطر، وسافر السيد مرتضى العسكري الى لبنان، وانسحب السيد محسن الحكيم الى النجف وتوفي بعد اشهر قليلة، وتسلم بعده مقاليد المرجعية السيد الخوئي الذي رفض التورط بأي نشاط سياسي ضد حكومة البعث [١].

وفـي هـذه الظروف كان البعثيون يقومون بمحاولة جر المرجعية ومن ورائهـا الحـركة التـنظيمية الإسـلامية الى الساحة لكي يعرفوا رؤوسها وشخصـياتها وقوتها:ـ حتى يتسنى لهم ضرب هذه الحركة، وهذا ما يسمى بالمصطلح التنظيمي (الإجهاض)؛ وهو نزول الحركة الى الساحة دون أن تكون لديها القوة الكافية للمواجهة وهو اسلوب غاية في النجاح ومضمون في التخـلص مـن أي حركة معادية . وقد استعمل هذا الأسلوب مع الكثير من الحركات الإسلامية التي كانت موجودة في بلداننا العربية والإسلامية وكانت النتيجة باهرة بالنسبة للحكام الظلمة .

---

١ ـ الحياة السياسية للإمام الصدر ملا أصغر علي جعفر ص ٤٧٨ .

ولكـــي يـــتحقق هـــذا الغـــرض فان المخابرات العراقية كانت على أتم الإستعداد لكي تعرف الرأس المدبر للحركة الإسلامية التنظيمية، وفعلاً فإن الكـــثير مـــن الشخصـــيات كانت تحاول الخروج الى الساحة لتقارع البعث وتتصادم معه خاصة في أوساط مدرسة النجف العلمية وبالذات الشباب منهم، وخططوا لذلك.

وهنا يجب ان تدرس هذه الظاهرة الهامة في مرحلة الحركة الإسلامية والـــتي ربمـــا صـــدرت عنها بعض التصرفات غير المحسوبة بدقة من قبل بعض الشخصيات المؤمنة الواقعة تحت تأثير جيشان الحس الثوري المتحفز للثورة دفاعاً عن العقيدة والتي استوعبت الطريق وعرفت أن الدم يسترخص أمـــام العقيـــدة، وانـــه يجب أن يقدم دائماً وفي كل المراحل وبدون حساب للظروف المحيطة . يجب أن نعلم ان هذا العمل لا تنعكس إيجابياته وسلبياته على تلك الشخصيات فحسب، بل ان انعكاسه يشمل أول مايشمل الرأس لتلك المجموعـــة أو قطـــبها . وإن كان الشك لايتوارد الى أذهان الحكام بأن ذلك الـــرأس لم يحرك المجموعة وإنه قد توارى مرحلياً عن تلك الساحة في ذلك الوقـــت؛ أو إنهم ــ السلطة ــ يعرفون انه ربما يكون غير موافق على هذا العمـــل ومع ذلك فإنهم يتوجهون الى الرأس ليضربوه ويتخلصوا من وجوده بعدمـــا إتخذوا تلك الحادثة ذريعة للتخلص منه .. وهذا المثل لا ينطبق على تـــلك الحادثة فحسب، بل إنه يشمل أي حادثة مشابهة قد تحدث في المستقبل مع مجموعة ما اتفقت على انجاز عمل اجتماعي مشتـــرك .

فـــي هذا الظرف تبرز كلمة القائد السيد الشهيد الصدر ليقول للأمة :ــ عـــليكم بضبط النفس فانها والله مصيدة، وعليكم أن تواجهوا الأمر وكأنه لا يمســـكم من قريب أو بعيد في شيء، وعليكم أن تُفشلوا مخططات العدو، هذا هو موقف القائد الفعلي الذي خبر الشعب وخبر الحكام وخبر مدى قوته، انه

انسان يضع يده على محل الداء في وقت اشتداد الأزمات وتخالف الطعن، إنه يتحلى بصفات يفتقدها غيره وعليه تقع المسؤلية الشرعيّة في توجيه هذه الأمة حينما تدخل مرحلة الشدائد .. إنه يعلم حق العلم مستقبل هذا العمل .. انه يراه رأي العين ببصيرته النافذة وعقله الوثاب (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) .. ولولاه لكان الأمر كارثة كبيرة تسقط بها الحركة الإسلامية في صعاب لا يمكن النهوض منها إلا بجهد جهيد .

وهكذا تمكن البعثيون في المرحلة الأولى من ضرب المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد الإمام الحكيم « قدس سره » وأن يحققوا غرضهم في التوجه الى الشخصية الكبيرة بصورة غير مباشرة، مع أن الكثير من الناس لم يصدق هذه المسرحية وعرفوا الدافع وراء ذلك ولكن النقطة الكبيرة التي حققوها في هذا المجال هي ان جماهير الأمة لم تنهض وتتحرك بالمستوى المطلوب، صحيح كانت هناك مظاهرات واحتجاجات قام بها بعض المؤمنين في البصرة وبعض المدن الأخرى، ولكن على مستوى القطر لم تتحرك الأمة وتنتفض ثأراً لكرامة قائدها الذي عاش همومها ومشاكلها، اذن هناك فراغ بين الركن العلمي وبين الجماهير، هذا الفراغ ناتج عن « الجدب الفكري » الذي تعيشه الامة، وهو الفراغ الذي حاول « السيد الشهيد الصدر » ان يملأه بسرعة لكي لا يدخله الأعداء ويخلقوا فجوة كبيرة ما بين الأمة والقائد، وفعلاً فان عزل القيادة عن الجماهير ادى الى أن يتناول حزب البعث كل جهة بصورة منفردة ويقاتلها، فالقائد يمثل العقل والجسم بينما الأمة تمثل السيف الذي يقاتل فيه فسقوط السيف من يد المقاتل يؤدي الى موت الإثنين معاً، فلا الجسم والعقل له القدره على المواجهة، ولا السيف بحد ذاته يمكن له ان ينهض وحده، وهنا استفرد حزب البعث (الإمام الحكيم) في الساحة من ناحية، واستفرد جماهيره من جهة أخرى.

وفـــي قمـــة هذه المأساة ينتقل السيد الحكيم الى الباري عز وجل، وهو يحمـــل هموم امته، بعد ان ألح عليه المرض فاسلم روحه في المستشفى الى خالقهـــا في ٢٦ ربيع الأول ١٣٩٠ هـــ، وذلك سنة ١٩٧٠، وهنا ننتقل الى مرحلة ثانية من تاريخ العراق .

الصدمة: ــ

عاشت الأمة منذ مجيء حزب البعث الى الحكم في تموز ١٩٦٨ وحتى وفاة (الإمام الحكيم) عام ١٩٧٠ م في حالة من الشلل الفكري ــ كما ذكرنا ــ أدى بهـــا أن تعيـــش وكأنها غائبة عن الوعي، فالأحداث كثيرة ومتتابعة وثقيـــلة لا يمكـــن لعقل رجل الشارع العراقي أن يستوعب جزءاً يسيراً من خـــلفياتها وأبعادها فكيف اذا جاءت مرة واحدة وفي وقت قصير، ان جماهير العـــراق قـــد أصـــيبت بالشلل الفكري والتي غالباً مايكون أعجز من الشلل العضوي عموماً، لأن الشلل العضوي يعالج أحياناً ببعض المحفزات لإرجاع الأعصاب الى حالتها الطبيعية مؤقتاً وقد يكون دائماً العضو المشلول، وهكذا المجتمع العراقي الذي يعيش حالة الشلل الفكري، جاءته الصدمة بوفاة إمامه وقـــائده الإمام الحكيم فانتفض الشعب، وتحسس وضعه وعرف انه كان في غفلة وفي سبات . انه كان في شلل .... ان الصدمة أكبر من أن تُتحمل .... انها عنيفة هزت كل ضمير عراقي ... خرج الشعب بأسره الى توديع إمامه الـــراحل الذي عاش همومه وتحمل من هذا الشعب الكثير الكثير ... ولكنها تهـــون ان كـــانت بعيـــن الله، خـــرجت الأمـــة وهي تبكي بكاءاً مراً، حتى المجموعـــات المحسوبة على صف اعدائه كانت وقفتهم مشرفة في ذلك اليوم الحزين، فأغلقت العاصمة العراقية محالها حزناً على القائد الكبير، وهنا وفي هذا الموكب المملوء حباً ظهرت نفوس الأمة على حقيقتها حيث بدأت تنادي وتطالب بالحكومة الإسلامية لتأخذ زمام القيادة في العراق، ثم رفعوا شعارات

تندد بحكومة البعث وموقفها الخياني من القيادة الدينية في العراق، واتهمتهم بانهم كانوا وراء سبب وفاة (الإمام الحكيم) .

ولقد وقفت المسيرة امام وزارة الدفاع في مدخل شارع الرشيد يهتفون :ــ بأنكم ايها البعث قتلة الأمة، وانتم سلالة الحقد اليهودي، وان ميشيل عفلق ما هو إلا رجل الصهيونية العالمية جاء ليحطم الفكر الديني في هذا البلد، وان الشعب العراقي سوف لن ينسى لكم هذا العمل الخياني في التسبب بقتل السيد الحكيم . وكان كل ذلك على شكل نظم من الشعر يفهمه العراقي ويتأثر به ويعرف معناه، وقد اعلن يوم التشييع (انذارج) في قطعات الجيش العراقي، فانزلت الحكومة اللواء المدرع العاشر التابع لقيادة قوات بغداد وهو لواء الحزب الأول، كما أنزلت كل فرق الإنضباط العسكري والشرطة والجيش والإستخبارات والمخابرات وكل القوى التي لديها، للسيطرة على الوضع الذي يقرب اسقاط الحكم، وكان الجنود انفسهم المكلفين بالحماية كانوا في وضع من الحزن بحيث ترى الدمع وهو يملأ أعينهم وهم لا يملكون القابلية على التعبير عن حبهم لإمامهم غير هذه الدمعات القليلة المسروقة بين غفلة جزاريهم [١] .

وقد جاء (البكر) ليظهر للناس انه يشاركهم احزانهم من باب ذر الرماد في العيون فاحاطت به الناس من كل جهة مع كثافة الحراسة المفروضة عليه وهم ينادون (نريد حكم اسلامي) و (الموت لكم) و (السيد الحكيم في قلوبنا) فوجد الرجل ان الأمر فيه كل الجدية وانهم ربما يهجمون عليه هجمة رجل واحد ويقتلونه، فركب سيارته ورحل .

---

١ ــ العراق بين الماضي الحاضر والمستقبل ص ٥٦٣.

المعادلة الصعبة ودور السيد الشهيد بعد رحيل الإمام الحكيم:

ولو ألقينا نظرة على طبيعة مجريات الاحداث، وما كانت تفرزه سخونة الوقـــائع فـــي تـــلك الفترة لوجدنا ان الشعب العراقي في حقيقته يعيش حب المرجعية بكل أحاسيسه، ويشعر انه ليس له وجود وكيان بغياب هذه القيادة، لأنه يعلم انها القيادة الرصينة التي يثق بها على مر العصور، وهذا التصور هو الإنعكاس الداخلي الفطري للشخص العراقي، إنه واقع داخلي لا يمكن ان يظهـــر إلا فـــي المناســـبات والظروف الخاصة بذلك، والتي غالباً ما تكون ظـــروفاً عاطفية اجتماعية وهذا لايعني ان الحب الذي يكنه المجتمع للعلماء هـــو حـــب نـــابع من قاعدة العواطف فقط، صحيح ان هنالك جزءاً من هذا الإنصياع تحركه العواطف، ولكن عموماً فان الميل الشعبي لهم نابع من عدة أمور أهمها؛أولا:ــ هو وجود جذور العقيدة الإسلامية التي ما زالت مغروسة في نفوس الأمة، وثانيها؛ الثقة بمواقف علماء الأمة الصلبة على طول الخط ضـــد رموز الكفر، وثالثاً؛ ــ انها الجهة التي لا تدعو الى مصلحتها ابداً، بل انها تعيش هموم الجماهير والأمة .

ولكـــن هذه النقاط الثلاث غير كافية لان تعطي للشخص العراقي القابلية على مواصلة الطريق الشائك الصعب؛ لأنه يعلم علم اليقين، وهو الذي عاش الأحـــداث، إن سلوك هذا الطريق ــ طريق العلماء ــ والاقتداء بهم وبنهجهم يعرضـــه هو وعائلته الى أخطار يجب أن يبقى في غنى عنها، ولأنه لازال يـــرى صـــعوبة سلوك مثل هذا الطريق فهو طريق شائك وغير سهل وغير محســـوم النتائج مادياً، فهو لا يلجأ الى منطق العنف والسلاح والقوة إلا إذا عجز عن التوصل الى أهدافه ببقية الوسائل، فهو سلمي في مبناه، دفاعي في اســـتخدامه للسلاح، وهاتان الصفتان لا يرغب بهما الإنسان في فطرته، في عـــالم يـــرى إن السلاح هو المنطق الوحيد للمواجهة، وهذا مالاحظناه دائماً

حـــتى بيـــن صفوف بقية الأفكار والأحزاب، كالشيوعيين، والبعثيين، فحينما يـــدور نقاش حول الإسلام وعظمته لم يجرأ أحد منهم أن يقول العكس، وهذا ليـــس خوفـــاً مـــن المقابل لأن المقابل أضعف منه قوة، لكنه فعلاً يؤمن إن الإسلام هو طريق الحياة وطريق العدالة وبه يرتقي المجتمع ويتقدم، وحينما تطلب منه أن يكون في صف الإسلام ويشارك في الطريق تراه يمتنع بقوة، مـــبرراً ذلـــك بســـببين، أولهما:ـــ هو إن الإسلام سلمي جداً؛ أي إنه بعبارة أخرى لا توجد منظمة إسلامية تحمل السلاح وتقارع الباطل بالقوة، وترد كيد الظـــالم الى نحـــره، وثانيـــاً: ـــ إنـــه ثقيل في ممارسته العبادية وإلتزاماته الأخلاقيـــة، لـــذا يحبذ أن يتخذ طريق الأفكار الأخرى والتي تشبع فيه هذه الرغـــبة، واننا لا نستطيع أن نشبع في نفسه تلك النقطتين؛ لأن الإنسان غالباً ما ينطلق من (ذات عجولة) تحب أن ترى الناتج بأسرع وقـــــت.

﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ الإسراء / ١١ .

فالحـــركة الإســـلامية في حد ذاتها تؤمن بحمل السلام ومقاومة الباطل ومقارعـــته على كافة الأصعدة، ولكنها في نفس الوقت تؤمن بالمرحلية، وإن حمل السلاح والمقاومة تحدده طبيعة المرحلة العملية، وإنعكاسات الفكرة على المجتمع، كما إن الحركة الإسلامية تؤمن أن تغيير النفس وبناء الشخص هو المرحلة الأولى في كل خطوة يخطوها الإنسان على طريق الجهاد الإسلامي ويســـميها النـــبي الاكـــرم محمـــد(ص) (بالجهاد الاكبر)، ومن هذه النقطة الجوهـــرية والهامة لخصوصية العمل الإسلامي إنطلق السيد الشهيد الصدر ليقـــول للأمة « إن الله يحاسب على الدوافع ولا يحاسب على النتائج » كلمة فصـــل ومـــنهج حيـــاة للحركة الإسلامية وللأمة تتعلم بها كيف تحقق أمرها وكيانهـــا ودولـــتها، وكيف تقارع أعداءها وتضمن مسيرتها وفكرها الوضاء ..... إنه « نقطة صعبة في غاية الصعوبة »، لقد ميز الشهيد الصدر الداء

(وهو فقدان الأمة الثقة بالنفس نتيجة الضربات القوية التي وجهها لها أعداء الإسلام) ليضع الدواء، وأول الخطوات هو إعادة الثقة بالنفس للأمة .

١ ــ السيد الشهيد وبناء الثقة لدى الأمة :ــ

من البديهي إن العمل التغييري والإجتماعي الذي يعطي نتائجه مستقبلاً قد لايجد له رواداً كثيرين في مجتمع العراق بسبب بطأ ظهور النتائج وهذا في واقع الآمر سيحصر الحركة الإسلامية التنظيمية في عدد قليل من ابناء الامة لأن توفر هذه النفسية في واقعنا الحالي قليل أو نادر، ولا تجدها إلا عند النوعيات التي تحمل صفات نفسية وعقلية وإجتماعية مميزة ، فالنفسية الايمانية يجب أن تكون كزبر الحديد، والعقلية فوق الحد الطبيعي، والإجتماعية ديناميكية، وهكذا كانت الحركة الإسلامية في العراق حينما وضع اساسها السيد الشهيد الإمام الصدر .

فالأمة في حقيقة الأمر أصبحت ترى إن الخط الإسلامي هو الخط الطبيعي للحياة، وإن القادة هم العلماء الذين يملكون المؤهلات العملية للأخذ بيد الأمة الى طريق الحياة الكريمة، غير إنهم في نفس الوقت لا يملكون القوة الذاتية أو الشجاعة النفسية في تبني خطهم وفكرهم على حساب القوة الأخرى، قوة الحاكم، والذي يملك كافة الإمكانيات المادية من أسلحة وأموال ورجال وصحافة وإعلام، وكل شيء ، فهو مع إنه يؤمن بالخط الأول كخط عملي فكري، ولكنه يخضع للخط الثاني كخط قوي له هيمنة على الساحة ويستطيع أن يتدخل في أمور تحتاج الى منازلة مادية، لذلك فهو يتوجه الى من يملك تلك القوة المادية، ألا وهو الحاكم الظالم أو السلطان الجائر وهذه السنة ليست تصوراً خاصاً بالشعب العراقي بل إنها طبيعة موجودة لدى جميع الشعوب، فالإنسان يتكون من جانبين؛ جانب مادي يتعامل مع المحسوسات والملموسات وما يمكن ادراكه . وجانب فكري يتعامل مع

الأمور الغير المرئية كالعلم والعقيدة والدين، وغيرها، فإشباع أحد الجانبين في نفسية الإنسان يؤدي به أن يميل الى أحد القوتين في توجيه حياته . فبقدر ما يفقد الجانب الروحي والعقائدي في نفوس الأفراد فإن الفراغ الذي يتركه هذا الجانب يؤدي بالجانب المادي الى التغلب فيميل الفرد الى الإستئناس بالموجودات التي حوله، فيرى إن الذي يحكم العالم اليوم هي القوى الكبرى والتي لا يمكن أن تُزال، ولا يمكن للإسلام أن يفرض سيطرته ويستعيد مجده.

وإن الإحتدام بين أي قوتين في العالم يحسم لصالح القوة التي تملك أكثر عدد وعـــدة .

وإن الإسلام بوجوده الحالي عاجز عن مواجهة الصواريخ عابرة القارات والأسلحة المعقدة والقنابل النووية وغيرها من أسلحة الدمار، وإن إتخاذ جانب الإسلام في الحياة نوع من اللاواقعية .

ونتيجة لذلك أن يعيش الإنسان في التفكير الذي يقول: إن حكم الشاه المقبور في إيران لا يمكن له أن يزول، ولا يمكن لهذا الشعب ولقادته أن يحركوا أذياله، والذي حدث من مواجهة ما هو إلا إستدراج لتلك القوة ، هكذا كان يرى ذلك الشخص الذي يعيش بعالم الماديات .وهو طبعاً يرى الآن إن حكم صدام حسين لا يمكن أن يزول؛ لأنه يملك الوسائل المادية من جيش وأسلحة وقوة وغيرها، وبالمقابل فإن الحركة الإسلامية لاتملك من تلك الوسائل الشيء الكثير، وإن كانت تملك قلوب الجمهور وحبهم، ومشاركتهم الوجدانية والروحية، ولكن هذا ليس له حساب في عداد أولئك الأفراد ، بيد اننا نقدم له مثالاً واحداً وهو مثال تجربة الثورة الإسلامية في إيران، والتي غيرت حسابات العقول البشرية وقلبت موازين القوى وأوضحت بجلاء إن القوة المادية لا تقف أمام العقيدة والإيمان .

إن القوة المادية، وإن كانت تمثل ثقلاً له حدود في النزال ولكن وجود الجانب العقائدي والفكري له حساب كبير ويمكن للفرد أن يستشهد بالكثير من الأدلة والشواهد، فالرسول (ص) والمسلمون إنتصروا في كل الحروب التي خاضوها بالرغم من إنهم يمثلون الأقلية العددية تجاه عدوهم الذي يفوقهم عدداً وعدة وبذلك يمثلون قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ البقرة / ١٤٩ .

﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ . الصافات ١٧١ ــ ١٧٣ .

﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم**﴾ التوبة ــ ١٤ .

﴿ إذ يوحي ربك للملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ الأنفال : ١٢.

﴿ **أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ الأنفال / ٩٥.

إذن هناك عامل آخر يتدخل في حسم المعركة ويقرر نتيجتها، فالمعادلة لا يمكن أن تكتمل بدون أن يحسب لذلك الجانب وزنه الطبيعي بالنتيجة، فالشعوب الإسلامية حينما تدرك المفهوم العقائدي أو الروحي لجانب المعادلة، أو حينما يتشبع الجانب الفكري على حساب الجانب المادى فإن المجتمع يبدأ بالإنضمام الى جانب قوة العلماء وهي التي يستقرأ من وجودها إنها تملك مؤهلات النصر وإن كان بعيداً، بينما تجد إن المجتمع يتمسك بحكامه الظلمة الكفرة الذين اتخذوا من المادة إلهاً لهم إذا كان الجانب الروحي والعقائدي مفقوداً، وإذا كان التصور الواضح لعامل النفس البشرية غير موجود في ذهن افراده .

والمجـتمع العراقي يعيش هذه الحالة من التأرجح النفسي، فإنه لم يضع ثقله في الجانب المادي بصورة تامة ولم يضع ثقله الى جانب العلماء أو الخط الفكري، إنه متأرجح مذبذب لا يملك القابلية الفكرية والإجتماعية النفسية لأن يقفز من حالة التأرجح والتذبذب هذه الى حالة التفكير الواقعي الذي يقوده الى صف الخط الفكري والمرجعي .

إن هـنالك درجتان أمام الأمة لتصل الى مرحلة ادراك النصر الإلهي، أولهمـا: ـ سـموه من مستوى التفكير المادي الذي يعيشه الآن الى مستوى يدرك معه إن المعادلة في الصراع يجب أن يضاف لها عامل الجانب الفكري والإنساني

والمـرحله الـثانية: ـ هي تحويله من تلك المرحلة الى مرحلة إدراك القيـادة بصورة فعلية وعملية من خلال الإلتفاف حولها وتنفيذ كل أوامرها، وهاتـان المرحلتان هما اللتان ادركهما الشهيد السيد الصدر ووضع علاجهما وحـدد أبعادهما ونبّه العاملين الى كيفية إنجازهما في تلك الفترات من تاريخ العـراق، والحـركة الإسـلامية حينما كان المجتمع في وضع لم يتعود بعد المصـاعب والمعانـاة في تحقيق هدفه بينما كان الجانب المادي يرمي بثقله الكبير في تفكير الأفراد .

إن السيد الشهيد لم يكن يطرح هذه الأفكار نظرياً فقط، بل انه حاول أن يـبرهن ذلـك عمـلياً وواقعياً حينما تصدى لأعداء الإسلام هو بنفسه وتقدم صـفوف المجـاهدين وتحدى السلطة لكسر حاجز الخوف والرهبة والخنوع وليعيد للأمة ثقتها بنفسها من خلال دمه الذي قدمه قرباناً على مذبح الحرية، ليقدم الخطوات العملية الجريئة للأمة كي تتحفز وتنتفض وتغسل وجهها من الذل والخنوع .

وكـان اهـتمام السـيد في هذه الفترة، (أي بعد وفاة السيد الحكيم)، في القضايا العملية الإسلامية: بناء الأساس التنظيمي وتهيئة الكوادر المثقفة لقيادة

الحركة الإسلامية، التي ظهرت نتائجها بين الأمة على شكل شخصيات ذات نوعية عالية وقيادية لأنه كان يؤمن بأن وجود الشخصيات فكراً وعملاً له من الأهمية ما يعادل قطع اشواط بعيدة في العمل بين صفوف الأمة . فلولا توفر الشخصـــية لم يبن الفكر، وافتقاد الفكر يجعل الامة تراوح في مكانها، ان لم تـــتراجع الى الـــوراء، وفعلاً فان تلك النماذج قد صنعت جيلاً مؤمناً عاملاً نشطاً وخاصة على صعيد الجامعات .

خطوات في حماية الحوزة :ــ

والخطوة الثالثة التي تبناها السيد الشهيد هي؛ ربط الامة بالحوزة العلمية وبالتـــنظيم الإســـلامي، الأمرالذي ظهرت نتائجه واضحة في ما بعد وبشكل مذهل،فقـــد بدأ العمل الإسلامي الواعي يصارع حكم البعث في الجامعة على نطـــاق الفكر؛ أي صراحة الطرح والمواجهة، ليس ذلك فقط، بل ان خريجي الكـــليات وخاصـــة مـــن المدرسين استطاعوا ان يبنوا جيلاً إيمانياً صلباً في المناطق التي يشغلونها، فكانت الكثير من القرى في العراق تنقاد الى مدرس واحـــد مـــن المدرسين الذين كانوا من نتاج فكر السيد الصدر، فشباب القرية تـــراهم بعد سنين معدودة، قد وطئوا الجامعات وهم يحملون اسلاماً متحركاً، وما ساحة الجامعة إلا زيادة تجارب تزود العامل الإسلامي بالخبرة والحركة والذيـــن شـــهدوا ذلـــك الجيل يلاحظون جودة النوعية الإسلامية والشخصية القيادية النادرة في تلك المعاهـــد .

ولم يقتصر السيد القائد على مجال تربية الشخصيات، بل إنه توجه الى تقديم الفكر الإسلامي الى الأمة ليكمل سلسلة كتاب اقتصادنا وفلسفتنا .

فالإمام القائد يعلم علم اليقين؛ إن الأمة لا يمكن أن تنهض عشوائياً، بل إنها تنهض بوجود فكر رصين وعميق، وحاجة ذلك الفكر تنبع من أهمية

الشخصية التي يجب أن تهيأ لمسؤولية ضخمة أمام صراع قوي وممل، فهو يعلم إن القوى الإستعمارية لا يمكن لها أن تستغني عن هذه البقعة من الأرض بل إنها تلعب اللعبة وتلعب مائة لعبة من داخلها، وكل لعبة تفضي الى مائة باب، فيجب عندئذ توفير العقلية النيرة العالية المستوى والقيادية، لتكون فوق مستوى مخططاتهم، فقد توجه في هذه المرحلة الى طرح ذلك الفكر، ونحن نعلم إن الفكرالإسلامي المطروح خلال السنين الأخيرة لم يكن بمستوى شراسة الأعداء وخبثهم، بل كان ينطلق بنفس السذاجة التي عاشها قبل قرون من الزمان حينما كان الأمر مختلفاً بصورة كلية عما هو موجود الآن، فالسلفيات كانت تحكم العقول والكتب التي لا يمكنها أن تلبي حاجة الشباب الواعي أو الأمة المتنورة تملأ المكتبات، فلا تجديد ولا إبداع، وهذا في معظم الأحيان كان مجالاً للطعن بالفكر الإسلامي من قبل الأفكار الأخرى، وإن كانوا لا يملكون فكراً أو نظرية لكي يواجهوا الحجة بالحجة، ولكنهم يسألون عما يحتاجون اليه من علم، فحركة تقديم الفكر لم تقفز خطوة متقدمة في التأليف والتفاعل مع الأمة، مما حدى بالإمام القائد أن يغزو هذا الباب، وأن يستوعب آمال الجماهير، وأن يرضي طموحهم، فأقدم على إصدار كتاب « الأسس المنطقية للإستقراء »، وهو الكتاب العلمي الغزير بمادته، العميق بإسلوبه، الرفيع بعطائه، ثم تبعه بمجموعة أخرى من الكتب التي تعتبر بمثابة خطوة تجديد على مسار الفكر الإسلامي، فهو في كتبه لم يحاول أن يعتمد على الروايات وعلى ما قيل أكثر من أن يحاكي الفكرة والعقل بالأدلة المنطقية والحجج العلمية .

ولم يقتصر السيد القائد ببراعة على هذا الجانب من تربية الجيل وإنشاء فكـــر تنظيمي عملي متحرك، بل إنه ذهب الى النقطة العظمى في حياة الأمة ألا وهي مدرسة النجف.

كان الإمام الصدر يرى إن النهوض بعقل الأمة وفكرها لابد أن يبدأ من هذه المدرسة العلمية الفقهية « الحوزة *»، لذا دخلها بكل ثقل وكفاءة ليصلح الخلل الذي حاول الأعداء إحداثه بها، فكان يرى إنه وبقدر ما يتوجه الإنسان العـــامل الى الأمـــة لـــتغييرها فإن الحوزة تحتاج الى ذلك النوع من العطاء لمســـايرة أحدهما للآخر، فمتى ما توفرت الطلائع الإيمانية في المجتمع فإن حاجـــة ملأ الفراغ الذي تتطلبه هذه الطلائع يدفع بالحوزة العلمية أن تشحذ أسلحتها الفكرية لدخول معترك المواجهة والتصدي الفكري، وفي نفس الوقت ومتى ما توفرت الكوادر العلمية وتخرجوا من الحوزة ليتفاعلوا مع المجتمع فـــإن نـــاتج التغيير الذي يطرح على الساحة يتطلب المزيد من الشخصيات الحوزويـــة على مستوى الكيف والكم وبذلك تصبح العملية عملية إنتاج ذاتي يصب في بناء شخصية الأمة ومستقبلها [1] .

---

* لقد اجتمعت في شخصية السيد الصدر امور ثلاثة: الخلفية الفكرية الحوزوية والذكاء الخارق والتطلع الرسالي المبكر.. وكلها تفجرت في وقتها المقدر لها ، فكان عطاؤه الفكري الفريد (من حديث للمؤلف في اذاعة صوت الجمهورية الاسلامية في ايران / القسم العربي ١٩٩٩ م).

١ ــ يراجع كتاب الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار ــ ص ١٥٢ ومابعدها ·

الدفاع عن المرجعية:ـــ

لقد كان الفراغ الذي تركه رحيل الإمام السيد الحكيم في المدرسة العلمية الفقهيـــة وفـــي المجتمع العراقي، والقيادة الدينية كبيراً جداً، وقد تنبه الغرب وحـــزب الـــبعث الى هـــذه النقطة حيث إنهم كانوا يعيشون أياماً عسلية، فقد تخلصوا من أقوى شخصية كانت على الساحة العراقية، وفي ظروف مناسبة وجيـــدة بالنســـبة لهم مكنتهم أن يفرضوا قوتهم على المدرسة الفكرية، وأن يتحركوا بها كيفما يشاؤون ومتى يشاؤون، ولكن في نفس الوقت نبهتهم الى إن هـــذا المجـــتمع غير مأمون الجانب، فهو وإن أبدى لهم تملقه وإخلاصه العلني تحت طائلة البطش والإرهاب، ولكن في حقيقة الأمر قد ينقلب عليهم بيـــن عشـــية وضـــحاها، إنه لا زال يحمل جانباً كبيراً من الميل الى قيادته الأولى، ولا زال يحن اليها، وإنها تظهر في الوقت الذي تتوفر فيه الظروف المناســـبة لذلـــك وعلى هذا المخطط يجب أن يذهب في العمق، وأن يضرب جذور ذلك التفكير، ويستأصله من الصميم .

إنّ وفـــاة الإمـــام السيد الحكيم، كما قلنا، تركت فراغاً كبيراً في نفوس المجـــتمع، والـــذي بـــدوره بـــدأ يبحث عن قائد قدير ومتمكن يقود المسيرة والمرجعية والفكر، وكان على الساحة آنذاك مجموعة شخصيات بارزة علمياً وفقهياً،وكـــان أيضاً الإمام القائد السيد الصدر وقد كان دائماً يحاول أن يبقى فـــي منأى عن ترشيح نفسة للمرجعية العلمية لوجود أساتذته على قيد الحياة كالمـــرحوم آية الله العظمى السيد الخوئي « قدس سره »، لذا كان يرى إنه ليس من المنطقي أن يصدر رسالته العملية، مع العلم إنه نال درجة الإجتهاد وله من العمر ٢٢ سنة، وإن الكثير من المؤمنين كانوا متحمسين لفكرة طرح نفســـه كمرجع، فكانوا يلحون عليه بالطلب لكنه لم يوافق على الإستجابة، بل كـــان يرجع الذين يستفتونه الى تقليد السيد الخوئي « قدس سره »، وبمعنى

آخـــر؛ إن الأمـــة كان يحق لها شرعاً أن تتبعه فقهياً وشرعياً منذ ذلك السن المبكر والذي كان فلتة زمانه ونادرتـــــه [١] .

لماذا لم يطرح الشهيد الصدر نفسه للمرجعية؟!

إذن لماذا لم يطرح الشهيد الصدر نفسه للمرجعية، ولم يتصد لهذا الأمر بعـــد وفـــاة الإمام الحكيم « قدس سره » مباشرة ؟ .. ثم ما الذي إستجد من أوضاع دفعته لتغيير موقفه فيقوم بطرح نفسه ويتصدى للمرجعية بعد ذلك ؟.

تـــلك أسئلة تجول في أذهان الكثير، وقد تصدى البعض للإجابة عنها .. فما هي خلفيات المسألة تلك ؟!

فقد حدث فراغ كبير على الساحة بعد وفاة الإمام الحكيم « رحمه الله »، خاصـــة على نطاق المرجعية والحوزة، نظراً لما كان يتمتع به سماحة السيد الحكيم من شخصية قيادية مهيمنة فرضت وجودها وتأثيرها على عموم العالم الإســـلامي باعتباره مرجعاً عاماً يقلده معظم شيعة العالم، وما كان يتمتع به مـــن حس سياسي ومتابعة متواصلة لكل مشكلات المسلمين في جميع أنحاء العـــالم بغـــض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، لكل هذه الأسباب، ولأسباب أخـــرى حدث مثل ذلك الفراغ الكبير، والذي حاول أعداء الإسلام الإستفادة مـــنه، خاصـــة البعثيين، مما شجعهم على محاولة التسلل الى اوساط الحوزة بإدخـــال بعض العناصر المؤيدة لسياستهم، ومحاولة التأثير على الرأي العام لإتخاذ المرجعية من بعض العلماء ممن يخدم توجهاتهم في إبعاد الحوزة عن الشؤون السياسية أو الإهتمام بشؤون الأمة والتصدي للحاكم الظالم والوقوف بوجـــه سياســـته الكافرة، في وقت كانت الأمة تتطلع الى قائد يملك إمكانية تســـييس الظـــروف الراهنة لوضع العراق، بسبب دقة الأحداث وصعوبتها

---

١ ــ يراجع كتاب: السيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار ص ١٦١.

والتوجه الذي وضعته القوى الكبرى للقضاء على المد الإسلامي، قائد يتمتع بذهـــنية وقّـــادة وخطة حاذقة يستوعب بها كل ذلك، ويدفع بالأمة الى نقطة الإرتفاع بالوعي نحو تغيير الواقع.

إن المرجع ــ لدى مذهب التشيع ــ يعني في العرف الشرعي والإجتماعي مصطلح « القائد » بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إن كان على النطاق الديني، أو النطاق الإجتماعي، أو السياسي.

نعـــم لقد صار العراق أحوج ما يكون لقائد « يأخذ بيد الجماهير، والامة تعي إن قيادتها إنما بين أوساط العلماء، فلماذا لم يطرح السيد الشهيد الصدر نفسه للمرجعية ؟! .

الحقيقة إن السيد الشهيد الصدر قد سبر أغوار هذه القضية، ودخل في أعماق خلفياتها، حيث إستظهر النتائج مقدماً قبل أن يقدم على هذا العمل، ولكننا لسنا في مجال أن ننقل تفكيره حرفياً، بل قد يمكننا أن نجيب على السؤال السابق، ومن خلال إستقرائنا لأفكار السيد الشهيد على ضوء الظروف المحيطة، ومارافق من مواقف له في هذا المجال، فلو تصورنا جدلاً إنه كان قد طرح نفسه كقائد للجماهير في تلك الظروف لكانت النتيجة إن حزب البعث يحاول خلق كل المبررات والظروف لقتله والتخلص منه، لأن تلك الفترة لم تكن فترة وعي شعبي كمي، بل كانت فترة وعي نوعي، وشعبي بسيط، أي إن الأمة يمكن لها أن تتحرك في حالة قتله كما تحركت وتظاهرت في وفاة الإمام السيد الحكيم وكفى، وهذا ليس له حساب في حالة بناء الشخصية وبناء الهدف الإسلامي في تحقيق الحكم الربانـــي .

لأن حزب البعث والإستعمار وَمَن وراءه، كان يرى إن هذا الطرح هو غايـــة مـــا يصبو اليه في تلك الظروف وهي الفرصة المناسبة للتخلص من الإمام الصدر ومن كل الحوزة العلمية لتوفر المبرر المنطقي لذلك، كما وإننا لا ننسى أن نذكر إن الحجة الكبيرة التي يمكن لحزب البعث أن يستعملها في

تــبرير قتله للإمام الصدر هو إنه كان « حزبياً » والطبقة الشعبية من الأمة وطلــبة العــلوم الديــنية، واساتذة المدرسة العلمية في النجف ومعظم وكلاء الحوزة كانوا يرون إن التنظيم في الإسلام حرام وكفر، وإنها بدعة في الدين، وإن الداعي لها ضال، وهكذا يعكس لنا كيف إن الإستعمار البريطاني حاول أن يثبت هذه النقطة بشتى وسائله، لأنها حاجز قوي بوجه إقامة حكم الإسلام عــلى شــكل دولة، وهذه الفكرة هي نتيجة لجهود الإستعمار في تحويل خط الدراســة الدينية الى خط أكاديمي تراثي يتحلى بالترف الفكري العالي، كما يعكس لنا خطورة التحرك بهذا الإتجاه بين صفوف الأمــة .

وإلصاق هكذا تهمة بأي شخص محسوب الى طبقة العلماء وطلبة العلوم الدينية كافية أن تعزله عن كل الأوساط الإجتماعية والدينية وحتى عن الأوساط السياسية، مهما كان يمتلك ذلك الشخص من مؤهلات علمية وأدبية وشخصية، فهي نقطة حساسة وصعبة ولا يمكن إزالتها من أذهان أبناءالأمة إلا بعد جهد كبير لأنّ هذا التصور مبني في النفوس عبر أجيال طويلة من سيطرة الكافر، إذ إنه استطاع أن يقنع الأمة بأفكاره فصار حاجزاً ضخماً وكبيراً بين الدين والسياسة، والأبعد منها هي الحزبية، والتي جربها المجتمع العراقي وعرف بأنها أقذر درجة في عالم السياسة، وبذلك إقتنع الكثير من افراد الشعب العراقي ان العلماء يجب أن يبقوا في منأى عن التنظيم الإسلامي وما عليهم إلا مراقبة الوضع وتصحيح ما اعوجّ منه، وأن يقضوا معظم أوقاتهم بالجامع وبين كتب النجاسات والطهارات، وإن على الناس أن يتبعونهم في محيط الجوامع فقط .

إن قتل السيد الشهيد الصدر كان في منتهى البساطة لو إنه رشح نفسه لقيادة الجماهير والمدرسة العلمية، ولأمكن للبعث أن يتخلص منه منذ الأيام الأولى، ولكنه كان أبعد غوراً وأجلى بصيرة في معرفة الأمور وما

يجري على الساحة من أحداث لكي يتصرف بالإتجاه المطلوب والواقعي، إذن التصدي للمرجعية ظرف غير مناسب الآن، وعليه أن يتخذ طريقاً آخر يهيأ به الأمة الى تَقبُل ما كانت تحذره وترفضه من فكر اسلامي عملي، فإتخذ جانب بناء الشخصيات ضمن اطار مدرسة النجف العلمية، لأن التناقضات التي تعشعش في هذه المدرسة العلمية كانت تعرقل حركة التطور الفكري المطلوب على المجال الإجتماعي والعلمي وعليه أن يزيل كل تلك التناقضات والرواسب التي تحملتها تلك المدرسة خلال عشرات السنيين . ثم لم يكن ذلك منه بدافع شخصي أو طموح فردي لانه كان يرى ان حياته رخيصة من اجل الاسلام ومن اجل الحفاظ على المرجعية، لذلك فقد حاول أن يضع ثقله مع أساتذه الإمام الخوئي « قدس سره » على الرغم مما كان يلقاه من معاناة وردود فعل غير صحيحة من بعض المقربين من السيد الخوئي، لكنه كان يحاول أن يتدخل في تحريك الوضع نحو التحرك في إطار الحفاظ على الحوزة، كما هو الحال في زيارته له في المستشفى ببغداد والإتفاق معه على الحيلولة دون تسفير الطلبة .

كان الشهيد الصدر يهدف أول ما يهدف اليه هو المحافظة على هيكلية الحوزة وبنائها، ثم العمل من خلالها الى تهيأة أذهان الأمة وعلى رأسهم طلبة العلوم الإسلامية الى تقبل ما يمكن أن نسميه بالفكر السياسي الإسلامي، وهذا لا يتم إلا من خلال وجود مرجعية واعية وقوية تلتف حولها الأمة فوقف السيد الشهيد الى جانب مرجعية السيد الخوئي « قدس سره » رغم إن تلك المرجعية رفضت التورط بأي نشاط سياسي ضد حكومة البعث ، فقد حاولت الحكومة البعثية التأثير على عملية إنتخاب المرجع الأعلى للشيعة من خلال حملتها لفرض الشيخ علي كاشف الغطاء الذي كان يؤيد وعلى الملأ النظام الحاكم، وعلى أي حال وضع كل من السيد الصدر والسيد يوسف الحكيم «وهو نجل السيد محسن الحكيم الأكبر» كل ثقلهم الى جانب السيد الخوئي.

إن الظــروف الموضــوعية كانت تفرض وجود مرجعية واحدة وقوية، وكان من الضروري تخطي المراحل التي كانت تستغرق زمناً طويلاً لتحقيق ذلك.

وهنا وجد الشهيد الصدر إن المرجع المرشح لذلك هو سماحة آية الله العظمى السيد الخوئي « رحمه الله »، فقد كانت له أرضية وشهرة أكبر من المراجع الآخرين على مستوى الحوزة والأمة، فارجع اليه في التقليد والفتوى ــ حسب شروط معينة كان قد اتفق عليها معه، وحرص على تسديد مرجعيته وتأييدها بكل قوة رغم ما كلفه ذلك من مشاكل وصعاب، كما إن الشهيد الصدر اتخذ موقفاً رافضاً لكل المحاولات التي كانت من قبل انصاره ومحبيه لطرحه على الساحة كمرجع للتقليد .

وكــان المفــروض على المرجعية المرشحة أن تلّبي متطلبات المرحلة، وحاجــات الأمــة، والعمــل الإسلامي، والدعوة الى الله تعالى، وأن لا تقف طموحاتها عند أهداف محددة .

ولكن الأحداث اثبتت إن الأمور تجري في ظل هذه الأجواء الى ما لا يحمد عقباه، وإن الضرورة تفرض التصدي السريع لمرجع يفهم الحياة من كل زواياها ومناحيها، ويفهم الظروف والأوضاع، وما يجب ويلزم، وما لا يجب ولا يجوز، ولا يجعل التقية خطاً ثابتاً في عمله، لا يفرق فيه بين «الكيان المرجعي» كمقام رباني ومسؤلية خطيرة واجبها حماية الإسلام والأمة من كافة الأخطار، وبين المرجع كشخص وفرد من افراد الأمة له الحق في حماية نفسه بالطرق المشروعة من دون تأثير على الكيان الإسلامي العام .

إن من الأمور التي هزت الشهيد الصدر « رحمه الله » في تلك الفترة، إن أحــد المؤمنين سأل أحد المراجع الكبار عن جواز أو حرمة الإنتماء الى

حزب البعث الحاكم في العراق، فأفتاه بالجواز، وكان ذلك المرجع خائفاً من أن يكـون السـائل مـن جواسيس السلطة، أو إنه يخشى انعكاس ذلك على السلطة لو أفتى بالحرمة، مما يسبب له اضراراً شخصية، وإلا فنحن نعلم إن هذا المرجع يحرم في الواقع الإنتماء الى حزب البعث العميل .

وكان تعليق السيد الشهيد على هذا القضية وغيرها، إن الوضع إذا استمر هكـذا فإن الأجيال التي سوف تأتي سترى إن الإنتماء الى حزب البعث أمراً طـبيعياً لا حرج فيه، ولهذا السبب تصدى « رضوان الله عليه » الى الإفتاء بحرمة الإنتماء لحزب البعث، حتى لو كان الإنتماء صورياً، وأعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، فكان هو المرجع الوحيد الذي أفتى بذلك، وحزب البعث في أوج قوته، فكان ذلك جزءاً من العلة وأحد الأسباب التي أدت الى إستشهاده. فهـذه الأمـور وغيـرها شكلت ضغطاً على السيد الشهيد للتصدي العملي للمرجعية، ولو بمستوى محدود جداً، وكان « رضوان الله عليه » يميل نفسياً الى خـلاف ذلك، وكان يحبذ تأجيل عملية التصدي الى وقت آخر، واستطيع أن أقول: إن المرجعية هي التي أقبلت عليه، وإن الأمة هي الذي فرضت هذا الواقع وجرته اليه، بالإضافة الى السبب الذي أشرنا اليه من قبل، ولم يتصد هو الى ذلك .

ومن المعروف إن السيد الشهيد ابتعد عن كل المظاهر التي كانت تلازم ــ عادة ــ عملية التصدي، فلا جهاز دعائي يرشد الناس الى تقليده، ولا رسالة عملية توزع مجاناً، ولا تميز في اعطاء الرواتب على أساس حضور البحث، أو الولاء الشخصي، وابتعد عن كل مظهر من المظاهر التي يعرف المرجع من خلالها، والأعظم من كل ما تقدم استعداده الدائم للذوبان في اي مرجعية صالحة تحترم الإسلام، والتنازل عن وجوده كله لصالحها، وكان هذا الخط ثابتاً على طول حياته المرجعية، ففي بداية تلك المرحلة ــ وكما

حدث * سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبدالهادي الشاهرودي «حفظه الله » وهو أحد طلّابه المقرّبين: ــ إن السيد الشهيد خاطب خاصة طلابه في إجتماع خاص، فقال لهم: « يجب عليكم أن لا تتعاملوا مع هذه المرجعية، ــ وقصد مرجعيته ــ بروح عاطفية ولا شخصية، وأن لا تجعلوا إرتباطكم بي حاجزاً عن الموضوعية، بل يجب أن يكون المقياس هو مصلحة الإسلام، فأي مرجعية أخرى إستطاعت أن تخدم الإسلام وتحقق له أهدافه يجب أن تقفوا معها، وتدافعوا عنها، وتذوبوا فيها، فلو إن مرجعية السيد الإمام الخميني، مثلاً، حققت ذلك، فلا يجوز ان يحول ارتباطكم بي عن الذوبان في مرجعيتـــــه » ...

فمــتى ما حققت مرجعية من المرجعيات الصالحة الأهداف الخيرة التي توخاها (رضوان الله عليه) فيجب ان تنصهر المرجعيات الأخرى فيها ..

ان القاعدة التي انطلق منها السيد الشهيد الى المرجعية، والتصدي لأمور المسلمين كانت من القوة والمتانة بالقدر الذي يكفي للإمتداد السريع الى كافة طبقات الأمة المثقفة الواعية التي تشكل قاعدة البناء والقوة لكل تحرك، وعمل وتــلك القــاعدة هــي مؤلفات السيد الشهيد وما تميزت به من عمق وابداع وأصالـــة [1] .

كان الشهيد الصدر « رضوان الله عليه » يسعى لإحداث تغيير في كيان الحوزة والمرجعية من الأساس بما يلبي الحاجات الحاضرة والمستقبلية، بما ينسجم مع متطلبات العصر والحياة ويحقق للمرجعية والحوزة الحماية الكاملة والإستقرار الثابت، لهذا كله فإن المشاكل والعقبات التي واجهها في التصدّي، لا تكاد تحصى لكثرتها وتنوعها، وبعضها مصدره السلطة، والآخر مصدره

---

* ــ الكلام لسماحة الشيخ محمد رضا النعماني.

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ١٦١.

المجتمع الذي عاش فيه، وبعض الجهات في الحوزة حيث كان (رض) يردد عبارته المشهورة (انني اعظم ما عانيت من ابناء نوعنا)* .

ان أهـم معاناة كان يعيشها الشهيد الصدر « رحمه الله » هي عدم قدرة الحـوزة على استيعابه، وفقدان الفهم الكافي في مجتمعه، وكان يشعر بغربة قاتـلة في ظل تلك الأجواء التي جعلته بين الحين والآخر يتمنى الموت. كان يقول حينما تتراكم عليه المشاكل الناشئة من هذا الوضع:

«لقد بلغت من العمر ما بلغه ابي وأخي، فلم لا يعاجلني الموت ويريحني » [1].

المحافظة على بناء الحوزة: ـــ

كانت الهجمة الشرسة التي تتعرض لها الحوزة من قبل البعثيين وغيرهم، والعوامل الداخلية التي تدعو الى الركون والإستسلام قد فرضت على السيد الشهيد الصدر « قدس سره » أن يتصدى للمرجعية ليمارس مهام قيادة الأمة أولاً، ورأب الصدع الذي حل في كيان الحوزة، وكان يحاول جاهداً ان يخوض تجربة تطبيق نظريته عن المرجعية الصالحة والتي اسماها « بالمرجعية الموضوعية » من خلال بث الوكلاء المرتبطين بالمرجعية واعطائهم رواتب لسد حاجاتهم عن مد اليد الى الناس والإعتياش عليهم، ويتماشى ذلك الراتب مع مايقدمه في المنطقة من نصر للإسلام وتطبيق أحكامه، ثم عمد الى طرح فكرة إنشاء مكتب صالح ونظيف بدل ما كان يسمّى في النجف « البرانيات »، بحيث يصبح مايصدر من ذلك المكتب ممثلاً في نظر الناس بدرجة خفيفة لرأي المرجعيـــة .

* هذا ما حدثني به الاستاذ الحجة السيد علي الحائري (حفظه الله).

١ ـــ المصدر السابق ص ١٧٤.

وفــائدة ذلــك ان المرجعية الصالحة قد تريد أن تنشر فكرة سياسية أو إجــتماعية أو غير ذلك من دون ان تتبناها مباشرة لمصلحة في عدم التبني المباشر فذاك المكتب يتبنى أمثال هذه الأمور [١].

العلاج المعنوي للطلبة للوقوف بوجه الصعاب :ــ

وحين يشتد أوار الحقد البعثي على الحوزة العلمية والمرجعية الواعية يتراجع البعض، وربما ساوم على حساب الإسلام، أما الشهيد الصدر فقد كان يمضي قدماً وبخطوات عملية دقيقة لمواجهة هذا الطغيان ولما كانت الحوزة خاصة والعراقيّون عامة يعيشون « المحنة » أخذ الشهيد الصدر بمحاضرات حول المحنة ومواجهتها لتهيأة اذهان طلبته لتحمل الصعاب ومواجهتها وعدم النكوص أمامها.

يقول أحد طلبته الأفاضل :

« وقد تحدث الشهيد « رضوان الله عليه » في هاتين المحاضرتين » حول « المفهوم القرآني عن المحنة » وكان المحرك الأساس لذلك هي المحنة الكبيرة التي كنا نعيشها تلك الأيام في ظل حكومة البعث الغاشمة وكانت قد اشغلت الأفكار والمشاعر واورثت القلق والإضطراب لدى الكثيرين، وهي محنة التسفير الذي قامت به سلطات البعث في العراق، حيث حاولت اخراج قطاع كبير جداً من سكنة العراق بحجة أنهم لا يحملون الجنسية العراقية.

وقد شمل هذا الحكم أكثر ابناء الحوزة العلمية في النجف الأشرف وكان هــذا يشكل خطر التمزق والإنهيار على كيان الحوزة العلمية وبالتالي على المرجعية الدينية العليا [١].

---

١ ــ مباحث الأصول ــ ج الأول من القسم الثاني ــ ص ٩٩.

وفي خضم تلك الأجواء الصعبة، والمضطربة التي كانت تواجه المؤسسة الدينية بدأ السيد الصدر بالقاء محاضرات عن دور أئمة أهل البيت«عليهم السلام » وتعاملهم مع الأنظمة الجائرة في أوقاتهم، وقد بين ان الأئمة كلهم كانت لديهم خطة سياسية عظيمة موحدة ألا وهي تهيأة الأرضية لإقامة حكم عادل وبذلك يحفظ الإسلام ويصون نقاءه على الرغم من أن ادوارهم كانت متباينة من إمام الى آخـــر.

وخلاصـــة مـــا كـــان يريده السيد الصدر هو تذكير طلاب الحوزة بأن الإنسان يجب عليه أن يعي ويتفهم الظروف التاريخية التي يعيشها ويتصرف طبقاً لها .

كمـــا انه توجد طرق عديدة يستطيع المرء فيها أن يحقق طريقته، فقد لا يكـــون الإصـــطدام المباشـــر والمفتوح مع الحكام ــ دائماً وبالضرورة ــ لمصلحة الإسلام، وقد تكون الأساليب السلمية في مقاومة القهر والإستبداد من أحسن الخيارات السياسية حيث يتوقع منها إلا تؤدي الى تهديد مباشر للحركة الإسلامية وقاعدتها .

فبعض الأئمة المعصومين « ع » توجه الى الدعاء وآخرون تحولوا الى تدريس الفقه والسنّة المطهرة بينما تقبّل آخرون مهاماً سياسية قليلة الأهمية وكل ذلك لأجل التغلب على القهر الإستبدادي الذي يتعرض له الشيعة .ومضى السيد الصدر أبعد من ذلك عندما نظر بأن الله سبحانه وتعالى قد صمم الرسالات السماوية للأنبياء حسب ظروفهم التاريخية .

وقد صدرت هذه المحاضرات في كتاب واحد تحت عنوان « أهل البيت، تنوع ادوار، ووحدة هدف » .

---

١ ــ من مقدمة للسيد العلامة علي أكبر الحائري ص ٨ الكتاب المحنة محاضرات للسيد الشهيد ــ الصدر ــ مؤسسة الرسالة الإسلامية ــ قم ــ بتاريخ ١٦ صفر ١٤٠٤ هـ

القيــت محاضــرات أخرى وفي أوقات أخرى لمعالجة حالة الحرمان « الكــبت » السياسي، من زاوية أخرى كان السيد الصدر يركز فيها على قوة إرادة الإنســان المؤمــن كــأداة وحيدة لإستمرارية الرسالة المحمّدية وبناء الإســلام . ونبّه على عدم الإنكسار والخنوع بوجه المآسي العنيفة، حيث ان الصــعاب المختــلفة وســوء الطالع هي محصلة طبيعية للصراع التاريخي العادل. و على أي حال البقاء الناجح، يعتمد بالدرجة الأساس على مدى تفاني الإنسان المؤمن وقدرته على الإستمرار بالرغم من كل الصعاب .

وذكــر أخوتــه الشــيعة بالأكــراد في شمال العراق، وكيف يواجهون مصاعب ومحن غاية في القسوة والضراوة وشدد على مد يد العون اليهم بكل طــريقة ووســيلة ممكنة، وإن المصاعب والمحن التي يعانيها كل المسلمين يجــب ان تعــامل كمحــنة واحدة يحس ويتألم لها الجميع . وقد جمعت هذه المحاضرات وصدرت تحت اسم « المحنة » [1].

---

١ ــ الحياة السياسية للإمام الصدر ــ ملة أصغر علي جعفر ــ ص ٤٨٠.

منع عملية تسفير الطلبة :ـ

ولى اثر قيام البعثيين وبمحاولة منهم لتدمير الحوزة والتقليل من نفوذها، وذلك عن طريق تسفير الطلبة الأجانب منها ومن القطر (علماً إن معظم طلبة الحـــوزة كانوا من الأجانب) ومراقبة الطلبة العراقيين فيها، الامر الذي أدى الى وقـــوع الحـــوزة فـــي حالة من الإضطراب والفوضى، عندها قام السيد الصـــدر بالضـــغط على الطلبة الأجانب الذين يحملون تأشيرات دخول غير منـــتهية، وأمـــرهم بالبقاء ومقاومة الحكومة وضغوطاتها بأي وسيلة ممكنة، وأقـــنع السيد الخوئي باستصدار حكم « فتوى » الى الطلبة بالبقاء في النجف واكمال دراستهم [١] .

ويقال ان السيد الشهيد سافر الى بغداد بنفسه واجتمع بالسيد الخوئي «قدس سره» حيث كان راقداً في المستشفى هناك وقد تم الإتفاق على الحيلولة دون تسفير طلبة الحوزة [٢].

فتوى تحريم إنتماء الطلبة الى الأحزاب الإسلامية: ـــ

ثم وفي عام ١٩٧٢ م حينما اقدم البعثيون على القيام بحملة اعتقالات ومداهمات في صفوف المؤمنين، وخاصة في اوساط الحوزة ابرز السيد الشهيد «رحمه الله» رأيه في ضرورة الفصل بين المرجعية والعمل الحزبي، وفي نفس التاريخ كتب الإطروحة المعروفة بـــ «المرجعية الصالحة والمرجعية الموضوعية».

وفـــي ســـنة ١٩٧٤ م اثر الإعتقالات التي شملت الشهداء الخمسة « رحمهم الله » صدرت منه الفتوى التي ظاهرها تحريم ارتباط الحوزة العلمية بصورة عامة بالعمل الحزبي، وكان ذلك يعود الى أمرين مهمين: ـــ

---

١ ـــ الحياة السياسية للإمام الصدر ـــ ملا أصغر ـــ ص ٤٨٢ ـــ دار الإسلام ـــ لندن.

٢ ـــ العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل ص ٦٤٦.

الأول: ان الإندماج والتلاحم بين الحوزة العلمية والعمل الحزبي سيؤدي الى إنعكاس جميع الأخطار السياسية الكبيرة التي يمنى بها العمل الحزبي على الحوزة العلمية، فاذا تم القضاء على العمل الحزبي من قبل السلطة العفلقية فسوف يؤدي ذلك الى القضاء، على الحوزة العلمية أيضاً .

الثاني: ان وظيفة الحوزة العلمية ان تشمل برعايتها جميع قطاعات الأمة الإسلامية والإنتماء الى العمل الحزبي يمنع عن مثل هذه الرعاية الشاملة[1].

كـــانت الفكرة الرئيسية التي تجول في اذهان البعثيين هي القضاء على المناوئين بشكل تام، والواقع انه لم يبق هناك من يناوئهم غير الإسلام والقيادة الإسلامية المتمثلة بالعمل الحركي وقيادته.

ولقد اكتسب حزب البعث هذه الفكرة تصوراً منه أن وسائله التعذيبية لن تخطـــيء أبـــداً، ولن تتعدى القيادة التنظيمية اذا كانت موجودة بين صفوف الجامعـــة حيث كان يتصور ان وسائله الإرهابية وأساليب التعذيب والتي لم تخطر على قلب بشر لا بد للإنسان ان يعترف وينهار امامها .

وهـــنا يدخل الإمام القائد الشهيد الصدر المصاعب والقدر المصيري في مواجهة هؤلاء البرابرة، فالبناء بعد لم يكتمل، والأمة تحتاج الى بضعة سنين لـــتكون معتمدة على نفسها في تحريك الوعي ..... ان الظرف غير مناسب الآن للمواجهة انه ظرف عصيب وحرج للغاية .

وهكذا وبمجرد أن تقفز فكرة وجود القيادة التنظيمية بين صفوف المدرسة العلمية في النجف حتى تجد حزب البعث يتصرف تصرفات حاقدة وبعيدة عن كل تفكير اجتماعي وسياسي، حيث لم يحسب لكل الظروف واقعها وانعكاساتها وكأنه حيوان هائج لا يعلم طريقه، فيقدم على إعتقال العشرات من الطلبة منهم الشيخ الكبير والعالم الجليل والشاب الذي جاء تواً

---

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ١٥٠.

الى الحوزة، فكانت حملة مسعورة شرسة تستهدف قلع الحوزة من جذورها، بالإضافة الى ما عمد له البعثيون من تسفير وتهجير واخراج للطلبة الغير عراقيين حتى كادت الحوزة تضمحل أمام هذا العدو العاتي وفعلاً فأن المواجهات العنيفة التي جرت بين حزب الدعوة الإسلامية وحزب البعث ومنذ العام ١٩٧٢ ادت الى كشف بعض الخطوط التنظيمية داخل صفوف طلبة الحوزة، ومن ضمنهم عدد كبير من العلماء المرتبطين بمرجعية السيد الشهيد الصدر على نحو الخصوص، ولهذا السبب، وفي تلك الفترة ــ وبالتحديد عام ١٩٧٤ ــ ١٣٩٤ هـ صدرت فتوى الشهيد الصدر بتحريم إنتماء طلاب العلوم الدينية الى الأحزاب، ولو كانت اسلامية، ويبدو انها كانت وليدة مباحثات مع عدد من مساعدي الشهيد الصدر قبل عام تقريباً من هذا التاريخ [1].

وهكذا فوت السيد الشهيد الصدر الفرصة على البعثيين لضرب الحوزة والمرجعية بحجة الإنتماء الى حزب الدعوة الإسلامية .

مواصلة بناء الحوزة:ــ

وهكذا نجد ان الشهيد الصدر « قدس سره » قد تحول من الهم النظري للحفاظ على الحوزة الى الهم العملي الذي رافق جميع أدوار حياته الشريفة لتأخذ صوراً شتى تبعاً للظروف المحيطة والمستجدات المتتابعة التي كادت ان تعصف بالحوزة المباركة لولا وقوف مراجعنا الكبار في صف الدفاع المستميت عن ذلك الصرح العظيم، وخاصة من قبل شهيدنا السعيد السيد محمد باقر الصدر ــ رحمة الله عليه ــ .

---

١ ــ الإمام الصدر ــ سيرة ذاتية ــ محمد الحسيني ــ ص ٩٠.

خطوات في طريق المحافظة على الحوزة:ــ

كــان هم السيد الشهيد الصدر « قدس سره » الأول المحافظة على بناء الحــوزة وتماســكها كي تبقى قلعة صمود وتحدي لكل قوى الشر المتربصة بالإسلام وبالقوى العاملة من أجله .. لقد تعرضت الحوزة الى أعتى حملة في زمن البعث من خلال التسفير ومنع الطلبة من الإلتحاق بها واخضاع طلبتها للتجــنيد الإلزامي الذي بقيت الحكومات السابقة على اعفائها منه .. لقد وقف مــع الحــوزة في أعتى ظروفها فتمكن من تجاوز معظم تلك الصعاب ليبدأ بمرحلة جديدة من خلال ما يلــي : ــ

١ ــ تحويل الخط الأكاديمي الذي فرض على المدرسة الى خط عملي.

٢ ــ ازالة التقوقع الذي كان محصوراً ضمن خط الوراثة والأفراد الى معهد يستوعب كل الطاقات.

٣ ــ ازالة العزلة الجماهيرية؛ التي كانت مفروضة على المدرسة بسبب بعض مواقفها من القضايا الجماهيرية.

٤ ــ اعداد بعض المبلغين الرساليين وارسالهم الى مناطق العراق المختلفة لتوعية الأمة وتعليمها أحكام الإســلام.

حاول الشهيد ان يدرس تلك الأمراض، وان يضع لها الحلول الناجحة، وأن يعيد وجه مدارس الرفض الفكرية في التاريخ الإسلامي، فعمل على نطاق النقطة الأولى في ازالة التفكير الاكاديمي من عقول طلبة العلوم الدينية، واسس مدرسته الفكرية القائلة:ــ (ان لا خير في العلم بدون مفهوم وعمل، وما لم يترجم هذا العلم الى واقع عملي فان وجوده وعدم وجوده سواء) ، ثم فتح بابه الى من يرغب في زيارته على غرار بقية العلماء ليكون مجلسه نموذجا يحتذى به، وفكره العام برنامج للبناء، ثم انه اقام صلاة الجماعة خلال هذه الفترة في أحد مساجد النجف

هذا والسلطة تحاول ان تبحث عن الرأس للحركة الإسلامية، والتي كان تصورها في تلك الفترة انها موجودة في أوساط الشباب المثقف الجامعي أو المهني بينما لم تلتفت الى مدرسة النجف خلال تلك السنين بالذات بشيء من الأهمية الكبيرة في البحث عن الحركة التنظيمية؛ لأن الفكر الذي تطرحه مدرسة النجف خلال تلك المرحلة لم يكن فكراً سياسياً صريحاً، لأنهم أي البعثيين كانوا ــ ولقلة تمكنهم من خبر الساحة ــ يتصورون ان النشاط السياسي البحت هو الذي يكمن فيه الخطر على حكمهم، اما الفكر الديني والدراسات الفكرية والفلسفية وغيرها فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يهدد وجودهم وكيانهم، فهم لم يتصوروا ان البناء الفكري هو الأصالة في العمل السياسي وبدون وجود الوضوح الذهني للإسلام وحركته الفكرية فان الجانب السياسي سيكون غائباً عن الساحة الزامياً .

فلذلك نجد السلطة قد حاولت مضطرة ان تظهر بانها ترعى الدين برعايتها لمدرسة النجف العلمية، وإنها بقدر ما تحترم هذه المدرسة فهي في نفس الوقت تضرب بيد من حديد على كل من يخلط السياسة بالدين، ثم صرحت مصادرهم انه يتوجب علينا ان نكتشف أولئك المتسترين بهذا القناع فأقدمت السلطة على إعتقال الشخصيات التي كان لها فكر حركي وعملي، كالمرحوم «أبو عصام » حاج عبد الصاحب دخيّل وغيره، ومن الذين يسيرون بهذا النهج الفكري العملي، وهم أي البعثيون ــ لم يكونوا يتصوّرون ان هذا الفكر هو فرع من ذلك الأصل ــ فكر مدرسة النجف العلمية الفقهية ــ

وقد حاول حكم البعث ان يقدم للشعب العراقي الصورة التي يرغب هو فيه حينما قدم تصريحاته بأن حكومة الحزب والثورة تنظر بعين الإحترام للعلم والعلماء والفكر والمفكريــن، وذلك تجنباً للمواجهة العلنية بين السلطة وبين المدرسة العلمية لئلا ينعكس ذلك سلباً على مسيرة الحزب في العراق، وهكذا اظهروا للناس ان الحزب لا يحارب الدين بل يحترمه، ولكنه يحارب

المتسترين بالدين امثال طلبة الجامعات والمثقفين الآخرين، حيث كانت السلطة في ذلك الوقت تشن حملة شرسة على الجامعة وتعتقل المئات منهم وتزج بهم في السجون والمعتقلات الرهيبة ..... وكأن العملية هي (مراوغة وخداع) ففي الوقت الذي تحتاج فيه الحكومة الظالمة الى كم الافواه والى الاعتقالات والاعدامات، فانها تبدأ محاولاتها اليائسة بمغازلة مدرسة النجف العلمية، وحينما تتوجه الى المدرسة العلمية فانها تحاول كم الافواه برعايتها للعلم والعلماء في الجامعة ..... وهكذا دواليك وهو خط ليس بالجديد على تصور الحركة الاسلامية حيث جربته بريطانيا قبل ذلك بعدة سنوات .

وقد استثمر الامام الشهيد الصدر هذا الظرف بصورة دقيقة لبناء الشخصيات الفكرية وبناء مدرسة النجف وانشاء هيكل جديد يستطيع مواصلة الطريق الصعب امام هذا النوع من الحكام الظلمة ..... وما يبين تلك النفسية فان هذه المدرسة تسقط فريسة بايديهم ويسهل بعدها احتواؤها والتحكم بها، كما هو الحال مع بقية المدارس في العالم الإسلامي التي اصبحت اداة بيد السلطة توجهها حيثما تشاء وتبارك للحاكم اعماله المخالفة للإسلام، ولا حاجة هنا ان نذكر تلك المدارس لان الأمر واضح حسبما ارى .

وها هو الصدر المحنك يمتلك كل المواصفات الكبيرة التي أهلته لأن يكون الطبيب الذي تنتظره هذه المدرسة، والعالم الذي ترى بين يديه كل المؤهلات العلمية في تغيير الاسس وبناء الصرح ..... ويجب ان لا نستغرب كثيراً اذا وجدنا ان الامام الشهيد قد صب جل اهتمامه في اعطاء هذه المدرسة الامل الذي تنتظره الجماهير

فما ان دخل الشهيد الصدر ذلك الباب حتى تغيرت الصورة تماما، فالمدرسة النجفية صارت تضم بين صفوفها الكثير من خريجي الكليات

والمعاهد التعليمية العالية والشباب المثقف* الذي ترك دراسته الجامعية ايماناً منه بان هذا الطريق هو الاقصر الى التكامل الذاتي وخدمة الاسلام .

وكان الامام الشهيد يدعو الى الانخراط بهذه المدرسة بعد ان يختار النماذج هو بنفسه، ويطلب منهم ذلك وبعد ان يقدر ايمانه وتقواه اضافة الى سعة ذكائه واطلاعه وسلامة تفكيره، وكان تلاميذه يلاحظون هذا النوع من الاختيار والانتقاء في بناء لبنات هذه المدرسة العلمية، مما حدى بهم ان يجهدوا انفسهم في اختيار النماذج من مدن العراق كافة ، وما كادت تطل سنة ١٩٧٢ حتى امتلات المساجد في كافة انحاء العراق وخاصة النجف بالشباب الجامعي والمدرسين والمعلمين وبقية القطاعات الجامعية الأخرى، لكي تنهل من هذا العلم، علم رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام، وخاصة في العطلة الصيفية التي تستثمر للتزود في بناء الشخصية بدل قضاء الأوقات في اماكن اللهو التي بذرتها السلطة في كل مكان في العراق .

فالطبقة الشعبية التي أعتمد عليها حزب البعث كثيراً، كالعمّال والفلاحين والكسبة، وفتح لهم جمعيات حزبية بواجهات مدنية كاتحاد نقابات العمال والجمعيات الفلاحية والنقابات وغيرها، اخذت تلك التجمعات تتجه الى القيادة الحقيقية، وصار عالم المنطقة أو وكيلها هو الشخصية الأولى في التأثير والإحترام والهيبة .....

---

* من المفارقات العالقة في ذهني ان اخي السيد حامد شبر كان يلح على الوالد بان ينخرط في صفوف الحوزة العلمية فور انتهائه من دراسته الاعدادية، لكن الوالد كان يفضل ان يكمل دراسته الجامعية ثم يأتي الى الحوزة ، فلم يتوصلا الى اتفاق، ولما رأى الوالد الحاح (حامد) على الحوزة قال له: لنذهب الى السيد الصدر(وانت مقلده كما اعلم) وليكن قوله الفصل في المسألة. فقبل الاخ بهذا الاقتراح، فذهبنا سوية الى منزل السيد الصدر وطرح الوالد الموضوع عليه، فوجه السيد الصدر كلامه للاخ قائلاً له: انا الزمك بان تكمل الجامعة ثم تأتي الى الحوزة.. نحن نحتاج طلبة يحملون ثقافة عميقة ومتنوعة.. فامتثل الاخ لقول السيد الصدر وفعلاً التحق بالجامعة ببغداد.

وفي هذه الأثناء كما ذكرنا، كان حزب البعث يواصل حملاته المسعورة على الشباب الجامعي وخريجي الكليات والموظفين ويعتقل المئات منهم ليعرضهم لأشد انواع التعذيب الوحشي، وهو يبحث عن الخيط الذي يمكن ان يوصله الى القيادة او مركز الفكر التنظيمي، ولكن كان للشباب صمود تفتخر به ملائكة السماء في الإباء والشموخ والإستهزاء بجلاديه .

ومن الأساليب التي عمد اليها حزب البعث في التنكيل بالمؤمنين هو توقيت حملات الإعتقالات التي كان يقوم بها والتي كانت غالباً أثناء فترة الإمتحانات النهائية لحرمان الطالب من تلك السنة كنوع من الحرب النفسية التي يستعملها ضد تلك الحركة .....

كل ذلك يحدث والسيد الشهيد الصدر يسمع بملأ أذنيه ويرى بأم عينيه ثمرة فؤاده من الشباب تقتل وتعذب في سجون البعث وهو لا يستطيع إلا أن يتحمل الصبر، وهو يحرق ضلوعه ويؤجج النار بين الأحشاء ويطلب من الله الصبر، وما أن تنتهي حملات البعث المسعورة على الشباب المثقف بعد أن يفشل في أن يتوصل الى ما كان يرمي اليه « حيث كان يظن إن قيادة الحركة الإسلامية التنظيمية تكمن في صفوف الشباب المثقف »، وبعد أن توصل الى إعترافات وهمية تدور في حلقة مفرغة لا تمكنه الوصول الى الرأس والقيادة حيث وجد نفسه في فلك خاطيء، وإنه يجب أن يتوجه الى المدرسة العلمية في النجف لأنها من المحتم تضم القيادة بين دفتيها لعدم وجودها في صفوف الشباب الجامعي إنها فعلاً حركة فكرية ذاتية منبعها الإيمان بأحقية المرجعية وخط العلم .

إن الصور السابقة السيئة التي كانت تعشعش فيها قد ولت ولم يعد لها مكان في خضم هذا التيار العلمي الأصيل والذي إتخذ من الوجوب الشرعي إنطلاقاً في تبني هذا الطريق فقد إمتلأت بنايات سكن الطلاب المخصصة لهم

بأعداد كبيرة من تلك النماذج، وقد وضعت شروط للقبول في تلك المدرسة لا يمكن تجاوزها .

إذن هنالك موجة فكرية جديدة تجتاح المدرسة العلمية إنها موجهة لمواجهة ظروف المرحلة الحاضرة، ومواجهة تحديات النظام والحكام الفراعنة الذين أقسموا أن يشتتوا هذا المعهد ويقتلوا روح العلم والثورة النامية فيه ..... والحقيقة إن هذا النوع من التحرك قد فتح قلوب الأمة الى تقبل هذا النوع من الوعي الذي لم يعهده من قبل حيث وجدت فيه مكاناً مناسباً لإشباع طموحاتهم في تحقيق العدل وتثبيت الإسلام ..... وهنا نجد إن الإمام عند هذه النقطة قد وضع كيان المدرسة العلمية المقاومة للظلم والطغيان، وضع كيانها من ركيزتين، أولهما : ــ الركيزة الإيمانية الشرعية، والثانية؛ الركيزة العلمية الحركيـــة .

ثم فكر القائد السيد الشهيد أن يبدأ عملية نقل الفكر من المسجد في هذه المدرسة الى الأمة والشارع؛ لأن الأساس ثابت بالنسبة للشخصيات، والعقول متفتحة بالنسبة للأمة، وبذلك ارسل وكلاءه الى مناطق العراق للتفاعل مع الأمة وبث الوعي بين صفوفها، حيث نجد إن الجماهير بالمقابل شعرت إن هذه الشخصيات هي التي كانت تبحث عنها، وهي التي كانت تطالب بوجودها لتصنع قدرها ووجودها، وفعلاً فقد التفت الأمة حول وكلاء السيد الصدر تعطي لهم لبها وعقلها، وتأخذ منهم صافي العلم والتقوى، وتنهل من منهل الرفض، وترتشف رحيق الكرامة والمقاومة .

وما كادت تمضي بضعة شهور حتى تغيرت الصورة السابقة التي كانت تحملها الأمة بشتى طبقاتها وبدأت تعيش مشاكل الإسلام وهمومه.

فكانت الأمة بحاجة الى من يأخذ بأيديها نحو دينها ويعلمها أحكام شرعها، وقد تنبه الشهيد الصدر لهذه المسألة فقام بارسال مجموعة من المؤمنيين الطلبة الرساليين الواعين الذين أعدهم لهذه المهمة الكبرى ..

ارسال الوكلاء والمبلغين الرساليين الى جميع المناطق: ــ

وقــرر « رضــوان الله تعــالى عليه » إستيعاب الساحة ببعث العلماء والوكــلاء الى مختلف مناطق العراق، وكان له منهج خاص واسلوب يختلف عما كان مألوفاً في طريقة الإرسال .

كــان الأسلوب السابق ــ باستثناء مرجعية الإمام الحكيم « قدس سره » ــ ينحصــر فــي إن المنطقة التي ترغب بطلب عالم يقيم فيها تتكفل جميع نفقاتــه المالية والمعاشية، والمرجع يحدد له نسبة معينة من الحقوق الشرعية بما يشبه المضاربــة .

وهــذا الأســلوب تــترتب عليه سلبيات كثيرة، منها ان بعض المناطق وبســبب أوضــاعها الإقتصادية الضعيفة لا تتمكن من تغطية نفقات العالم، فــتعزف عــن الــتقدم للمرجع بطلب عالم يقيم بينهم، فتكتفي فقط باستدعاء خطيب لمناسبة محرم وشهر رمضان على أحسن الأحوال.

ومــن هــنا إن بعــض ذوي الثروة يحاول السيطرة على العالم، ويقيده بسياسة خاصة مستغلاً الضغط المالي في حالة كفالته لعالم المنطقة .

وكان من شأن هذا الإسلوب أن يعطي صورة سلبية عن المبلغ والعالم، فيعتــبر في نظر الناس متسولاً أو مسكيناً يستحق العطف والمساعدة، وليس قائداً للناس، وموجهاً لهم .

أمــا الســيد الشهيد فقد اتخذ سياسة جديدة تحقق الكثير من الإيجابيات، وتخــلو من جميع السلبيات التي اشرنا الى بعضها فيما سبق، وكانت اركانها الأساسية ما يلي:

١ ــ حــرص « رحمه الله » على ارسال خيرة العلماء والفضلاء هدياً وأخلاقاً وتقوى وأحاطة بما تتطلبه الحياة والمجتمع، وتجنب ارسال العناصر المتسمة بالجفاف والإنزواء، والتي لا تعرف مقتضيات العصر ومتطلباته .

٢ ــ تــتكفل المرجعية بتغطية كافة نفقات الوكيل المادية، ومنها المعاش والســكن، ســواء كان ارسال الوكيل بطلب من المنطقة أو مباشرة من قبل المرجع .

٣ ــ الإمتــناع عن قبول الهدايا والهبات التي تقدم للعالم من قبل أهالي المنطقة .

٤ ــ العــالم وسيط بين المنطقة والمرجع في كل الأمور، ومنها الأمور المالية، وقد الغيت النسبة المئوية التي تخصص للعالم [١] .

أما النتائج الإيجابية التي ترتبت على هذه السياسة فكثيرة أذكر منها:ــ

١ ــ تحــركت المناطق التي كانت غير قادرة على تغطية نفقات العالم، فطلــبت علماء للإقامة فيها، وأمكن بذلك ملأ الفراغات الكبيرة، وخاصة في مناطق المستضعفين، كما حصل في مدينة الثورة التي تعتبر من أهم مناطق بغــداد على الصعيد الشعبي والجماهيري، وأدى ذلك الى ولادة تيار اسلامي اقلق سلطة البعث العميلة .

٢ ــ وانتجت هذه السياسة أيضاً رغبة قوية بين الشباب المثقفين للإتجاه الى الحوزة والدراسة فيها .

٣ ــ أثرت هذه السياسة في تغيير الصورة السلبية الموروثة عن العالم، وأعطت عنه صورة إيجابية براقة .

فمثلاً استطاع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن عبدالساتر أن يحدث تأثيراً كبيراً في الكوت مركز محافظة واسط، وصنع جيلاً من الشباب الواعين المؤمنين المثقفيّن، بل ويؤثر حتى على طبقة كبار السن من الشيوخ؛ لأن هــؤلاء لــم يعهدوا عالماً يترفع حتى عن قبول الهدايا والهبات، بل كان يتفقد الفقراء والمعوزين، وينفق عليهم .

---

١ ــ راجع ما كتبه السيد الشهيد بخصوص هذا الموضوع في ص ١٧٣.

ونموذج آخر هو المرحوم الشهيد الشيخ عبدالأمير محسن الساعدي الذي كـــان وكيلاً في أحدى مناطق محافظة ديالى، فكان يشارك أهل المنطقة حتى في زراعة حقولهم وجني الثمار من بساتينهم، رغم اصرار أهل المنطقة على منعه من ذلك .

ولما أنتهى موسم التبليغ ــ وكان شهر رمضان ــ وأراد مغادرة المنطقة الى النجف قدم له الأهالي مبلغاً قدرة مائة وخمسون ديناراً كهدية، فأبى قبولها، وقال لهم: إن السيد الصدر يتحمل كافة نفقاتي، وإن وظيفتي التبليغ والإرشاد وليس جمع المال . وألح أهل المنطقة على دفع المال اليه، فاضطر الى أخذه، ثم قدمه كهدية الى الحسينية، مما أثار إعجابهم .

فهذا العفاف والترفع لم يكن معهوداً في السابق .

وكان لكل عالم بعثه السيد الشهيد « رضوان الله عليه » أكثر من قصة من هذا القبيل، هزت المشاعر، وحركت القلوب، وأعطت العالم مكانة خاصة في القلوب والنفوس .

وفـــي الوقـــت نفسه استطاع « رضوان الله عليه أن يحجم معظم أولئك الذين استغلوا فراغ المناطق من العلماء، فنصبوا أنفسهم علماء، وتلبسوا بزي علماء الدين، وكان معظمهم يعمل لصالح السلطة، ويسير في فلكها، والغريب إن بعضـــهم استطاع الحصول على وكالة من مراجع كبار ما كان يحتمل ان يصدر منهم ذلـــك .

لقد وقف السيد الشهيد « رضوان الله عليه » بوجه هؤلاء وقفة حازمة، فحرّم الصلاة خلفهم، أو التجاوب معهم في أي نشاط ديني واجتماعي، وكان هـــذا الإجـــراء يعتبر نوعاً من المواجهة مع السلطة، لأنها هي التي نصبت معظمهم .

وأتذكـــر(الـــنعماني) ان أحـــد هؤلاء وكان يسكن مدينة الثورة أجبر المصلين في أحد المساجد على تشكيل وفد برآسته ليطلبوا له وكالة من السيد الشـــهيد « رحمـــه الله »، فـــلما حضر الوفد طلب الشيخ من السيد الشهيد توكيله، وقال: هؤلاء أهل المنطقة يرغبون بذلك .

وهنا وجه السيد الشهيد السؤال اليهم بقوله: هل ترغبون بتوكيل الشيخ ؟ فقـــالوا: كلا، فغضب الشيخ غضباً شديداً؛ لأنه يعلم ان عدم منحه وكالة من قبل السيد الشهيد يعني إنهاء وجوده الديني والإجتماعي وكان بعض أعضاء الوفد قد أخبر السيد الشهيد قبل ذلك بأن هذا « الشيخ » أجبرهم على تشكيل الوفد، ولم يتمكنوا من الإمتناع؛ لأنه يعمل مع أجهزة الأمن . وتمكن رحمه الله مـــن تطهير تلك المساجد من أمثال هؤلاء وإبدالهم بالأكفاء الصلحاء من خيرة شباب الحوزة العلمية في النجف .

ومـــما يجدر ذكره بهذا الصدد إن السيد شجع الكثير من الشباب المثقفين كالأطـــباء والمدرسين وأمثالهم على دراسة ما يمكن من المناهج العلمية التي تـــدرس فـــي الحـــوزة، وخاصة الفقه والأصول في إطار الإستفادة من هذه الطاقات لسد الفراغات الكبيرة التي تعاني منها المساجد والحسينيات، وحتى المراكز العلمية والتربوية التي يعملون فيها كموظفين وإداريين .

وكان يقول: سأضمن لمن يرغب من هؤلاء بالتفرّغ للدراسة في الحوزة نفـــس المستوى المعاشي الذي كان يحصل عليه من وظيفته الحكومية إن لم يكـــن أفضـــل . وكـــان رحمه الله يتوخى من ذلك الإسراع في تربية علماء يمـــلكون ثقافة عصرية الى جانب ثقافتهم الدينية، وكذلك الإرتفاع بالمستوى

الإجــتماعي لــلحوزة بــتطعيمها بعناصــر لهم مكانة في المجتمع كالأطباء والأساتذة وغيرهم* .

وكــان(رض) أيضــاً يــنوي توكيل بعض الأشخاص ــ من غير طلبة الحــوزة ــ ممــن تتوفر فيهم مواصفات معينة ليمارسوا دور العالم كل في منطقته أو دائرة عمله، وقد طبق ذلك في دائرة محدودة .

وعــلى كــل حال كان للسيد الشهيد رحمه الله من الطموح ما هو أكبر وأشــمل مما ذكرنا بشأن تطوير الحوزة والمرجعية والعمل الإسلامي، رغم إن مــا تحقــق كــان يعتــبر قفزة نوعية قياساً الى قدراته المالية الضعيفة، والوضع السياسي الصعب، واجواء الحوزة العلمية، والفترة الزمنية المحدودة التي أتيحت له في إطار العمل المرجعي [1].

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا
المدرسة الشبرية
النجف الأشرف - العراق
١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

* كان في مدرستنا (المدرسة الشبرية) في النجف الاشرف العديد من الطلبة من حملة الشهادات الجامعية وكانت لي معهم علاقات اخوية ، فمنهم من يحمل شهادة الهندسة وآخر شهادة كلية العلوم وآخر معهد المعلمين...

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ــ ص ١٨٥.

الفصل السادس

العمل المضاد

١ــ تفتيت الحزب.

٢ ــ إسقاط النظام.

٣ ــ تأييد الثورة الإسلامية.

٤ ــ تحريك الأمة نحو المواجهة.

٥ ــ الإنتصار بالدم.

٦ ــ الخطابات التاريخية.

٧ ــ القيادة النائبة.

٨ ــ الإستمرار في تأيد الحركات الإسلامية.

في ذلك الوقت كان الإمام الشهيد يعاني من المآسي ما لا يمكن ان توصف فمن عمليات التهجير، الى عمليات التشريد، الى عمليات الإغتيال والإعدام، الى عمليات احتواء مدرسة النجف العلمية، الى بقية الأمور التي فرضتها السلطة على واقع المؤمنين وعلى واقع السيد الشهيد الصدر ليكون أمام الجميع خيار واحد لا غير؛ هو الإمتثال لما يفرضه البعثيون ، أو على اقل الإحتمالات ترك العمل التغييري، حيث يكون عامل اليأس متجسماً بصورة كبيرة امام الأنسان، ليتحول من التفكير التغييري الى التفكير الأكاديمي الذي لا تخاف منه السلطة ولا يشكل أي خطر على وجودها .

وهكــذا نجد إنهم قد استعملوا كل انواع الضغوط في هذه الفترة بالذات لــتحويل خــط السيد الشهيد الصدر الى خط سلمي يتماشى مع ما يرغبونه ويرمون اليــه .

فقد بقي الوحيد في الساحة يحمل لواء المقارعة ضدهم ويواجههم بالفكر والعمل ..... ولكن ، وفي هذا الظرف العصيب، والذي لم يكن على الساحة من قوة يمكن ان تقف بوجه غطرسة البعث وخشونة معاملتهم للأمة، مع ذلك لم نجد أي نوع من المهادنة أو السكوت أو التباطؤ بالعمل، لأن الظروف الصعبة لا تبرر ترك وجوبية شرعية العمل الإسلامي، فهو ليس تابعاً للظروف بل انه واجب في كل آن ووقت، ولا يمكن لأي بشر أن يضع تبريراً لقعوده واستكانته لقساوة الظروف أوظلم الحاكم، نعم يمكن ان تتغير الأساليب وتأخذ أوجهاً متعددة تختلف عن الوجه الذي يؤدي بالحاكم الى المنازلة، فالفعل الإسلامي في بداية شروق الرسالة الإسلامية وبعدما ووجهت الدعوة بمنتهى القساوة والحقد فاننا نراها قد اتخذت صوراً متعددة ومحاولات مختلفة في التبليغ، فمنهم من هاجر الى الحبشة، ومنهم الى القرى والمناطق الأخرى، ومنهم من كتم إيمانه حتى مات ..... كل تلك الظروف والأساليب

تخلقها العقلية القيادية لتتجنب سطوة السلطات وظلمها كي لا تتم ابادة شعلة الإسلام من الوجود .

وتتداول الأيام بطيئة وثقيلة على الحركة الاسلامية وهي تعاني من حرب شـــاملة عـــلى جـــبهات متعددة من قبل عدو شرس مرسته أيادي الإستعمار البريطاني في مواجهة الحركة الإسلامية، أو أي حركة غير مرغوب فيها.

فلقد بقيت هي الوحيدة على الساحة تقاوم هذا الحيوان الوحش «البعث» فالشيوعيون قد دخلوا في تحالف مع حزب البعث تحت اسم ما يسمى «بالجبهة الوطنية والقومية التقدمية»، وخرج سكرتير الحزب الشيوعي على شاشة التلفزيون ليقول أسرار حزبه منذ تأسيسه حتى تلك اللحظة، وكذلك الحال مع القوميين والأكراد، فقد انضموا ايضاً تحت اسم الجبهة، وصار البعث هو المتسلط على تلك الجبهة وظهر مصطلح جديد للبعثيين الا هو «الحزب القائد» وهذا يعني اعلان دكتاتورية الحزب الواحد، بعد ان كانوا يغطونها بورقة توت واهية ،فاصبحت بقية الأحزاب مطيعة له يعمل بها ويوجهها كيفما شاء ..... فليس لها من قول مسموع أو رأي مطاع، وانما معبر لتنفيذ اغراض ما يرمونه من محاربة الإسلام واستفراد الحركة الإسلامية في الساحة .

إن الغرض من كل هذه العملية هو تسليط الضوء على الشخصيات التي يعتقد بانها إسلامية حركية وهذا العمل جاء نتيجة:

أ ــ ان عمليات الإعتقال والإعدام لم توصلهم الى قيادة الحركة الإسلامية كما كانوا يعتقدون، بل انهم وصلوا الى طريق مسدود لا منفذ له .

ب ــ القابلية الفذة التي يتمتع بها الدعاة في التخفي وفي عدم لفت انتباه السلطة لهـــم .

فلذلك فان السبب المهم الذي كان وراء عملية ما يسمى «بالجبهة الوطنية» هو كشف التنظيم الإسلامي . وذلك بتسليط الضوء على كل فرد

من افراد الشعب العراقي، والذي لا بد وان يكون اما منتم لحزب البعث أو الى الحزب الشيوعي، تحت اسم الجبهة الوطنية، أو إنه من الحزب الديمقراطي الكردستاني، ومن شذ عن هذه التنظيمات الثلاث فهو إذن محسوب على صف الحركة الإسلامية ..... ولتوضيح الامر بصورة مفصلة فان حزب البعث يرى ان الناس يمكن ان يوضعوا تحت العناوين والتنظيمات التي وضعها حزب البعث وقد كانت أما أن يكون الشخص منتم الى حزب البعث أو غير منتمي .

وقــد إتخــذ كل فرد عراقي موقعه في هذا التقسيم، ومن خلال ذلك فإن عناصر الحركة الإسلامية كانت مكشوفة وهي تنطوي تحت صف غير منظم فهــم لا يقبلون ان يدركوا ان هناك انسان مستقل لا يرغب بالإنتماء ويبتعد عن الإنتماء فقانونهم « ان لم تكن لنا فأنت علينا ».

إن عمليات التهديد والترغيب التي استعملها الحزب مع الأفراد لهي ابعد مــن أن توصــف فــالموظف محارب في كل لحظة ومتوقع ان يسحب الى المخابرات كما أن شبح نقله من مكان عمله هذا الى أماكن بعيدة نائية تؤدي الى مفارقــة عائلته وبيته وغيرها من الأمور الحياتية، وفي نفس الوقت فانه يعيش حالة من الضعف حيث انه من الممكن لكل انسان ان يحيف عليه وهو غيــر قــادر على رد الظلم لأن كلمته غير مسموعة، باعتباره غير منتمي للحزب .....

وفي نفس الوقت فان حقوقه الطبيعية التي يحصل عليها بجهده وامكانياته لا يمكن ان ينالها، فالطالب المتفوق في الجامعة غير البعثي لا يمكن ان ينال اي حقوق من حقوقه في التعيين أو الحصول على بعثة أو غيرها، بينما يلاحظ بام عينيه حثالات الطلبة وقد أهداهم الحزب بعثة وقلدهم افضل المناصب في الجامعات .

وفي كل دائرة موظف يسمى « ضابط أمن الدائرة » ودوره تجسسي قذر واتصاله يكون عبر جهاز المخابرات الرهيب، فكل حركة يمكن ان تصدر من ذلك الإنسان غير المنتمي تحسب بالف حساب، فاذا زاره صديق، أو اتصل تلفونياً بأحد الأصدقاء، أو خرج من الدائرة لبضع دقائق كل ذلك يكتب في تقاريرترفع الى المخابرات بصورة مضخمة وبالشكل الذي يرغبون به الى أن يرمونه في التهلكة المنصوبة له .

واحيانـــاً فان الحزبيين يتفقون على غنيمة يقومون بها كسرقة اموال وما شابه، ويتفقون انه في حالة كشفهم فان موقع التهمة مهيأ لذلك الشخص الغير منـــتمي الى حزب البعث ..... وبذلك تلتقفه أيادي المخابرات لتصنع به ما تشـــاء .

وهكـــذا نجد ان العدد الضخم من الموظفين والطلاب والعمال والفلاحين وبقية القطاعات قد إنضمت الى حزب البعث خوفاً من سطوته وحفاظاً على حياتهم ومستقبل عوائلهم واطفالهم .

ثم أقدم الحزب على إستدعاء كل المنتمين الى الحزب الشيوعي،ليجند كل عناصره التي انضمت له لمتابعة المؤمنين ورصد تحركاتهم وكتابة التقار ير عنهم، خاصة وان الكثير منهم كانوا مشخصين من قبل الشيوعيين نتيجة للمناقشات والمساجلات الفكرية التي كانت تجري بين الطرفين، ثم ان الشيوعيين كانوا يحسبون ان الجزء الكبير الذي حل بهم هو ناتج عن تصدي الإسلاميين لهم، واصدار علماء الحوزة فتاوى تكفيرهم، لذا اعتبروا هذه فرصة لأخذ الثأر وتصفية الحسابات، ثم ان المؤمنين لم يكونوا يتحفظون من الشيوعيين أو يستخدموا اساليب التقية أو التورية، كل ذلك استفاد منه البعثيون في تجنيد الكثير من عناصر الحزب الشيوعي لتنفيذ اغراضهم الدنيئة، وتمرير مخططاتهم المشبوهة في ضرب الحركة الإسلامية وكشف عناصر حزب الدعوة الإسلامية، ومن ثم توجيه الضربة القاصمة له.

أما بقية الأحزاب التي تكونت منها « الجبهة الصورية »، فقد استدعاهم (النظام المتفرعن) وخيّرهم بين ترك احزابهم اوالإنتماء الى حزب البعث أو ارسالهم الى المخابرات والتعذيب .

هكــذا وبصورة مكشوفة وعلنية وبدون حياء أو احترام لكرامة الإنسان وحريته أجبر كل افراد الأحزاب الأخرى على الانتماء لحزب البعث لتجنب تحطيم حياتهم ...

وهكــذا خــلت الساحة تماماً من كل الأحزاب والأفكار الأخرى، وصار احتمال وجود الأفكار أما بعثي أو متدين .

وهــنا نجد ان الأمور صارت في غاية الصعوبة على الحركة الأسلامية لكــي تــتحرك بين أوساط الأمة؛ لأن الأفكار لايمكن أن تنمو في هذا الجو الشــائك، والحــركة ان لــم تتعامل مع الأمة وتطرح رأيها وتثبت افكارها وتصبح بمثابة حركة اجتماعية، فهي ايضاً ستموت عاجلاً أم آجلاً .

فالإنسان المؤمن في العراق وفي ذلك الظرف لا يجد من يتعامل معه ويبثه افكاره؛ لأن الحركة الإسلامية ترى التربية الفردية والتغيير الفردي هي من أهم الطرق في احداث عملية الإنقلاب الإجتماعي، وهذا لا يحدث إلا من خلال الإتصال الفردي مع شخصيات معينة لها المؤهلات النادرة القليلة، فالإنسان الذي يرشح للحركة الإسلامية في ذلك الظرف يجب أن يكون شجاعاً، حافظاً للسر، سريع التحرك لإبعاد الشبهة عنه . متحملاً للمصاعب، يستقرء مستقبل الإسلام بصورة واضحة وجلية، مؤمناً بأن طريق التغيير هو الطريق الأمثل لإحداث الإنقلاب الإجتماعي ..... الخ، هذه الصفات كانت نسبة توفرها مجتمعة في إنسان واحد نادرة .... ففقدان أي منها يؤدي الى كارثة كبيرة تصيب العمل الإسلامي، فلو تصورنا ان خصلة حفظ السر مفقودة في الإنسان الملتزم، وقد شم من خلال كلامه ان له علاقة مع أحد

المتدينين الحركيين فانه سيعتقل وسيدلي باسم الشخص الذي يلتزمه وهكذا سيعتقل هذا وسيطلب منه ذكر اسم الأشخاص المعتقلين به مع التعذيب الشديد والقاسي وهم لايتركونه الا اذا تأكدوا من انه ادلى بالمعلومات المطلوبة وانها صحيحة لأن الإسم الذي يذكره سيعتقل فوراً وهكذا تستمر العملية، وهنا فكرت الحركة الإسلامية لتلافي هذا الشرخ قبل استفحاله بطرقها الخاصة التي الهمها الله بها ..... وهنا نلاحظ ان الخطأ البسيط قد احدث بلاءاً عظيماً على الحركة والتنظيم .

وبذلك صار انتقاء الأشخاص للإنتماء للتنظيم عملية شاقة وصعبة وتحتاج الى اطلاع اجتماعي وسياسي ونفسي واسع .

بالإضافة الى أن الكثير من الناس قد انتمى الى حزب السلطة هرباً من الضغط والإرهاب مع العلم انه يبغض السلطة ويبغض حزبها ويبغض من لف لفهم، ولكنه لا يملك وسائل المقاومة في الإستمرار بعدم الإنتماء .

وهكذا سرت العدوى الإجتماعية المطعمة بالخوف والإرهاب في الإنتماء الى حزب البعث بين أوساط المجتمع سرياناً كبيراً، بسبب وجود عامل الخوف الذي ركز عليه حزب البعث منذ مجيئه، ومحاولة الناس تجنب المشاكل والآلام الإضافية

في هذا الجو المشحون بالإرهاب والإنتماء القسري لحزب البعث واجبار الأمة على التنصل عن مبادئها وقيمها وجد الشهيد الصدر نفسه وجهاً لوجه مع حكومة الطغيان البعثي وهو الإمام القائد المعوّل عليه في انقاذ الأمة من هذا الوحش الكاسر والطاغية الظالم الجاثم على صدرها، فعليه ان يقول كلمته الفصل وموقفه الحاسم لأن كلمته هي كلمة الشرع، فهل تصبح الناس كلها خدم للبعث أو إنه يقول رأي الإسلام ويجعل الأمة امام مسؤليتها ويخرجها من حيرتها، فأدلى القائد بدلوه، ولتكن النتائج ما تكون ففي ذلك الجو المكفهر كان السيد الشهيد يخطط للقضاء على حكومة البعث إن أمكن

أو على أقل التقديرات اضعافها، فاصدر فتواه بتحريم الإنتماء لحزب البعث، وكان يعمل على أن يتعاون مع من يمكن أن يقضي على شخص صدام نفسه ... فكـــانت فتواه ضربة على رأس الطغيان البعثي فقد كان لهذه الفتوى ابعد الأثر في مستقبل حزب البعث في العراق وفي مناطق الخليج، فالإمام الشهيد الصدر مرجعاً دينياً وسياسياً له حضوره الواسع في الأمة، وعلى مستوى كل مـــن العـــراق و الخليج و لبنان وايران، فحزب البعث الذي حاول ان يركز وجوده في العراق ليكون نقطة انطلاق لدول الخليج وغيرها، نجده قد حد من نشـــاطه واوقـــف وتـــراجع تراجعاً كبيراً، ليدرك اي شجاعة كان يتمتع بها شهيدنا العظيم، وأية غيرة على الإسلام يحملها ذلك القلب الكبير.

وهـــنا نســـتفيد من كلام الشيخ النعماني في هذا المجال باعتباره عايش السيد الشهيد الصدر عن قرب: ــ « كان كل شيء يسير الى الهاوية في ظل خطـــة مدروسة ودقيقة، نفذها حزب البعث في العراق، وكان السيد الشهيد « رضوان الله عليه » يراقب تلك الأوضاع بدقة، وكان قلقاً الى حد كبير وهو يواكـــب المسيرة التائهة في دياجير الظلام . رغم ان إمكاناته المادية لا تتيح لـــه الكثير من الفرص، ورغم أن كيانه المرجعي ووضعه، ألاجتماعي كان محدوداً قياساً بالآخرين ولايمكّنه من العمل إلا في حدود ضيقة، ومع ذلك فقد خطى عدة خطوات باتجاه إسقاط النظام وأقتلاع جذوره في العراق.

وتحرك (رضوان الله عليه) بإتجاهين :

الاتجاه الاول:

كان نحو تفتيت حزب البعث في المجتمع العراقي وأعتباره وجوداً غير مشـــروع .

ألاتجاه الثاني:

كان لإسقاط النظام، أو على أقل تقدير اجتثاء الرأس الذي يقف وراء كل تلك المخططات الإجرامية التي استهدفت الإسلام والمسلمين .

وكـــان تشخيص السيد الشهيد رحمه الله؛ أن صداماً التكريتي هو الرأس المدبـــر للنظام، وكان هذا التشخيص في وقت مبكر جداً، وقبل استلام صدام لكافة السلطات، وقد سمعته كراراً يردد هذا التشخيص، ويقول:

« مـــا دام هذا الشخص في الحكم لايمكننا عمل شئ، بل إذا سكتنا عنه فسوف يحطم ويهدم الكيان الإسلامي في العراق » .

وعـــلى هذا الضوء بادر السيد الشهيد (رضوان الله عليه) إلى القيام بعدة أعمال، أذكر منها التالي:

١ ــ على أساس الإتجاة الاول، وهو تفتيت حزب البعث واعتباره وجودا غير مشروع، اصدر « رضوان الله تعالى عليه » فتواه بحرمة الانتماء الى حزب البـــــعث .

لم يكن هذا الموقف تحديا للسلطة فرضته طبيعة الصراع، كما لم يكن السيد الشهيد رحمه الله بوجود المرجع الاجتماعي بمستوى هذه الصراحة الخطيرة والمواجهة المباشرة مع السلطة العاتية المجرمة، بل كان رحمه الله يقدر العواقب الكبيرة والأخطار الهائلة التي تترتب على هذا الموقف، وهو يعلم انه يعيش في الحوزة التي لم تكن مستعدة لمساندته والدفاع عنه، باستثناء شرائح قليلة لا تدفع عنه ضيماً، وهو يعلم ان امكاناته ليست بمستوى هذه المواجهة الخطيرة، كما ان السلطة من حيث القوة والإمكانات قادرة على

كسب الصراع بسهولة، مع ذلك قرر السيد الشهيد ان يتخذ هذا الموقف وبوضوح تام .

وكـــان لهـــذا الموقف مايبرره فقد وجد « رضوان الله تعالى عليه » ان المكاسب اكبر من الخسائر بالنسبة لمجمل الوجود الاسلامي في العراق على المـــدى الـــبعيد، وبـــدون اتخاذه هذا الموقف ستكون النتيجة معكوسة، وكان يقول:

«يجـــب ان نفرق بين براءة ذمة المكلف المكره على الانتماء لحزب البعث امام الله، وبين النتيجة العملية التي تترتب على ذلك والآثار الخطيرة التي ستنتج عـــلى صـــعيد الواقـــع، فعلى الثاني؛ لو ان المؤمنين وغيرهم ايضا اكرهوا على الإنـــتماء لحزب البعث بسبب الضغط الوظيفي أو الدراسي أو غير ذلك، فإنه وبمـــرور الـــزمن ستنشـــأ الأجيال، فتجد ان الإنتماء لحزب البعث أمر طبيعي لايخرج من الناحية الديـــنية » .

وكان يقول: ــ

«انني اعلم ان هذه الفتوى سوف لن تؤثر في الوقت الحاضر التأثير المرجو منها؛ وذلك لأن السلطة طوقت حياة المواطن العراقي في كل مناحيها، وخاصة الإقتصـــادية بالإنتماء لحزب البعث . وسواء أفتينا بحرمة الإنتماء ام لا فانه على كـــل حال سينتمي للحزب، ولكن فرق بين ان ينتمي وهو يعلم ان هذا العمل محـــرم شـــرعاً وبين ان ينتمي هو يرى ان الإنتماء امر طبيعي لا حرج فيه من الـــناحية الشـــرعية، ان هـــذا الامـــر في غاية الأهمية، ويجب ان نأخذه بنظر الإعتبـــار» .

ورغم ان انتشار الفتوى كان محدوداً، فإن عدداً كبيراً من المؤمنين ممن كانوا قد انتموا لحزب السلطة مكرهين او مضطرين راجعوا السيد الشهيد «

رحمه الله » إما للتعرف على الموقف العملي بعد ان عملوا بحرمة الإنتماء، أو لـــبيان المبررات التي تجعل من غير الممكن خروجهم من الحزب، فكان جوابه « رضوان الله عليه » .

« إن مـــن يـــتمكن من توفير مستلزمات حياته المعاشية عن طريق التجارة والعمل فيجب عليه ذلك ».

وكان يجيب اولئك الذين لاتسمح لهم الظروف بالخروج من الحزب بانه *« يجب عليكم العمل من داخل الحزب لتفتيته باي شكل ترونه مناسباً .. ».*

ومـــن الطـــبيعي ان يتسرب خبر الفتوى الى السلطة، فبعثت جواسيسها لتسجيل الفتوى من لسان الشهيد لإدانته بها فيما بعد، ولم يكن « رضوان الله عـــليه » حذراً من ذلك، واتذكر ان أحد العلماء طلب من السيد الشهيد رحمه الله أن يحتاط في الجواب، ويقتصر على الأشخاص الموثوقين تماماً . وكان رد السيد الشهيد رضوان الله عليه .

« لاضـــير مـــن ذلك، فأنا اريد ان يعلم الجميع ان الإنتماء لحزب البعث حرام، ولتعلم السلطة بموقف المرجعية الرافض لحزبها وعقائدها » .

ومـــن المؤكـــد ان المـــردود الإيجابي لهذه الفتوى كان كبيراً، بل اقلق السلطة وهي في اكمل مراحل قوتها، ولم تتمكن من اتخاذ رد الفعل المناسب الذي كنّا نتوقعه ذلك الوقـــت .

والحقيقـــة ان هذا الموقف المشهود يعتبر من اشجع وانبل المواقف للسيد الشـــهيد « رضـــوان الله عـــليه » قياساً الى الاوضاع السياسية الأمنية في العـــراق، فمـــن عاصـــر تلك الفترة السوداء وشاهد نظام البعث يقتل حتى الأطفال والنساء والشيوخ لمجرد الظن والتهمة، لا لجريمة إقترفوها أو ذنب إرتكبوه

٢ ــ كانت الأوضاع السياسية والإجتماعية في فترة ما من تاريخ العراق قد فرضت على العلماء والفقهاء أن يتخذوا موقفاً سلبياً من مسألة الدخول في الجيش العراقي، فأفتوا بالحرمة على أساس انه عمل مع الظالمين، أو إعانة لهم في ظلمهم .

وكان من الطبيعي أن يتجنب الأخيار الدخول في الجيش متطوعين . أما من لم يكن مهتماً بالتدين والإلتزام، فإنه وجد في الإنضمام في الجيش فرصة مناسبة للعيش، خاصة وإن الأوضاع الإقتصادية كانت في تلك الفترة رديئة للغاية .

ولما ولدت التيارات القومية والحزبية وجدت في الجيش والقوات المسلحة مرتعاً خصباً للعمل، فحزّب كلّ حزب ما يستطيع منه، وبمرور الزمن اصبح الجيش العراقي اليد الضاربة للأحزاب العلمانية والتيارات القومية .

أما الإسلام فقد خسر أبناءه، بل أصبحوا ضده، وصار هذا الجيش حربة يطعن بها الإسلام والقيم الربانية، وتسفك بيده دماء خيرة ابناء العراق .

كان السيد الشهيد « رضوان الله عليه » وهو يعمل لمرحلة المواجهة الشاملة يعرف خطورة هذا الفراغ، وضرورة معالجته، وكانت المرحلة الأولى أن يفكر بالمراكز الحساسة في الجيش، ومصادر القرار فيه، وعلى هذا الأساس سمح لنخبة منتخبة من الشباب بالإنتماء الى الجيش والقوات المسلحة على أمل ان يكونوا النواة الطيبة للسيطرة العملية على الجيش وتسخيره لخدمة الإسلام .

وأمكن خلال فترة وجيزة الوصول الى بعض قواعد القوة الجوية، أو المراكز الحساسة في الجيش، حتى ان أحد الطيارين الذين كان يستدعى في بعض الأحيان لمرافقة طائرة نائب رئيس الجمهورية قد تعهد للسيد الشهيد

بضـــرب طائـــرة صدام واسقاطها في الوقت المناسب وكان رحمه الله مهتماً بهذا التعهد .

ولأهميـــة الجيش العراقي ودوره الخاص والكبير اهتمت السلطة العميلة فـــي السيطرة عليه سيطرة تامة، وحرّمت على كل عراقي لا ينتمي لحزب الـــبعث الدخول فيه واخذت من كل عسكري تعهداً خطياً يقضي باعدامه في حـــال انتمائه لحزب آخر غير حزب البعث، وشددت من قبضتها عليه بكل وسيلة، ايماناً منها بخطورة وأهمية هذه الطاقة الكبيرة .

وفـــي مجـــال التجربة الإسلامية لاحظنا دور القوة الجوية الإيرانية في إنتصـــار الـــثورة الإسلامية في ايران، وهزيمة الشاه، وكيف استطاع الإمام الخميني رحمه الله أن يحقق بمساهمتها نصراً كبيراً وسريعاً كان من الصعب تحقيقه بدونهم في فترة زمنية قياسية .

٣ ــ قـــام « رضوان الله عليه » بتشكيل خلايا فدائية ترتبط به بصورة غير مباشرة، مهمتها إغتيال الطاغية المجرم صدام التكريتي، وكان المباشر لهذا العمل المرحوم الشيخ عبدالامير محسن الساعدي، والمرحوم الشيخ جليل مـــال الله، والشـــيخ المـــرحوم قاسم ضيف، وبعض الأخوة الأعزاء ممن لم نذكـــرهم، وهؤلاء يقومون بإختيار الشباب المضحين الإنتحاريين، وتوزيعهم على المناطق التي يتردد عليها الطاغية، متربصين به الفرصة المناسبة على اساس خطة موضوعة .

٤ ــ تمكـــن رحمـــه الله فـــي الفترة الأخيرة من حياته من ارسال أحد الأطباء لينظم الى الكادر الطبي الخاص برئاسة الجمهورية، لينفذ نفس المهمة السابقة، إلا إنه اكتشف خلال فترة إعداده لتنفيذ المهمة وتم اعدامه، وهربت عائلـــته الى دولة مجاورة للعراق، ولم يعترف على السيد الشهيد، ولا على الرابط بينهما رغم التعذيب الشديد، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه .

٥ ــ كــان الســيد الشهيد رضوان الله عليه على اطلاع كامل بمحاولة عدنان حسين عضو مجلس قيادة الثورة للإطاحة بنظام صدام التكريتي . ولم أكــن مطــلعاً على هذه القضية إلا بعد أن كشفها رحمه الله في فترة الحجز، وبعد أن أحس إن وقت استشهاده قد اقترب، وقصة ذلك كما يلي :ــ

كــان السيد الشهيد رحمه الله يتصل بمنزلي هاتفياً في بعض الأيام، بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر، ويطلب حضوري لقياس ضغط الدم، وكنت قد تعلمت ذلك من بعض الأطباء، فأحضر ثم أقيس الضغط فيأمرني في البقاء في بيته، ويقول لي: اذا جاء من يطلب مقابلتي فاخبرني .

وبعــد بــرهة من الزمن يأتي رجل لا أجد فيه ما يدل على تدينه، فهو حــليق الــلحية، متختم بالذهب، يطلب لقاء السيد الشهيد، فكنت وحسب أمر السيد ابرز له الإستعداد والترحيب، فإذا إجتمع به يطلب مني رحمه الله أن لا أســمح لأحــد بالصــعود الى غرفة المكتبة، وأن لا أترك البيت حتى ينتهي الإجتماع، ولم يكن السر في هذا الأمر مفهوماً لي .

وفــي فــترة الحجــز حينما سمعنا بفشل محاولة عدنان حسين للإطاحة بصــدام، رأيت السيد الشهيد رحمه الله يتأسف، فأردت أن أقول له: إن الأمر لا يعنينا، بل هو في مصلحتنا ونفعنا فقلت « نارهم تاكل حطبهم » فنظر الي نظرة طويلة، ولم يجب بشــيء .

وفــي الأيام الأخيرة من الحجز عندما أحس بقرب أجله قال لي: أتذكر ذلك الشخص في تلك الأوصاف ؟

قلت : نعم .

قــال : له قصة أخبرك بها لتكون ضمن ما سوف تكتبه عني . إن هذا الشــخص مبعوثاً من قبل عدنان حسين لمهمة خاصة، فقد أخبرني بأنه ينوي

الإطاحـــة بصدام حسين، وطلب منّي أن أعطيه وعداً بتأييد الثورة مشروطاً بشروط أن أضعها، وكان منفتحاً ومتجاوباً الى أقصى الحدود .

قـــال: شـــككت في باديء الأمر بذلك، وتصورت إن هذه المحاولة من محاولات السلطة للحصول على مستمسك ضدي، ولكنه قدم لي من الأدلة ما بـــدد تلك الشكوك، فقلت له: إن موقفي بالتأييد حسب الشروط ــ وكان السيد الشـــهيد قد بين لي تلك الشروط ــ يتوقف على مدى إلتزام عدنان حسين بها بعد أن يستلم الحكم، أما قبل ذلك فلا أقف موقفاً معارضاً أو سلبياً حتى تتبيّن الأمور .

وقد قال لي « رضوان الله عليه »: كان هدفي الأساسي هو اسقاط نظام صـــدام التكريـــتي؛ لأن صداماً هو الرجل الذي يشكل خطورة حقيقية على الإســـلام في العراق، كما إن عدنان حسين لا يكون أسوأ من صدام التكريتي على أسوأ التقدير في حال استلامه للحكم .

ومـــما يجـــب أن أشـــير اليـــه هنا ان السيد الشهيد رحمه الله كان يعمد لمواجهـــة مكشوفة مع النظام متى ما توفرت الإمكانات، أو إقتضت مصلحة الإســـلام ذلك، وكانت فكرة التفسير الموضوعي داخلة في هذا النطاق؛ وذلك لأنه رحمه الله كان يعتقد ان المرجعية تفتقد الكثير من وسائل وأساليب الصلة بالأمـــة، ولا توجد للناس صلة بالمرجع إلا من خلال قنوات ضعيفة كصلاة الجماعـــة، أو الجلسة العامة اليومية، وهي قنوات غير فعالة ولا مؤثرة ولا يستطيع المرجع من خلالها يبين مواقفه للأمة، ومن هنا وجد « رضوان الله عـــليه » ان فكـــرة التفسير الموضوعي للقرآن تحقق هدفين في وقت واحد، الأول: كتابة تفسير موضوعي للقرآن على طراز جديد وفريد، والثاني: إيجاد منبر للمرجع يتمكن من خلاله بيان وجهات نظره للأمة كلما دعت الحاجة .

وعـــلى هـــذا الأســـاس كان الحضور مفتوحاً لكل الطلبة الذين يمكنهم استيعاب المادة التفسيرية من دون التقيد بكونه بمستوى بحث الخارج .

وكـــان تصميمه على فسح المجال لحضور كل ابناء الأمة على إختلاف مســـتوياتهم في مرحلة لاحقة، وبعد أن يصبح مجلس التفسير واقعاً لا تتمكن السلطة من منعه .

ولأهمية هذا المجلس اقتطع رحمه الله وقتاً له من بحث خارج الفقه، وهو أمر يدل على مدى إهتمامه بهذه الفكرة، كما شجع «رضوان الله عليه» على فكرة تسجيل البحث وتوزيعه من خلال اشرطة الكاسيت؛ ليتاح لمن لا يستطيع حضور الدرس للإطلاع على الأفكار والآراء التي تمثل موقف المرجع من مختلف القضايا في المستقبـــل .

هـــذه بعـــض القضـــايا الـــتي وقعت في إطار الإعداد لمواجهة النظام وإسقاطه، ذكرتها على نحو الإختصار[1].

٣ ــ تأييد الثورة الإسلامية في إيران: ــ

حدثت الثورة الإسلامية في ايران في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من الإستعمار العالمي والصهيونية والصليبية الدولية . وحدثت في دولة ايران ــ حيث الموقع الجغرافي الكبير والثروات وإلامكانيات البترولية والمادية والطاقة البشرية وبجوارها يقع القطر العراقي .... والقطر الذي كان الاستعمار يحسب له حساباً بعيداً بعدما تفجرت فيه ثورة عام ١٩٢٠ م، وعرفت ان هذا القطر يحمل من الاشعاع ومن القوة ما يقيض وجوده ويطرده من المنطقة، ولذلك جاء بحزب البعث لتحقيق هذا الغرض .

ولكـــن حدثت ثورة اسلامية في قطر مجاور وفي شعب كثير الاحتكاك بالشعب العراقي، فلقد تعايش الشعبان منذ امد طويل وتحابا وعرف كل منهما طبيعة الآخر، اضف إلى ذلك ان ما كان يخشاه الغرب وإلاستعمار قد حدث

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة وأيام الحصار ــ ص ١٩٣.

على يد الشخصيات التي كانت عنصر مقلق لراحتهم ووجودهم ..... وهكذا رشـــح العـــراق ليكون البلد القادم بعد ايران لأن يتأثر بالثورة الإسلامية لا سباب كثيرة اهمها اثنان هما: ــ

أولاً: ــ وجود الحركة الفكرية الإسلامية التنظيمية .

ثانياً: ــ وجود نفس القيادة التي اشعلت الثورة الإسلامية في ايران، وقد ادرك الغرب هذه النقطة بصورة جلية وواضحة، وحاول ان يبعد ذلك عن اذهان الأمة الإسلامية والمجتمع العراقي، وبذا بدأت الصحف المأجورة والمجلات ووسائل الاعلام الأخرى تؤكد على ابراز نقاط التناقض بين المجتمعين العراقي والإيراني لتعميقها ..... وبدأت بالضرب على وتر الاقليمية، وفي ذات الوقت فان الاساليب الاخرى أساليب مطلوبة في هذا الظرف الحساس، ولقد كانت اكبر مشكلة أو عقبة تواجه الغرب هي وجود القيادة الإسلامية المرشحة في المجتمع العراقي، الأمام السيد الصدر، وبذا توجه إلى المنطقة وجعلها من أولى مهماته وقرر ان يجهض تلك القيادة لئلا يخسر العراق وبذلك تكون المشكلة اكبر في حسابه ..... فالإمام السيد الصدر يتمتع بمؤهلات فذة تجعله نادرة عصره .

وقـــد كـــان المؤمل ان يكون لهذا الرجل ثقل كبير وعميق في بناء الكيـــان الإســـلامي عمومـــاً، ان كان في ذلك أو غيره من الاقطار التي من المؤمل ان تنشأ الدولة الإسلامية الكبيرة فيها .

فهو يملك كل ما تحتاجه الأمة من عناصر النهوض ... وعلى الحضارة الغـــربية لـــو ارادت الاستمرار في وجودها وتبقى يدها هي العليا عليها ان تتدبر امر هذه الشخصية وبكل جرأة ..... وسرعة، فهي تعيش حالات من الاسى والألم لما فاتها في الماضي من السماح لبعض الشخصيات في العيش واستطاعتها ان تبني كيانها ودولتها، فقد وجه كارتر اللوم لوكالة المخابرات الأمريكية لعدم قتلها الامام الخميني حينما كان في منفاه في العراق وبالتعاون

مـــع حكومـــة صـــدام مع العلم ان البعض يقولون ويعتقدون ان الفرقة التي اغتالت السيد مصطفى نجل الإمام الخميني كانت تقصد الإمام في هذه العملية لأن الوســيلة التي استخدمتها كانت دقيقة جداً ومكلفة وفرصتها كانت انذاك هيــنة .... وذلك حينما طلب وزير الداخلية العراقي ومدير الأمن العام من الامـــام الخميني انذاك ان يسمح لوفد من ايران بزيارته وقد استجاب الامام لطلـــبه ولكنه انشغل في ذلك اليوم فاستقبله نجله السيد مصطفى الوفد، وبعد مضـــي ٢٤ ســـاعة استشهد السيد السيد مصطفى ولم يستطع احد ان يكشف الســـبب، ويقال؛ ان هناك نوعاً من السم ممكن ان يسري خلال الجلد في مدة ٢٤ ساعة وهذا حسب ما تشير اليه الرواية ...

اذن الـــدرس كان قاس جداً للغرب وهم يرون ان الإمام الخميني قد شيد دولـــة وركـــز اركانها، وعليه ان لا يغفل ثانية عن هكذا شخصيات .... لذا وجهت الانظار إلى الامام الصدر باعتباره الزعيم المرشح الكبير لقيادة الأمة الإسلامية لما تجتمع به امكانية ثرّة وضخمة ..... وهنا وفي هذه الفترة كانت عيـــون الســـلطة تـــراقب تحركات السيد الصدر بدرجة عالية من الحذر فقد وضـــعوا في مجلسه رجل مخابرات، وبيده ورقة وقلم وهو يسجل كل من يدخـــل بيـــته أو يتكلم معه أو يتحاور، وهذا الرجل يبكر صباحاً فيجلس في عتبة داره لحين السماح للزائرين بالدخول ثم انه يكون آخر من يغادر الدار حينما تنغلق .... وكأن العملية عملية محاربة نفسية واستهانة واستهتار ..... فكـــل اجهزة المخابرات في العالم ان ارادت ان تراقب الداخلين فانها تراقب بحـــذر ولا تدع الشخص المراقب يشعر بان هناك من يتتبعه أو يرصد عليه تحركاته وسكناته لأن عملية المراقبة تنتفي لو شعر الفرد بانه مراقب من قبل شـــخص يتتـــبع خطواته ..... واجهزة المخابرات عموماً تحاول ان تراقب الانسان وهو في تصرفاته الطبيعية لكي تنكشف ماخفي عليها

امـــا المخابرات العراقية البعثية فانها تقول للشخص: نحن الآن نراقبك ونسجل كل تحركاتك وسكناتك وان كانت لديك قوة فاعمل ماشئت .... وهذا امـــتهان صـــارخ لكرامة الانسان، وكأن العملية هي عملية محاربة وليست عمـــلية دراســـة شخصية أو معرفة اعداء أو غيرها، وليس ذلك فقط بل ان المخابـــرات العـــراقية كلفت الشخص أو الأشخاص الذين يراقبون السيد في مجلســـه أن يلبســـوا ملابـــس رجـــال الدين « العمامة » ايغالاً في التحدي والإستهتار ..... وإلأبعد من ذلك إن الزقاق الذي يقع فيه بيت السيد والذي لا يتجاوز عرضه ثلاثة امتار هو الآخر مراقب من نهايته وفي معظم الاحيان يعتقل الشباب الذين يدخلون بيت السيد الشهيد عند خروجهم .

رغـــم هـــذا كله ابدى السيد الشهيد الصدر تفاعله وفرحه وسروره لهذا الحـــادث العظيـــم الـــذي طالمـــا حلم بتحقيقه المؤمنون، فلقد كانت الثورة الإسلامية والتي قيض لها النجاح الحدث الذي اثلج صدوركل المؤمنين، وكل الشعوب المستضعفة، فكيف بالسيد الشهيد الذي كان ترتسم امام ناظريه قيادة الأمـــة فـــي العراق نحو تحقيق حلم الأنبياء في تطبيق حكم الله في الأرض، وابـــتهاجاً بهـــذا الحدث الإلهي السعيد، عطل الشهيد الصدر درسه في بحث الأصول في مسجد الجواهري مساء يوم الانتصار وقال .

« وصلني عصراً خبر سقوط آخر قلعة من قلاع الطاغوت، وقد حقق الله تعالى بذلك آمال الأنبياء والصلحاء على يدي هذا الرجل السيد الخميني حفظه الله تعالى، وقد تمكن الشعب باليد الخالية أن يجابه قوة استعمارية كبيرة بما لم نره في التاريخ إلا ما نقرأه ونسمعه عن المسلمين في الصدر الأول من الإسلام ببدر وأحد وبهذه المناسبة سوف نعطل هذه الليلة الدرس ولمدة ثلاث ليال أخرى » .

وكذلك عطل السيد الشهيد درس الفقه صباحاً [١].

وعلى ضوء ما لدينا من أرقام نستطيع أن نؤكد إن موقف السيد الشهيد هذا لم يبدأ من حادث انتصار الثورة الإسلامية في إيران، بل هو موقف مبدئي ثابت ، يمتد بجذوره إلى سنوات عديدة قبل الإنتصار، حيث لم تكن تلوح في الأفق بوادر الثورة بعد . وكان السيد الشهيد يرى إن الإمام السيد الخميني رحمه الله يمثل نموذجاً فريداً من بين المراجع، في حسه الثوري وإدراكه لمتطلبات العصر، وحاجات الأمة الإسلامية .

وهنا نستطيع أن نقسم مواقف السيد الشهيد في هذا المجال إلى قسمين: « الأول » ما كان قبل انتصار الثورة و« الثاني » ما كان بعد الإنتصار .

أما مواقفه قبل الإنتصار فأهمها: ــ

١ ــ حثه لعدد كبير من طلابه والمقربين منه على حضور أبحاث السيد الإمام رحمه الله الأصولية والفقهية رغم ان البعض منهم كان لا يفهم اللغة الفارسية، وكان ذلك من باب الدعم والتأييد لمرجعية السيد الامام رحمه الله بعد ان شخص الامام السيد الخميني بانه يمثل قمة الوعي ومن تعقد عليه آمال الإسلام، لأنه « قدس الله روحه » كان في طليعة المراجع الذين دعوا بصراحة إلى اقامة حكومة إسلامية من خلال كتابه « الحكومة الإسلامية » الذي طبع في العراق، وكانت هذه الظاهرة وهذه الدعوة خرقاً للمتبنيات المألوفة التي لا تقوم على أساس شرعي مسلم، والتي كانت تقول: انه لا يمكن ان تقوم حكومة إسلامية قبل ظهور المهدي «سلام الله عليه».

---

١ ــ صفحات سوداء من بعث العراق ــ عبد الحميد العباسي ــ مطبعة التراث العربي لندن ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ ــ الجزء ٢ ص ١٥ ط.

لقد وجد الشهيد الصدر في الامام الخميني رحمه الله الامل المشرق والضياء الوهاج الذي سيملأ الأفق نوراً، فما هي حجة أولئك الذين يدعون إلى عزل الإسلام عن الحياة متذرعين بفهمهم الخاطيء للنصوص، واستنباطاتهم الساذجة، ممتطين التقية لحجز الإسلام عن أوطانه ؟ ما هي حجتهم وقد أعلن مرجع عظيم من مراجع المسلمين، وعابد من خيرة عبادهم وزهادهم؛ أن الإسلام يجب أن يحكم الحياة بكل جوانبها السياسية والإقتصادية، ويدعو إلى ذلك بكل صراحة في أبحاثه العلمية في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف، ثم يقوم بطبع ذلك على شكل كتيب ويوزع على أوسع نطـــاق ؟!

إن هذه الخطوة من اعظم خطى الإمام الراحل « رضوان الله عليه » يجب أن تقدر وتشكر وقد فعل ذلك السيد الشهيد الصدر، وكان ذلك الوقت لا يملك اكثر من ان يدعو طلابه لحضور ابحاث الامام كصورة من صور الدعم والتاييد لمرجعيته .

٢ ــ ومن صور الدعم أيضاً ذهاب السيد الشهيد إلى بيت السيد الإمام لزيارته وتوديعه بعد ان علم ان الإمام قرر مغادرة العراق ورغم ان هذا التوديع لم يتم، حيث كان الامام قد غادر النجف في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم إلى الكويت فان السيد الشهيد رحمه الله قد دخل المنزل وجلس مع بعض من كان فيه من المرتبطين بالسيد الامام مظهرا لهم التأييد والمساندة، رغم تطويق قوات الامن للمنزل ومراقبة من يتردد عليه، وهذا الموقف اعتبرته السلطة من المواقف التي إدانت بها السيد الشهيد «رضوان الله عليه» في الاعتقال الذي تعرض له في انتفاضة رجب وكان قد عطل ابحاثه في ذلك اليوم وقال:ــ

« ان رحيل السيد الخميني من النجف خسارة كبيرة»

٣ ــ والموقف الثالث له قبل انتصار الثورة الإسلامية؛ تمثل بالرسالة التاريخية الرائعة التي بعثها للسيد الامام « رضوان الله عليه » وهو في باريس، والتي اشاد فيها بجهاد الشعب الايراني وتضحياته، ووقوفه خلف قيادته الرشيدة، وهذه الرسالة تعتبر من اروع الرسائل فيما تحمل من افكار ومعاني ومقترحات، وعواطف، ومشاعر * وكانت هناك صوراً اخرى من التعاون بين السيد الشهيد والسيد الامام رحمهما الله قبل انتصار الثورة الإسلامية في ايران، تتم عن طريق الامام السيد موسى الصدر والسيد احمد الخميني رحمهما الله ،وغيرهما من الشخصيات الكبيرة التي كانت تعمل مع الامام الراحل في جهاده لإقامة الحكومة الإسلامية في إيــران .

وقد نلاحظ ذلك الاهتمام من خلال هذا المقطع المرير مع الشاه المقبور، ولأجل ان نعرف اهمية ما كتبه « رضوان الله عليه » يجب ان نشير إلى أجواء تلك الفترة وما عانى فيها الامام الراحل رحمه الله من جفاء من قبل بعض المرجعيات وأطراف كثيرة في الحوزة، فقد كان البعض يوجه إليه ألواناً من التهم والإفتراءات الباطلة، وكانت ايضاً قوات الشاه المستترة تؤيد تلك الحملات الظالمة بكل ما تملك من طاقات وإمكانات، فكانت تبدو مرجعية السيد الإمام«رحمه الله » ــ وهي في النجف ــ غريبة ومعزولة عن الامة .

فــي مثل هذه الأجواء القاتمة كانت رؤية السيد الشهيد ؛ للامام الراحل تختــلف عن الآخرين، فهو يراه القائد الذي قطع لسان الشاه العميل لأمريكا، وأن ألامام «رحمه الله» كما هو عدو للشرق الشيوعي كذلك هو عدو للغرب الرأسمالي . يقول في تلك الرسالة التي كتبها في عام (١٩٦٣م) ما يلي:

---

* الرسائل المشار اليها يمكن الاطلاع عليها مفصلة في كتاب الشهيد الصدر سنوات المحنة ــ النعماني، ص ٤١٩ ومابعدها.

وأما بالنسبة إلى ايران فلا يزال الوضع كما كان، وآقاي خميني مبعد في تركيا من قبل عملاء أمريكا في ايران، وقد أستطاع آقاي خميني في هذه المرة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر؛ لأن خوض المعركة ضد إعطاء إمتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخر ..»

هذه بعض مواقف السيد الشهيد « رضوان الله عليه » من الإمام الراحل «قدس سره» قبل أنتصار الثورة الإسلامية في إيـــران .

أمـــا مواقفه «رحمه الله» من الثورة الإسلامية بعد أن انتصرت وتحققت فهي كثيرة، أذكر منها :

١ ــ قام «رضوان الله عليه» بعد أن بلغه نبأ انتصارها بإعلان التعطيل لدروســـه أبـــتهاجاً وفرحاً بذلك الحدث التاريخي العظيم، وتحدث في البحث الذي اعلن فيه التعطيل عن ضرورة دعمها واسنادها ووجوب الوقوف معها في السراء والضراء .

وهذا الموقف هو الوحيد الذي وقفه مرجع كبير من مراجع النجف، بهذه الصراحة في تلك الفترة الحرجة والقاسية في ظل حزب البعث الحاكم .

٢ ــ وأراد « رضوان الله تعالى عليه » ان يحرك الساحة باتجاه ايجاد تاييد شعبي عام وشامل، فدعا بعض انصاره إلى تنظيم مظاهرة شعبية لتأييد الـــثورة الإســـلامية فـــي ايران، وإظهار الإبتهاج بانتصارها، فهرع الشباب المؤمـــن فخرجوا بتظاهرة من جامع الخضراء بعد صلاة المغرب والعشاء، ورفع المتظاهرون فيها صور السيد الشهيد والسيد الامام «رضي الله عنهما» وهي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل ذلك في العراق.

٣ ــ وكـــتب «رضوان الله عليه» رسالة إلى طلابه الذين هاجروا إلى الجمهوريـــة الإســـلامية في ايران، دعاهم فيها إلى بذل الطاقات وإلامكانات لخدمـــة الثورة، واكد لهم فيها ضرورة الالتفاف حول مرجعية السيد الخميني

رحمــه الله والعمــل عــلى إسنادها ودعمها. وتعتبر هذه الرسالة من أروع مواقف الدعم والمساندة .

٤ ــ وفــي الفترة التي عمل فيها اعداء الثورة الإسلامية في ايران على اثــارة القلاقل والفتن وتحريض عرب ايران على الثورة والعصيان، وجه « رضوان الله عليه » رسالة إليهم دعاهم فيها إلى نبذ الفكر الجاهلى والقومي، وطلب منهم الالتفاف حول قيادة الامام الخميني .

٥ ــ ومــن أهم صور الدعم وإلاسناد للثورة الإسلامية في ايران كتابة حلقات « الإسلام يقود الحياة » وكان سبب تأليفه له « رحمه الله » رأى ان بعض القوى التي برزت على الساحة الإسلامية في ايران بعد انتصار الثورة كــانت تشكل خطراً كبيراً على الثورة فيما بعد بما قامت به حركة مجاهدي خــلق المنحرفة ــ فكان مهتماً بهذا الأمر وقال « رحمه الله » في تلك الفترة لأجــل تجاوز هذا الخطر يجب ان تطرح رسالة الامام « توضيح المسائل » كشعار يرفعه كل ايراني ويطالب بتطبيقها .

ومــن الطــبيعي ان هــذا العمل سيفرز القوى المنحرفة، ويعزلها عن الساحة، لأن المنافق لا يطالب بتطبيق رسالة « توضيح المسائل » التي تمثل احكام القرآن والشريعة الإسلامية المقدسة .

وقد بادر « رحمه الله » إلى كتابة سلسلة « الإسلام يقود الحياة » لإعطاء تصورات احكام عامة وبسيطة عن موقف الإسلام من مختلف القضايا الحياتية، والجوانب الاقتصادية وإلاجتماعية، ونظام الحكم وغير ذلك وقد بعث العدد الأول من سلسلة الإسلام يقود الحياة « لمحة فقهية » إلى احد تلامذته المخلصين وهو سماحة حجة الإسلامية والمسلمين السيد محمد الغروي « حفظه الله » اذ كان قد اخبره بانه عازم على الذهاب إلى ايران ضمن وفد المجلس الإسلامي الشيعي الاعلى في لبنان للتهنئة بمناسبة انتصار

الثورة فطلب منه السيد الشهيد طباعة هذا العدد وتقديم عدة نسخ منه إلى المسؤولين في ايران وقام سماحة السيد الغروي بتقديم نسخة منه إلى مكتب الإمام الراحل « رحمه الله » ونسخة إلى السيد الشهيد البهشتي وإلى عدد من المسؤولين في أجهزة الدولة العليا في ذلك الوقت .

وقد طلب السيد الشهيد ترجمة الكراسات إلى اللغة الفارسية ليتسنى للجميع معرفة تصورات عامة عن هذه الجوانب الحيوية من الإسلام .

وكان يقول: ان القادة الكرام في ايران مشغولون بالكثير من المشاكل والقضايا التي تتعلق بحفظ الامن واستتابه، وتركيز قواعد الثورة ومما لاشك فيه ان ملء الجوانب الفكرية لا يتيسر لهم في الوقت الحاضر، فكان الواجب ان نمد يد العون والمساندة لهم، ولو بهذا الجهد البسيط، وكان مصمماً على كتابة افكار حلقات « الإسلام يقود الحياة » بتفصيل واستيعاب اشمل لولا ان عاجلته يد الاجرام العفلقية، فحرمتنا من ذلك .

هذه بعض مواقف السيد الشهيد « رحمه الله » التي عبر فيها عن تأييده المطلق للثورة الإسلامية في ايران، ولقائدها الإمام « رحمه الله » في الوقت الذي كانت الظروف الامنية في العراق كلها ضد السيد الشهيد، وكانت السلطة تتربص به الدوائر، وتحصي عليه انفاسه .

وكانت النجف ــ بما تمثلة ــ تتغافل هذا الحدث العظيم، وتعيش في سبات عميق، وقد ابتعدت بنفسها عن كلمة أو موقف تجاه الثورة أو قائدها، لولا مواقف السيد الشهيد « رضوان الله عليه » لكانت النجف من دون موقف، ولكانت صفحتها في التاريخ سوداء قاتمة لا يسترها شيء، وهي التي كانت تعرف على امتداد التاريخ بمواقفها المشرفة الناصعة [1] .

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ص ٢٥٤.

لقد ذهب السيد الشهيد بأبعد ما يكون في تاييد الثورة الإسلامية حتى انه ومباشرة بعد انتصار الثورة وعودة الامام الخميني إلى إيران ارسل السيد الشهيد الصدر احد أخلص معاونيه، وهو السيد محمود الهاشمي كممثل شخصي له للاتصال بقيادة الثــورة [1].

١ ــ الحياة السياسية للإمام الصدر ــ ملا أصغر ــ ص ٤٩٣ نقلاً عن مباحث الاصول للسيد كاظم الحائري ص ١٤٤، وكذا النعماني في الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ٢٦٤ ظ.

القيادة الإسلامية في ايران والشهيد الصدر: ــ

ذلك المقطع من الحياة السياسية للسيد الشهيد يحتاج الى تأمل دقيق .. فقد وجه السيد الإمام الخميني «رحمه الله» الى السيد الشهيد »قدس سره» برقية بثـتها وسـائل الإعلام في الجمهورية الإسلامية، ومنها اذاعة طهران القسم العربي، جاء فيـها :ــ

بسمه تعالى

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد محمد باقر الصدر .. دامت بركاته ..

علمنا ان سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث .

أنـني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر .

آمل إنشاء الله ازالة قلق سماحتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقـد كانت هذه البرقية مثار تعجب واستغراب السيد الشهيد فهو لم يكن يفكـر بذلـك الأمر قطعاً بل إنه صمم على الشهادة، كما استشهد المئات من أبنائه بل الآلاف .

يقول الشيخ النعماني:ــ

« وكان في وقتها قد طلب منّي تكرار سماع البرقية المسجلة عليه (أي على شريط كاسيت)، فكان يستمع اليها بدقة، ثم طلب السيد الشهيد «رحمه الله» ان نتصل بسماحة السيد الهاشمي ونستفسر منه عن هذا الأمر، وعن مقصود السيد الامام الحقيقي من ذلك، حيث ان السيد الشهيد لم يكن عازماً في الواقع على مغادرة العراق، بل لم يكن يفكر بذلك مطلقاً فهل هناك شيء

فرض ان تكون صياغة البرقية بهذا الشكل والسيد الشهيد لا يعلم ؟! وكان هذا الاحتمال اقوى المحتملات التي تتعلق بهذا الموضوع .

لقد أجرينا عدة اتصالات هاتفية كان السيد الشهيد « رحمه الله » حاضراً بعضها، أو لعل معظمها، وإن لم يكن هو المتحدث، نستفسر عن حقيقة البرقية والهدف منها .

ولكن للاسف لم تثمر تلك الاتصالات عن شيء، ولم يتحقق السيد الشهيد من هذه القضية، ولم يعرف الاسباب والدوافع حتى اليوم الذي استشهد فيه [١].

وعلى اية حال فقد اعتبرت هذه البرقية أحد أدلة الإدانة التي سجلها البعثيون ضد السيد الشهيد « رحمه الله »، ثم انه قد اجاب على تلك البرقية، ببرقية جوابية أوضح فيها عن تأييده والشعب العراقي للثورة الإسلامية، وفرحه بذلك الانتصار الذي حققه الشعب الايراني المسلم :ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة اية الله العظمى المجاهد السيد روح الله الخميني « دام ظله ».

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت ابوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الاشرف، الذي لايزال منذ فراقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة وإني استمد من توجيهكم الشريف نفحة روحية، كما اشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الاشرف.

وأود ان اعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز، الذي وجد في نور الإسلام الذي اشرق من جديد على يدكم ضوءاً هادياً للعالم كله، وطاقة روحية لضرب المستعمر

---

١ ــ السيد الشهيد سنوات المحنة ــ النعماني ص ٢٦٦.

الكافـــر، والمســـتعمر الأمـــريكي خاصـــة ولـــتحرير العالم من كل اشكاله الاجرامية، وفي مقدمتها جريمة إغتصاب أرضنا المقدسة فلسطين .

ونسأل المولى « سبحانه وتعالى » ان يمتعنا بدوام وجودكم الغالي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخامس من رجب ١٣٩٩ هـــ

النجف الاشرف محمد باقر الصدر" (١)

إن الموقـــف المؤيـــد والمساند للثورة الإسلامية الذي اتخذه السيد الشهيد «قـــدس سره» قد أغاض الاستكبار العالمي كثيراً، فأوعز إلى صنيعته صدام بأن يجتث الثورة القادمة في العراق من جذورها من خلال قتل السيد الشهيد الصدر، وقد كان يمثل ظاهرة خطرة جداً بالنسبة لهم، وقد بدى ذلك واضحاً من خلال كل الاعتقالات والمضايقات والتحقيقات التي تعرض لها فيما بعد، فكـــان أول طلـــبات البعثيين التي عرضت عليه ان يتخلى عن تأييده للثورة الإسلامية فكان موقفه الرفض والثبات، ذلك الذي ادى به إلى ان يدفع الثمن غالياً لينال وسام الشهادة الخالد .

٤ ــ تحريك الامة نحو المواجهة:ــ

من الاساليب التي إتبعها الشهيد الصدر في مواجهته مع الحزب العفلقي هي توعية الجماهير ووضعها امام مسؤلياتها الشرعية بالوقوف بوجه الظالم وكسر شوكته، فكان له في كل تحرك جماهيري ثائر يد طولى .

وان المواجهات حدثت بين الامة والسلطة الغاشمة كانت تتمثل بمصادمات ومواجهات واحداث ومظاهرات وانتفاضات كثيرة جداً، وكان يخرج فيها الشعب الأعزل بصدور عارية إلا من الايمان وبقلوب لا تعرف

١ ــ المصدر السابق ص ٢٦٥.

للخوف موقعاً لتواجه رصاص البعثيين المجرمين، ولكن الاحداث الاكثر دموية هي ماكان للسيد الشهيد الصدر يد فيها، فانتفاضة صفر، وانتفاضة رجب، « وفود البيعة »، بل وحتى الانتفاضة الشعبانية كان السيد الشهيد حاضراً فيها بروحه وفكره ودمه الذي لا يزال يفور ليحرق وجوه الظالمين.

ولمـــا كان الحديث يتناول الاحداث التي رافقت مسيرة السيد الشهيد اثناء حياته سنتحدث عن انتفاضة صفر وانتفاضة رجب ووفود البيعة .

١ ــ انتفاضة صفر عام ١٣٩٧ هـــ

في الواقع ان هذه الانتفاضة لم تكن وليدة ساعتها بل سبقتها احداث وانتفاضات كثيرة، ففي السابع من محرم عام ١٣٩٠هـــ، والتي كانت ليلة مشهودة عندما ضيق النظام الخناق على الامة في ممارسة شعائرها الدينية وفرض رقابة مشددة على الهيئات والمواكب الإسلامية .. فانتفضت الجماهير .. واقتحم المتظاهرون عملاء السلطة وجلاوزتهم الذين كانوا جالسين في احدى غرف الصحن الحيدري الشريف وقذفوهم بأعواد الخشب وإلاحذية وغيرها . وكان من بين الجالسين قائمقام النجف العميل عبدالرزاق الحبوبي والمجرم عبدالحسين الرفيعي أحد مسؤولي حزب البعث .. واتجهت الجماهير صوب ساحة الامام علي « ع » وحطموا جهاز التلفون الذي كان العملاء يتصلون بواسطته بموقع النجف العسكرى الذي ارسل رتلاً من الجنود المدججين بالاسلحة التي وجهوا نيرانها إلى صدور الثوار، وواصلت الجماهير زحفها باتجاه القائمقامية واقتحموا المبنى .. واستمرت المواجهة إلى ما بعد منتصف الليل وسقط رجل شهيداً وجرح آخـــرون ..

وكذا خرجت جماهير النجف الاشرف بموكب ليلة العاشر من محرم الحرام « ١٣٩٥ ــ ١٩٧٥ » حمل المشتركون فيه السلاح الابيض .. وشاء القدر ان ينجومنها المجرم الجزّارمسلم هادي الجبوري الذي كن قائمقام

النجف وقتها من القتل .. ثم حادثة أخرى نجا منها عبدالرزاق الحبوبي الذي عين محافظاً لكربلاء.. بمناسبة زيارة الاربعين مشياً على الاقدام.. وردد المتظاهرون شعارات مناوئة للنظام..

وفي عام ١٣٩٦ هـ كشّرت السلطة المتوحشة عن انيابها القبيحة عندما اقدمت على منع الناس من زيارة الحسين « ع » مشياً على الاقدام كعادتها الجارية في كل عام بمناسبة الاربعين.. ورغم ذلك انطلقت مسيرة في اليوم الخامس عشر من صفر وفي تمام الساعة الواحدة بعد الظهر متحدية بذلك السلطـــة.

وفي عام ١٣٩٧.. ليلة العاشر من محرم خرجت مجموعة فدائيين للامام الحسين « ع » وشهر افراد المجموعة السلاح الابيض متحدين السلطة..

أما الإنتفاضة الكبرى فقد حدثت بمناسبة احياء ذكرى أربعين سيد الشهداء الامام الحسين «ع» عام ١٣٩٧ هـ والتي انطلقت شرارتها من مدينة الامام علي «ع» هذه الانتفاضة التي احدثت انهياراً كبيراً في كيان النظام العشائري واعطته الضوء الاحمر للكف عن جرائمه وبطشه وجعلته يتخبط في سيره الأعمى، حتى إشتد التناحر داخل قيادته الكافرة والذي أسفر عن طرد عضوين بارزين فيها هما : ـــ

«عزة مصطفى ، وفليح حسن الجاسم».

وكان لهذه الانتفاضة الاثر الكبير في توعية الجماهير وتعبأتها اكثر ضد النظام رغم القسوة المتناهية التي عامل بها النظام المتظاهرين « الثائرين » حيث سقطت مجموعة من الشهداء في نفس الوقت حين تصدى البعثيون لهم بالسلاح ... أو الذين اعدموا بعد ذلك حيث تم تشخيصهم من قبل سلطات البعث الغاشمة .

فكـــان يوم السابع عشر من شهر صفر في العام ١٣٩٧ ــ عام ١٩٩٧ قاس وطويل توّجه المجاهدون بغار الانتصار لدينهم الحنيف [١] .

ما هو دور السيد الشهيد الصدر في هذه الانتفاضة : ــ

لقــد زج البعــثيون بالمئات من الذين شاركوا في المسيرة وفي احداث الانتفاضة، ومن بينهم الاطفال والنساء وكبار السن، وقد تم نقلهم إلى بغداد، وفـــي سجن رقم «١» تم اخضاعهم للتحقيق باساليبهم الوحشية في التعذيب، وكـــان يشـــرف على التعذيب « صدام » وعزة الدوري [٢]. وقد حكم على الكثير منهم بالاعدام فيما بعد .

وفـــي محاولة يائسة حاول الجّلادون، وبطريقة ماكرة التوصل إلى معرفة هل هناك وجود لتنظيم اسلامي أو عناصر تنظيمية اسلامية وراء هذه الانتفاضـــة، وذلـــك عندما كانوا ينادون في قاعات وغرف سجن رقم «١» باســـماء : الامام الشهيد الصدر والخمسة « قبضة الهدى رضوان الله عليهم اجمعين » ، لعل احد المعتقلين ينبس ببنت شفه حتى يجر إلى غرف التعذيب للحصول على معلومات مهمة، ولكن كانت المحاولة فاشلة تماماً [٣].

---

١ ــ انتفاضة صفر الإسلامية ــ رعد الموسوي ص ٥٢ وما بعدها « بتصرف » مطبعة أمير المؤمنين ــ قم ــ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ

٢ ــ نفس المصدر ص ١٥٠.

٣ ــ نفس المصدر .

يقول النعماني: ــ

كان السيد الشهيد «رضوان الله عليه» يتابع الأحداث بدقة، وكان في غاية السرور وإلارتياح وهو يتلقى أنباء تحدي انصار الحسين «عليه السلام» لسلطة اعداء الحسين وصمود ابناء الشعب امام دبّاباتهم وطائراتهم، وانضمام اعداد كبيرة من قطعات الجيش العراقي وعدد من اعضاء حزب البعث إلى صفوف الثوار وكان يعتبر تلك الاحداث مؤشرات حقيقية على بزوغ صحوة الشعب الإسلامية، وادراكه لحقيقة النظام الحاكم الذي ظلله فترة طويلة وكان يقول: ــ

« ان هذه المواكب شوكة في عيون حكام الجور، ان هذه المواكب وهذه الشعارات هي التي زرعت في قلوب الاجيال حب الحسين « عليه السلام » وحــب الإسلام. فلا بد من بذل كل الجهود للإبقاء عليها رغم حاجة بعضها إلى التعديل والتهذيب » .

وكان « رضوان الله عليه » قد امرني ــ المتحدث الشيخ النعماني ــ بتقديم الاموال لكافة المواكب التي كانت بحاجة إلى مساعدة ودعم، بل وبعث بالكثير من الاموال إلى المواكب الأخرى التي لم تعد طلب المساعدات والتبرعات وعلى كل حال، كانت انتفاضة تاريخية اقضت مضجع السلطة وارعبتها، وحطمت كبرياءها، خاصة بعد فشل التدخل العسكري، وانهيار قوات الامن في منعها .

وحاولت السلطة ان تحافظ على الخط الادنى من كرامتها وذلك بكف الثوار عن ترديد الشعارات المعادية للبكر وصدام، وان يدخلوا إلى كربلاء بشعارات حسينية فقط، وهي بالطبع عاجزة عن ذلك رغم امكاناتها الكبيرة، فلجأت إلى العلماء، وطلبت منهم التدخل لحل الازمة المتفاقمة باقناع الثوار بالاقتصار على ترديد الشعارات الحسينية فقــط .

اما بالنسبة للسيد الشهيد، فقد جاء اليه محافظ النجف جاسم الركابي، وطلب منه التدخل بارسال وفد يطلب من الثوار ان لا يرددوا شعارات معادية للسلطة، ويبلغهم بتراجع السلطة عن قرار منع المسيرة الحسينية، ويطلب منهم الهدوء، وإلاكتفاء بترديد الشعارات الحسينية فقط، وانه لن يتعرض احد منهم للإعتقال فيما بعد فقال السيد الشهيد : « *من يضمن سلامة الوفد الذي ابعثه إليهم* ؟ » .

فقال الركابي: انا أضمن سلامة الوفد، ولو حدث غير ذلك فسوف اقدم استقالتي، واحلق شاربي، ان هذا تعهد مني ومن وزير الداخلية عزة الدوري .

لم يكن السيد الشهيد « رضوان الله علية » يثق بوعود السلطة ابداً إلا انه لاحظ ان المسيرة قد حققت اهدافها، وان السلطة سوف تتخذ اقسى الاجراءات ضد الثوار ريثما تنتهي مناسبة زيارة الاربعين، فكان من الطبيعي ان تتجة الجهود إلى تخفيف رد فعل السلطة تجاه الثوار، والسعي لإنقاذ انفسهم وارواحهم، وإلاقتصار على قدر محدود من الضحايا، ومن المؤكد ان السلطة لن تجعل هذه القضية تمر دون ان تنتقم، فكان سعي السيد الشهيد نحو تضييق دائرة الانتقام إلى اقل عدد ممكن من الضحايا، وبالإضافة إلى ذلك كان السيد الشهيد محرجاً في حال امتناعه من إرسال وفد بعد ان استجاب سماحة آية الله العظمى السيد الخوئي « رحمه الله » لطلب السلطة في تهدئة الثوار وسوف يفسر موقف السيد الشهيد رحمه الله في حال عدم استجابته بأنه موقف مخالف ومعادي للسلطة ومؤيد للثوار .

وعلى كل حال فبعد ان طلب منه الركابي ذلك عقد « رضوان الله عليه اجتماعاً ضم كبار طلابه، منهم سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحكيم « حفظة الله » أتخذ فيه بعد استشارتهم في الأمر القرار بارسال

وفد يمثل السيد الشهيد برئاسة السيد محمد باقر الحكيم، وكان السيد الحكيم «حفظه الله» يرى عدم الإستجابة أفضل؛ لأن السلطة سوف لن تفي بتعهداتها «وكان رأي السيد الشهيد في الواقع كذلك» إلا إنه مع ذلك استجاب لرغبة السيد الشهيد رحمه الله وذهب إلى الثوار وتحدث معهم بما يجب، وكان دقيقاً وحكيماً في كل خطوة خطاها وتمكن خلال فترة قصيرة من تهدئة الثوار رغم الغضب والتوتر التي كانت تسودهم وتسيطر عليهم .

وكان المفروض ان يقدر هذا الموقف ويشكر من قبل رجال السلطة لأنه حقن الدماء بحكمة، وكان المفروض ــ على أقل تقدير ان لا يعتقل، ولكن الذي حدث ان محافظ النجف الذي كان قبل ساعات يستغيث بالسيد الشهيد قام هو بنفسه باعتقال السيد الحكيم وسلمه إلى قوات الامن .

لم يخضع السيد الحكيم لأي لون من التحقيق، ولم ير محكمة الثورة، وإنما ابلغ وهو في سجن المخابرات العامة بالحكم عليه بالسجن المؤبد ثم نقل إلى سجن ابي غريب .

ولم يقدم محافظ النجف استقالته، ولم يحلق شاربه ــ كما وعد من قبل ــ بل توجهت السلطة بغضب وحقد إلى الشهيد الصدر «رضوان الله عليه» لتنتقم منه باعتباره الرمز الحقيقي للنجف بما تحمل من تراث ديني وعلمي عريق .

ومن المؤكد ان السلطة لم تمتلك ما يثبت تورط السيد الشهيد بالأحداث، أو تحريكه للجماهير ضدها، ومع ذلك فقد صدر الأمر بإعتقاله وجلبه إلى بغداد .

على أي حال فالنظام كان يشك بضلوع السيد الصدر بالإنتفاضة التي رافقت الموكب، خصوصاً وإنها كانت منظمة تنظيماً جيداً مما أوحى للنظام بعلاقة الانتفاضة بحزب الدعوة المحظور، وفي الحقيقة وحسب كتابات حزب

الدعوة كانت خطة الانتفاضة قد رسمت بواسطة فروع الحزب في النجف وكربلاء .

كذلك تبين أن السيد محمد باقر الحكيم الذي أرسله النظام للتفاوض مع قادة الانتفاضة هو بحد ذاته ممثلاً شخصياً للسيد الصدر وأقرب المقربين اليه، ويعزي فشله في أقناع هؤلاء القادة في العدول عن قرارهم باستمرار الموكب، بحكم كونهم على علاقة بحزب الدعوة، ويتلقون أوامرهم من السيد الصدر، وهذا ما أثار شكوك النظام بان مؤامرة ما قد حيكت بواسطة السيد الصدر الأمر الذي ادى إلى اعتقاله بواسطة الامن واقتياده إلى بغداد للتحقيق معه، وقد اطلق سراحه بسرعة خوفاً من اثارة اضطرابات جديدة تطالب باطلاق سراحه، خصوصاً وانه في تلك المرحلة كان السيد الصدر قد اصبح مرجعاً دينياً شهيراً يشار اليه بالبنـــان [١] .

٢ ــ تظاهرات أبان انتصارات الثورة الإسلامية في ايران :

حين تناهت لمسامع السيد الشهيد انباء انتصار الثورة الإسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني « قدس سره » حتى غمره فرح فياض وابدى تفاعله الكبير مع هذا الحدث الكبير وأراد « رضوان الله عليه » ان يحرك الساحة باتجاه ايجاد تاييد شعبي عام وشامل، فدعا بعض انصاره إلى تنظيم مظاهرة شعبية لتأييد الثورة الإسلامية في ايران، واظهار الابتهاح بانتصارها، فهرع الشباب المؤمن فخرجوا بتظاهرة من جامع الخضراء بعد صلاة المغرب والعشاء، رفع المتظاهرون فيها صور السيد الشهيد وإلامام

---

١ ــ الحياة السياسية للامام الصدر .. ملا اصغر علي .. ص ٤٩١، نقلاً عن انتفاضة صفر رعد الموسوي ص ١١٢.

«رضي الله عنهما» وهي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل ذلك في العراق [١].

٣ ــ الانتفاضة الرجبية « وفود البيعة » ــ رجب ١٣٩٩هـ : ــ

لقد تصاعد الحس الثوري لدى الامة وتوقد تحفزها اثر نجاح الثورة الإسلامية في ايران، فاصبحت جماهير العراق تشعر أن أمامها مسؤولية شرعية وتاريخية في ان تبادر إلى الاقدام في الانتقام من الحكام الظلمة الذين داسوا كل كرامتها وقيمها ومبادئها، فليس الشعب الايراني المسلم الذي واجه الدبابات والمدافع في صدور عارية إلا عن حرارة الايمان اكثر التصاقاً بالإسلام أو علماء الإسلام من الشعب العراقي، ولا بد من الاستفادة من هذا الانتصار لتحويل المسألة إلى درس وإلى تجربة يمضون عليها .

وفعلاً فقد دب النشاط الشعبي، وبدأ التعاطف مع الثورة الإسلامية واضحاً على امتداد رقعة المناطق العراقية فتجد، وحينما تلتفت ــ تسمع الأناشيد الإسلامية الثورية يحفظها الناس ويرددونها، أو انهم يعلقون صور الامام « رحمه الله » وصور السيد الشهيد « رحمه الله » في كل مكان؛ بل وحتى الذي يولد له مولود يسميه بإسم السيد الشهيد أو بنت الهدى.

تــلك الظاهرة أثارت الرعب والقلق لا عند حكام البعث فحسب، بل عند قوى الاستكبار العالمية، فضلاً عن الحكومات العميلة في المنطقه.

فمفتاح المنطقة امام المد الثورى الإسلامي هو عراق البعث، فان سقط تهاوت كل تلك الانظمة المهزوزة .

كل تلك الظواهر دفعت بالحكام البعثيين ان يتصرفوا برعونة وتحرك غير موزون يتصف بالبطش والإرهاب الشديدين، والذي طال كل شيء .. العلماء .. الحوزة .. الجامعة .. بل كل الشارع العراقي، اعدامات،

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ــ ص ٢٥٥.

سجون، تقتيل، تسفير ، تهجير ، وباصرار لا يقبل الهوادة، ولما كان السيد الشهيد الصدر قد شخص من قبل البعث واسياده المستكبرين بانه القائد المرجى للعراق، فقد نال القسط الاكبر من هذه الحملة الظالمة، مضايقة، مطاردة، قتل بالجملة لكل اتباعه ومريديه ومقلديه، حتى لم يعد بمقدور اي انسان مهما كانت قوة تحمّله ان يقف امام هذا الكم الهائل من المحاربة النفسية، حتى تناهت لمسامع السيد الخميني « قدس سره » انباء مفادها ان الشهيد الصدر « رحمه الله » ينوي مغادرة العراق، فكتب له برقية يحثه فيها على عدم المغادرة واذيعت من راديو الجمهورية الإسلامية ..

فكان السيد الشهيد « رحمه الله » يعلم ان قطاعات كبيرة من ابناء الشعب قد استمعت لبرقية الامام السيد الخميني « رضوان الله عليه » وقد اقلقها ان يغادر الشهيد « رحمه الله » العراق، ويترك الجماهير من دون قائد يرعاهم وهم في امس الحاجة اليه، وفي اخطر وأهم مرحلة من مراحل التحرك الإسلامي، وكانت اعداد كبيرة من المؤمنين، تتوافد إلى النجف تسأل عن هذا الأمر .. من هنا بدأت فكرة مجيء وفود البيعة .. فكان الرأي قد انتهى إلى أن تبدأ هذه الخطوة مهما كانت النتائج، وكان هدف السيد الشهيد « رحمه الله » ان يبدأ مرحلة جديدة من المواجهة مع السلطة، ويضع من خلال ذلك الشعب العراقي في طريق الصراع المباشر مع النظام، ومواصلة الطريق حتى تحقيق الهدف المنشود باقامة حكم الإسلام في العراق، حتى لو كان الثمن هو دم السيد الشهيد نفسه .

تقاطرت وفود البيعة، وهي تضم قطاعات واسعة وكبيرة من ابناء الأمة، وخاصة الشباب المثقف منهم، يطالبون السيد الشهيد « رحمه الله » بالبقاء معهم، وعدم مغادرة العراق.

وكان السيد الشهيد «رحمه الله» يستقبل الوفود طوال النهار وشطراً من الليل .. رغم المشاكل الصحية التي كان يعانيها .

ان اهم ماكان يميز هذه الوفود هي الشمولية، فقد شاركت فيها الوفود من معظم مدن العراق، ومختلف شرائح الامة وطبقاتها ..

وكانت ذات كثافة كبيرة .. وان هذه الوفود تحولت من وفود تطالب ببقاء السيد الشهيد في العراق إلى وفود المبايعة، فكانت معظم شعاراتها « باسم الخميني والصدر الإسلام دوماً منتصر » ثم ان هناك عدداً من ابناء السنّة شاركوا في هذه الوفود .

وتمتاز ايضاً بمشاركة المرأة العراقية بشكل فعال، واهم تلك الوفود النسوية كان الوفد الذي تقوده المجاهدة الشهيدة سلوى البحراني «رحمها الله» وطالبن بالبيعة .. وبايعن على الشهادة .. وقد القى «رضوان الله عليه» فيهن كلمة قيمة قال في مقطع منها :« انتن يابنات الزهراء تقع عليكن مسؤولية ان تعرفوا العالم ان الثقافة والعلم الحقيقى يحمل مع الايمان، يحمل مع الدين، يحمل مع رسالة السماء كما حملتها فاطمة الزهراء .. ».

ان مشاركة المرأة العراقية في عمل اجتماعي سياسي كهذا كان خطوة كبيرة في تلك المرحلة .. وهذا الأمر اقلق السلطة قلقاً بالغاً، ويكفينا دليلاً على ذلك ان الشهيدة السعيدة سلوى البحراني قد اعدمت بالسم بعد ايام قليلة من البيعة .

لقد كان السيد الشهيد « رحمه الله » سعيداً بما تحقق من تحد للسلطة، وان ما حدث اثبت ان الإسلام حي باق، وان المرجعية الدينية رغم التطويق الشديد لها لا زالت أمل العراقيين .

ان ما حدث كان شيئاً عظيماً، بل كان ثورة جماهيرية عارمة .

فكـــانت السلطة قد استدعت معظم كوادرها الامنية والحزبية إلى النجف لمراقـــبة الأوضاع فيها، أو السيطرة عليها، في حال تطور الأوضاع إلى حد المواجهة المسلحة.

في هذا الجو الحماسي الثوري كتب السيد الشهيد البيان الأول الذي وجهه إلى الشعب العراقي، والذي فضح فيه كل الممارسات القمعية ومحاربة الدين والشعائر الإسلامية، وطالب باسم الشعب .. باطلاق حرية الشعائر الدينية وايقاف حملات الإكراه على الانتساب إلى حزب السلطة .. وإلافراج عن المعتقلين، واجراء انتخابات حـــرّة .

وقال « رحمه الله » :ــ

« وإني اعلم ان هذه الطلبات سوف تكلفني غالياً وقد تكلفني حياتي .. ولكن هذه الطلبات ليست طلبات فرد لتموت بموته .. ولا يمكن ان تموت وهي تعيش في اعماقها روح محمد وعلي، والصفوة من آل محمد وأصحابه» .

ثم ان السيد الشهيد « رحمه الله » لاحظ ان هذا القدر من التحرك كافياً لتحقيق الهدف المقصود .. فأوعز إلى بعض وكلائه ان يدعو الناس إلى الكف عن مواصلة مجيء الوفود .. وكان وراء اتخاذ القرار .. هو ان السلطة اخضعت معظم الوفود لمراقبة شديدة، والتقاط الصور، وكانت مفارزها الامنية في كافة الطرق المؤدية إلى النجف تضبط اسماءهم بدقة، وكانت هذه الاجراءات قد اتخذت تمهيداً لإعتقالهم فيما بعـــد .

ولم يكن السيد الشهيد « رحمه الله » يجد ضرورة للتضحية بهذا الكم الهائل من الناس .

وجد السيد الشهيد في تجاوب أبناء الشعب العراقي الفرصة المناسبة للسعي الجاد نحو إقامة حكومة إسلامية في العراق، لكن بمرور الزمن بدأت

أماله تتضائل في أن يتمكن من تحقيق ذلك، لا لأنّ الشعب العراقي غير مستعد أو متجاوب، بل لأنه أحس بعدم أهتمام أو تجاوب من كان يعتمد عليه في هذا المجال [١].

ولم تمض الا فترة قصيرة من الهدوء النّسبي حتى بدأت أعمال التنكيل التي تنبأ بها السيد الصدر، حيث تم اعتقال معظم مريديه ومئات من الذين شاركوا في مظاهرات اعلان البيعة له، وتوّجت هذه الاعمال باعتقال الصدر نفسه واقتياده إلى بغداد، وقتها ذهبت اخته آمنة الصدر الملقبة ببنت الهدى، إلى مرقد الامام علي « ع » والقت خطبة نارية حرضت فيها المواطنين على التظاهر ضد النظام وأعلان سخطهم وغضبهم والمطالبة باطلاق سراح السيد الصدر .

وحالما انتشر خبر اعتقال السيد الصدر حتى اندلعت الاضطرابات في مدن عراقية عديدة منها بغداد والبصرة وديالى والسماوة والكوت والديوانية وكربلاء ومدن أخرى، وقد اغلق السوق متاجره في النجف، واندلعت اضطرابات قوية، اصطدم المتظاهرون الغاضبون فيها بالشرطة وتم تطويق المدينة ووضعها تحت الحصار التام واستعرض النظام عضلاته بنشر رجال الامن فيها .

ولكــن أجــبرت الإضــطرابات التي عمت مدن العراق النظام على اطلاق سراح الامام الصدر في نفس اليوم .

وعــلى اي حــال أعطى اعتقال السيد الصدر النظام فكرة واضحة وكاملة عن مدى وحجم الدعم الجماهيرى الذي يتمتع به الصدر الذي حولته

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ــ ص٢٧٨.

معارضته للنظام إلى قائد وطني استقطب اهتمام الجماهير والمعارضة حوله واصبح وجوده بحد ذاته يشكل تهديداً للنظام وشرعيته في الحكم [١].

٥ ــ الإنتصار بالدم: ــ

قد يكون الدم أمضى من كل سلاح، فحين تعجز الأسلحة عن تحقيق الانتصار فانها تتلاشى، أما الدم فإنه يبقى بركانا يتأجج على مر الايام، ثم ما يلبث ان ينفجر .

هذا ما علمه الامام الحسين « ع » للأجيال المؤمنـــــة .

«ان كان دين محمد لم يستقم

إلا بقتلي فيا سيوف خذيني »

وعلى هذا المنوال تمضي قوافل الشهداء، وعلى مذبح العقيدة، فدم الشهيد يظل يقاوم، ومن هذا المنطلق سار السيد الشهيد الصدر رحمه الله على درب جده الامام الحسين « ع » وهو يقارع البعث أعتى نظام وأقسى عصابة، وأوحش من على الأرض من طغاة، فتح صدره العاري أمام اسلحتهم المدمرة، وهو لا يملك إلا ايمانا" راسخا" وتفان في جنب الله، وترسما لمنهج أهل البيت «ع»، تتبعه الجموع المؤمنة المتكلة على الله، السائرة في طريقه، فتكون المواجهة عنيفة عنيدة، لا يزال أوارها يحتدم، فصاح بأعلى صوته «لقد صممت على الشهادة »، لم يكن هذا القرار انتحاراً نتيجة تساقط كل الخيارات، أو نتيجة تخلّـــي « الصحب » عنه، أو نتيجة ما شاهده من صعود المئات بل الآلاف من الشباب المحب على أعواد المشانق أو الموت تحت سياط الجلادين، أو الذوبان في أحواض التيزاب، ليس هذا وذاك، بل

---

١ ــ الحياة السياسية للشهيد الصدر ــ ملا أصغر علي ص ٤٩٧.

انه خيار وضعه في صدارة قائمة الخيارات؛ لأنه كان يعي الأمور جيداً، لقد كان يتمتع ببصيرة ثاقبة تحلل وتزن الأمور عن بعد .

كانت فكرة سقوطه شهيداً قد سيطرت على مخيلته وافعاله لسنين عديدة، عندما وصل إلى استنتاج نهائي مؤداه ان نظام البعث في العراق قد وصل إلى درجة عالية من القوة والجبروت يستحيل على الحركة الإسلامية المتواضعة مادياً زعزعته، ولكن ذلك كان يعني بقاء النظام على تسلطه وضياع المشاعر وإلافكار الدينية من جمهرة الشعب العراقي، وكان العمل الوحيد الذي فكر به الصدر هو عمل مأساوي عنيف قادر على تثوير الشعب ودفعه إلى التحرك السياسي الجاد ضد حكومة البعث، ألا وهو استشهاده بصورة مفجعة .

يقول السيد الحائري :ـــ

« وبعد تلك الايام « ايام تسفير طلبة الحوزة » حدثني الاستاذ رحمه الله ذات يوم، فقال : ـــ انني اتصور الأمة مبتلاة اليوم بالمرض الذي كانت مبتلاة به في زمن الحسين عليه السلام، وهو فقدان الإرادة، فالأمة تعرف حزب البعث والرجال الحاكمين في العراق ولا تشك في فسقهم وفجورهم وطغيانهم وكفرهم وظلمهم للعباد، ولكنها فقدت قوة الارادة التي بها يجب أن تصول وتجاهد في سبيل الله إلى ان تسقط هذه الزمرة الكافرة عن منصب الحكم وترفع كابوس هذا الظلم عن نفسها، وعلينا أن نعالج هذا المرض كي تدب حياة الارادة في روح هذه الامة الميتة وذلك بما عالج به الامام الحسين «ع» ، فعلينا أن نضحي بنفوسنا في سبيل الله ونبذل دماءنا بكل سخاء في سبيل نصرة الدين الحنيف، والخطة؛ إن أجمع ثلّة من طلابي وفي صفوة اصحابي الذين يؤمنون بما أقول ويستعدون للفداء ونذهب جميعاً إلى الصحن الشريف متحالفين فيما بنينا على أن لا نخرج من الصحن أحياءاً، وأنا أقوم خطيباً فيما بينهم ضد الحكم القائم ويدعمني الثلة الطيبة الملتفة من حولي،

ونثور بوجه الظلم والطغيان فسيجابهنا جمع من مرتزقة الطاغية ونحن نعارضهم « ولعله قال: ونحمل السلاح إلى ان يضطروا إلى قتلنا جميعاً في الصحن الشريف وسأستثني ثلّة من اصحابي عن الاشتراك في هذه المعركة كي يبقوا احياء من بعدي ويستثمروا الجو الذي سيحصل نتيجة لهذه التضحية ...

ان هذا العمل مشروط في رأيي بشرطين .. : ــ

الشــرط الأول : ــ ان يوجد في الحوزة العلمية مستوى من التقبل لعمل من هذا القبيل،

والشرط الثاني : ــ ان يوافق أحد المراجع الكبار مسبقاً على هذا العمل كــي يكتســب العمل في ذهن الامة الشرعية الكاملة وقد اختار «رحمه الله» بهــذا الصدد ارسال سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي « حفظه الله » إلى أحد العلماء .. وارسله بالفعل .. لكنه لم يعرض عليه الفكرة .. وكان السبب انه حينما دخل المجلس رأى هذا الشخص مع الملتفين حوله قد سادهم جو من الرعب وإلانهيار الكامل ..

أمــا الشرط الثاني .. فذهب هو رضوان الله عليه إلى بيت السيد الإمام وعــرض عليه الفكرة .. فبدأ على وجه الإمام « قدس سره » التألم وأجاب عــلى الســؤال بكلمة « لا أدري » فعدل استاذنا الشهيد « رحمه الله » عن فكرته ، وكان تاريخ هذه القضية بحدود سنة ١٣٩٠ أو ١٣٩١ هــ [١] .

لقد استمر شهيدنا الصدر «رحمه الله» على المنهج الذي اختطه لنفسه منذ البداية، من خلال المواجهة العلنية للسلطة حين يلقي خطابه أمام الجماهير «وفود البيعة » وحين يكتب مخاطباً طلبته في ايران لتأييد الثورة

---

١ ــ مباحث الأصول ــ السيد الحائري ــ الجزء الأول من القسم الثاني ــ مكتب الإعلام الإسلامية ــ قم المقدسة ــ ربيع الأول ١٤٠٧ ــ ص ٤٩.

الإسلامية .. وحين يواجه كل الذين جاءوا يفاوضونه أو ينقلون اليه مطالب السلطة بالرفض وهو يعلم ان مصيره الإعدام لا محالة .. كل ذلك يؤكد على أنه صمم على الشهادة في سبيل الله، ومن اجل رفعه الإسلام :ــ « أن السيد الشهيد يعرف السلطة وطبيعتها الأجراميه، وكان يعرف أن لغتها الوحيدة هي المشانق والسجون، ولم يكن بحاجة إلى التكهن بمصيره لو اراد مواجهتها، لأنه يعرف مسبقاً النتيجة وما أشبهه بجده الحسين « ع » حين كان يتجسد أمامه مصرعه؛ (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات) وهكذا كان شهيدنا العظيم يرى مصرعه، يرى الايدي الآثمة تمتد إلى قلبه الطاهر لتقطعه بسيوف حقدها، ومع ذلك كان «رحمه الله » يرى أن ذلك يهون ويسهل إذا كان ينتهي إلى إقامة حكومة إسلامية في العراق[١].

وينقل النعماني: « أن السيد الشهيد شعر وقبل الاعتقال الثاني ــ يوم الاثنين (١٦ رجب ١٣٩٩) بالأمر أذ رأى الامن ومنظمة الحزب تطوق المنزل لذا كان السيد الشهيد « رضوان الله عليه » قد قرر أن يواجه مدير ألامن بعنف ــ أن جاء لاعتقاله ويعلن له بصراحة عن موقفه من السلطة وسياستها الوحشية ضد الإسلام والمسلمين ..

فقال: « أريد أن أجبر السلطة على قتلي، عسى أن يحرك ذلك الجماهير للاطاحة بالنظام، وأقامة حكم القرآن في العراق»[٢] وبقي السيد الشهيد الصدر يواجه السلطة الظالمة الغاشمة بكل تحدٍ وثبات، بحلقات صراع شديدة لا يهدأ أوارها، إلى ان وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه من أحداث مأساوية وجريمة كبرى لا يمكن أن تنسى بشاعتها الاجيال فتبقى وقوداً يؤجج الثورة لكل الاجيال

---

١ ــ نفس المصدر ــ ص١٢٥.

٢ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ ص٢١٤.

٦ ــ الخطابات التأريخية :ــ

حينما أحس الشهيد الصدر « رضوان الله عليه » بأقتراب موعد المنازلة الكبرى، وحيث تفوح من مقصلة الجلادين رائحة الدم المتقد، وأن نجيع شهادته سيصبغ وجه الأرض ليترك بحراً دموياً لا ينتهي أواره، حاول ان يطلق بيانات الثورة التي ستكون محركاً إلى جماهير الأمة كي تسير بالطريق الذي عبده الشهيد الصدر لها في السعي الحثيث لإقامة حكم الله في ارض الرافدين الجريح، فبالإضافة إلى الرسائل والبرقيات التي ارسلها إلى الجمهورية الإسلامية «عدو البعثيين اللدود»، فقد قام السيد الشهيد «قدس سره» وأثناء لقائه بالوفود التي جاءت تبايعه حينما سمعت البرقية التي ارسلها السيد الامام إلى السيد الشهيد يطلب منه عدم الخروج من العراق، حيث جاءت تلك الوفود زاحفة نحو داره في النجف مبايعة ومؤازرة، فقام بها السيد الشهيد « قدس سره » خطيباً يحثها على الجهاد والتضحية في سبيل الوقوف بوجه الطغاة الظلمة .. ثم كلمة في الوفد النسوي اللواتي جئن يبايعنه في تلك الايام الملتهبة، جماهير تسير على لظى جمر متقد، أو زحفاً على جليد زمهريري، وكان القائد يقرأ لغة القلوب المتشوقة للتضحية في سبيل الله، فيعطيها دفق ايمان وطاقة اندفاع نحو العلى :

ان الخطاب « الصدري » قد مر بمراحل ايضاً، تبعاً لما كانت تمر به الحركة الجهادية :ــ

المرحلة الأولى: ــ وهي مرحلة ماقبل المواجهة، ويمكن ان نطلق عليها فترة الفعل الثوري التسالمي، فهو وإن كان يدعو إلى تحكم شريعة الله في الحياة والتمرد على الظالمين، وتطبيق مباديء الإسلام لكنه لم يكن بلغة الثورة ولم يكن يعني ظالماً بعينه حيث كان في الوضع متنفس وإلامور تجري بصورة شبه طبيعية، فكان الخطاب الذي يأتي عبر ما كان يكتبه

الشهيد الصدر في مجلة الاضواء، وفيما يكتبه في ادبيات حزب الدعوة الإسلامية هادئاً معجوناً بالفكرة والدليل وبلغة اقرب إلى لغة الخطاب التعليمى الهادئ والذي عادة مايكون اقرب للنظرية منه الى الفعل.

المرحلة الثانية: ــ مرحلة رد الفعل الثوري الفكري، وتتمثل هذه الفترة ايضاً بالهدوء والمنافحة الفكرية العلمية الهادئة وهي وان كانت قد صدرت كرد فعل على الأفكار الإلحادية التي جاء بها الحزب الشيوعي أو الاحزاب القومية والعلمانية، لكنها كانت تجري في جو من الهدوء النسبي، حيث لم تكن تلك الفئات تمتلك سلطة أو حكماً تتمكن بها ان تبطش بالافكار والمباديء واصحابها، لذا نجدها تولّي مذعورة هاربة امام فتاوى السيد الحكيم «قدس سره» وامام كتابات ومناظرات السيد الشهيد « قدس سره » بعد ان تعجز عن المنافحة الفكرية، وتتمثل في الكتابات الفكرية .. اقتصادنا .. فلسفتنا .. البنك اللاربوي .. المدرسة الإسلامية وغيرها كثير .

المرحلة الثالثة: ــ الخطاب الثوري الملتهب، وفي هذه المرحلة بدأ الخطاب لدى السيد الشهيد الصدر يصطبغ بلغة خاصة وقد تكون كرد فعل لافعال السلطة وممارستها التعسفية، حيث بدأ يتحدث « وبشيء من التورية والتقية » امام طلبته بعدما اقدمت السلطة البعثية على مضايقة المرجعية وكل مايتصل بالإسلام والشعائر الإسلامية وبعدها تسفير الطلبة الأجانب ومضايقة الطلبة العراقيين في الحوزة في النجف حيث اصبحت الحوزة « بل الأمة عموماً» تعيش محنة مجابهة الطغمة الفاسدة، فأخذ السيد الشهيد «قدس سرة» وشعوراً منه بالمسؤولية الشرعية وإلابوية ان يقف شادا على العزائم بلسماً للجراح، اذ ليس ثمة حيلة للمرجعية في هذه المحنة الا هذا النزر اليسير الذي قد لا تستجيب له عموم الجماهير العراقية تحت تأثير شعارات زائفة كالثورية والتقدمية وإلاشتراكية، أو الواقعة تحت تأثير الخوف من بطش السلطة وتعسفها الذي صارت تمارسه تحت عناوين القضاء على التجسس والرجعية

، فبدأ بمحاضرات يلقيها على طلبته عام ١٩٧١ أي بعد مجيء حزب البعث إلى الحكم بسنوات قليلة، حيث أحس السيد الشهيد « قدس سره » بهذا الخطر الداهم .

فكان يتحدث عن المحنة والمفهوم القرآني عن المحنة * وكيف يواجه المؤمنون المصاعب والمحن، فكان يقول: ــ نتنازع ونختلف داخل اطار نتعرض لخطر التمزق، داخل اطار مهدد بالفناء .. إلى متى نحن نعيش المعركة داخل إطار يحكم عليه بالفناء يوماً بعد يوم، أو يواجه خطر الفناء يوماً بعد يوم، ولا نفكر في نفس الاطار، ولا نفكر في ان نتناسى مصالحنا الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة [1] .

المرحلة الرابعة: مرحلة الخطاب الثوري الصدامي:ــ

لقد خلقت هذا الخطاب عوامل عديدة منها اشتداد الهجمة البعثية على الحركة الإسلامية جميعاً، ومنها ايضاً تصاعد الحس الثوري المتمرد اثر قيام الجمهورية الإسلامية في ايران واتساع نطاق العداء وممارسة القمع بابشع صورة من لدن البعثيين ضد جميع ابناء الشعب العراقي وفئاته فزعاً من امتداد الثورة إلى العراق .

وهذا الخطاب لم يسر على وتيرة واحدة، بل اتخذ شكلاً تصاعدياً و المواجهات التي افرزتها تبعاً لتصاعد الاحداث بدءاً بالرسالة التي وجهها السيد الشهيد للطلبة الذين عادوا إلى ايران ورسالة التأييد للثورة الإسلامية ثم رسالته إلى عرب خوزستان .. ثم الرسالة الجوابية على برقية الامام

---

* كتاب المحنة ــ محاضرات للسيد الشهيد ــ جمعها وعلق عليها السيد علي اكبر الحائري ــ في ١٦ صفر ١٤٠٤ هـ ــ انتشارات ذو الفقار ــ قم.

١ ــ المحاضرة الثانية ص ٧٤.

الخميـــني «رحمـــه الله» الـــتي طلب منه فيها عدم مغادرة العراق، ثم تأتي خطابات المواجهة الفعلية والتي اطلق عليها النداءات الثلاث، وهي:

الـــنداء الأول: ــ بـــتاريخ ٢٠ رجب ١٣٩٩ هـــ وهو الخطاب الثوري الـــذي وجهـــه إلى الشعب العراقي اثر عودة وفود البيعة التي جاءت تعاهده عـــلى الوقوف معه ونصرته، والتي تقاطرت عليه من جميع انحاء العراق، اثر اذاعة البرقية التي وجهها اليه السيد الامام « قدس سره » يدعوه فيه إلى عدم مغادرة العراق، وقد اجابه عليها .

لقد كان الخطاب في هذا الجو الحماسي الثوري صارخاً عاتياً ارتجت له عروش الظلمة ..

« ايها الشعب المسلم ..

وإني أود ان أؤكد لك ــ ياشعب آبائي وأجدادي إني معك، وفي اعماقك، ولـــن اتخلى عنك في محنتك، وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الله من أجلـــــك ..

لقـــد اكد الشهيد الصدر « رحمه الله » في هذا النداء .. مطالب الشعب، بعـــد ان فضح جرائم البعثيين .. اسقطوا الآذان، واسقطوا صلاة الجمعة .. وطوقوا شعائر الامام الحسين .. وحاصروا المساجد ..

إنـــي اطالب باسمكم .. اطلاق حرية الشعائر .. بايقاف حملات الاكراه عـــلى الإنتساب إلى حزب البعث .. بالإفراج عن المعتقلين .. بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقه في تسيير شؤون البلاد، ذلك عن طريق اجراء انتخاب حر » .

ثم بين النتيجة: ــ

« انـي اعلم ان هذه الطلبات ستكلفني غالياً، وقد تكلفني حياتـــي ..

واذا لـــم تستجب السلطة لهذه الطلبات، فاني ادعو ابناء الشعب العراقي الأبي إلى المواصلة في حمل هذه الطلبات مهما كلفه ذلك من ثمن » * .

وفعلاً، فقد تم رصد هذه الوفود وتصويرها وملاحقتها ثم اعتقال المئات منهم، واعدام عدد كبير منهم.

أما السيد الشهيد، قد كانت السلطة تهدف إلى اعدامه لكنها عندما اخفقت، اضطرت إلى اتخاذ اجراء تمثل بفرض الإقامة الجبرية «الحجز« عليه [١] .

والملاحظ؛ ان اللغة التي خاطب بها السيد الشهيد الصدر الأمة تتصف بشيء من المرونة بادئ الامر، ولم ينعت البعثيين ببعض النعوت التي سينعتهم بها فيما بعد، وكأنه قد ترك له« خط عودة » كما يقولون، اذ انه كان يظن ان القوم ربما يستجيبون لهذا المد الجماهيري الكبير، ولكن أنى يكون للطغاة ذلك .

ومن خطاباته المؤثرة، تلك الكلمة التي القاها في الوفد النسوي الذي تقوده المجاهدة الشهيدة سلوى البحراني « رحمها الله »، حيث التقين به في البراني الخاص بالرجال، وطالبن بالبيعة كما كان في زمن رسول الله «ص» .. وبايعنه على الشهادة [٢] .

« يابنات فاطمة الزهراء

... انتن المثل الأعلى لمرأة اليوم

---

*ــ البيان الأول منشور كاملاً في مباحث الأصول ــ آية الله السيد كاظم الحائري ص ٥٣ ، وكذا الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ص ٢٧٨.

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ــ ص ٢٧٨.

٢ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ٢٧٠.

... تقع عليكن مسؤلية ان تعرفوا للعالم ان الثقافة والعلم الحقيقي يحمل مـــع الايمـــان ، يحمل مع الدين .. أمكن العظيمة فاطمة الزهراء كانت مثلاً أعلى في الإسلام .

الأوربيون حاولوا أن يثنوكم، وعليكم انتم أن تفهموا العالم كله انهم على خطأ وأنتم على حق ... »

تلك صرخة تحاول ايقاظ المرأة المسلمة من سباتها وتخلصها من الشباك الـــتي نسجها لها اعداء الدين والقيم وإلاخلاق، أوضح لها المنهج الذي يجب عليها أن تسير به .. ان منهج فاطمة الزهراء « ع » لا المنهج الذي وضعه لها الأوربيون أو عملائهم ..

وهذا الأمر اقلق السلطة قلقاً بالغاً، ويكفينا دليلاً على ذلك الشهيدة السعيدة سلوى البحراني التي أعدمت بعد ايام قليلة من ايام البيعة .

النداء الثاني :ـــ

واثـــناء فترة الحجز والحصار الشديد الذي فرضه البعثيون الجناة على السيد الشهيد « قدس سره » لم تنقطع صلته بالاحداث وبالثورة المتوهجة في الخـــارج، فقد كان يسمع الاصوات المحبوسة في الصدور، ويبصر الدمعات المحبوســـة فـــي المآقي، إنه يحاول ادامة الثورة بمتابعتها وهو في محجزه، يحاول أن يقاتل سجانه بقيده والأغلاق التي يرسف بها .

وكانت لغة النداء الثاني الذي وجهه الى الشعب العراقي من محتجرة لغة هجوم عنيف على السفاكين المردة، ودعوة الى الثورة والتحدي وتصميم على الشهادة، لغة حادة

:ـــ *« أيها الشعب العظيم*

انك تتعرض اليوم لمحنة هائلة، على يد السفاكين والجزارين الذين هالهم غضـــب الشعب، وتململ الجماهير، بعد أن قيدوها بسلاسل من الحديد، ومن

الرعب والارهاب، وخيل للسفاكين أنهم بذلك أنتزعوا من الجماهير شعورها بالعزة والكرامة، وجردوها من صلتها بعقيدتها ...

ولكن الجماهير أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة

وأنـــا أعلن ــ يا أبنائي ــ أني صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني ...

فعلى كل مسلم في العراق، وعلى كل عراقي في خارج العراق أن يعمل كـــل مـــا بوسعه ــ ولو كلفه ذلك حياته ــ من أجل أدامة الجهاد والنضال، لأزالـــة هـــذا الكـــابوس عـــن صدر العراق الحبيب، وتحريره من العصابة اللاإنسانية » [1].

النداء الثالث :ــ

رفع الحجز عن الشهيد الصدر، ثم أعيد ــ وكان البعثيون يظنون أن ذلك الحجز أو تلك الحرب النفسية وذلك الحصار الرهيب الذي عاشه هو وعائلته وأطفالـــه ربما قد نال من عزيمته، او انه سوف يتردد او يتراجع ولو قليلاً، عـــن مطالبه وخط الجهاد والثورة التي رسمها بجهد وجهاد كبير، لكنه بقي ثابـــتاً لايلين، جبل صلد لاتحركه العوادي، في ذلك الوضع،، يصدر الشهيد الصـــدر «رحمـــه الله» خطابه الثالث الى الشعب العراقي، وهو الاخير في حياته .

كان يخاطب كل فئات الشعب العراقي دون إستثناء :

« *ايها الشعب العراقي العظيم*

انـي اخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك، وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك بعربك واكرادك بسنتك وشيعتك، لأن المحنة لا تخص مذهباً دون آخر، ولا قوميّة دون أخرى، وكما أنها هي محنة كل الشعب العراقي،

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات اللمحنة ــ ص٢٨٦.

فيجب ان يكون الموقف الجهادي، والرد البطولي، والتلاحم النضالي هو واقع كل الشعب» .

ثـم انه أخذ يوضح للامة شكل المؤامرة التي تحاك ضد اسلامها وقيمها ومـبادئها مـن خلال الإخلال بالوحدة وتمزيق الصف والتفريق مستخدمين ورقة الخلافات المذهبية أو القومية .

:*« ان المعـركة ليست بين الشيعة والحكم السني، ان الحكم السني الذي مـثله الخلفاء الراشدون .. حمل علي السيف للدفاع منه .. ان الحكم الواقع اليوم ليس حكماً سنياً وإن كانت الفئة المتسلطة تنتسب تاريخياً الى التسنن، ان الحكـم السني لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنيين، بل يعني حكم ابي بكـر وعمـر، الـذي تحداه طواغيت الحكم في العراق فهم ينتهكون حرمة الاسلام .. انهم اسقطوا الشعائر الدينية .. انهم ملأوا البلاد بالخمور وحقول الخـنازير، وكـل وسائل المجون والفساد .. انهم يمارسون اشد الوان الظلم والطغيـان تجـاه كـل فئات الشعب .. ألا ترون الى احتكار هؤلاء للسلطة احتكاراً عسكرياً عشائرياً ... »*

ثـم ان السيد الشهيد الصدر « رحمه الله » اخذ يوضح حتى لمن انتسب للـبعث ان عليه ان ينسحب من تأييده لحكم الطغاة؛ لأنه يعلم أنّ الكثير من هـؤلاء أما مغرر بهم، أو إنهم لايعرفون البعث والحكم البعثي على حقيقته وربما تيقظ عندهم الاحساس والشعور فيتمرد على الواقع السيء لأن هؤلاء المتسلطين قد امتهنوا حتى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي .

« يا أخوتي وأبنائي من ابناء الموصل والبصرة من ابناء بغداد وكربلاء والـنجف ... مـن أبـناء العراق في كل مكان .. فلتتوحد كلمتكم ولتتلاحم صـفوفكم تحـت راية الاسلام، ومن أجل انقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة ..».

انها الثورة يطلقها السيد الشهيد يحرض عليها الأمة، ويستنفرها، ويحاول ايقاضـــها من اغفائتها، لكن انى يكون ذلك وقد سلبت الامة ارادتها وقهرت واســـتهينت وأمتهنت، فالمقاصل منصوبة، والدماء تجري، والسجون تغص (ومـــا أكـــثرها فـــي عراق البعث) بالآف المؤمنين من أتباع الشهيد الصدر ومـــريديه ومؤيديه، وأنين المعذبين وآهاتهم وصرخاتهم يصعدان الى عنان السماء . نعم لقد حدثت ردود فعل لكنها رفسات مذبوح .

ويبدو ان الندائين الأخيران قد تم تسجيلهما بواسطة كاسيت غير انها لم تـــذع ألا بعـــد شهادته من الإذاعة الإيرانية، وعلى ما يبدو ان اعوان السيد الشهيد الصدر لم يحاولوا إظهار تلك التسجيلات للملأ خوفاً على حياته .

٧ ــ القيادة النائبة: ــ

احس السيد الشهيد من خلال مجريات الأحداث، إنّ المواجهة بينه وبين الطغمة البعثية قد إقتربت، وان الشهادة التي فكر بها وعمل على ان ينالها بملأ ارادته وتصميمه قد دنى أجلها، ولما كان هو القائد المرجى لإنقاذ العراق ولإذكاء نار الثورة وشعلتها ولكي لا تضيع دماء الشهداء أو الآم المعذبين أو الاعراض المنتهكة هدراً، ومن اجل ان يستمر مسير القافلة، فعليه لا بد ان يكون هناك من يكمل المسيرة، ويأخذ بيد الأمة ويستثمر دمه الطاهر في خدمة القضية الاسلاميـــة .

على هذا الاساس جاءت فكرة القيادة النائبة كخيار اضطراري لا بد منه، وكـــان تخطيطـــه ان تواصل القيادة النائبة قيادة الثورة وبيدها أعظم محفز لتحريك الجماهير واستثارتهم، وهو دم السيد الشهيد « رحمه الله » .

وقد اختار السيد الشهيد اربعة اشخاص من العلماء ليكونوا القيادة النائبة، وان يعـــلن اسماءهم للأمة وترشيح اشخاص آخرين، للإنضمام للقيادة النائبة

اذا اقتضت المصلحة ذلك، ثم يتم تسجيل نداءات للشعب العراقي يوصيه فيها بوجـــوب الالتفاف حول هذه القيادة، واسنادها واطاعتها ثم كتابة بيان مفصل بذلك .

ثـــم ان الســـيد الشـــهيد كان من ضمن رؤاه في موضوع القيادة النائبة، وعـــلى ما ينقله النعماني ــ ان يخرج الى الصحن الشريف في الوقت الذي يكـــون فيه مملوءاً بالناس، وهو الفترة الواقعة بين صلاتي المغرب والعشاء، وهـــناك يـــلقي خطاباً على المصلين، يعلن فيه اسماء اعضاء القيادة النائبة، ويطلب من الناس اطاعتهم، والسير تحت رايتهم .

ونقل النعماني قول السيد الشهيد:ــ

« ســـوف أظل أتكلم واتهجم واندد بجرائمهما، وادعو الناس الى الثورة عـــليها، والى ان تضـــطر قـــوات الامن الى قتلي في الصحن الشريف امام الناس، وارجو ان يكون هذا الحادث محفزاً لكل مؤمن وزائر يدخل الصحن الشـــريف لأنـــه سيرى في المكان الذي سوف اقتل فيه فيقول: «ها هنا قتل الصدر» وهو اثر لا تستطيع السلطة المجرمة محوه من ذاكرة العراقيين».

وكان المفروض؛ ان يكون كافة اعضاء القيادة االنائبة في خارج العراق* لأن الإعـــلان عـــن اســـمائهم، يعني اعتقالهم واعدامهم، وعلى هذا الاساس عـــــرض « رضـــوان الله عليه » فكرة المشروع على أحدهم، وبعد نقاش للمشروع، وشكل اشتراكه فيه اعتذر عن الإشتراك .

وفشـــل مشروع القيادة النائبة وأصابت السيد الشهيد« رحمه الله » خيبة أمل قاتلة وهم دائم، فتدهورت صحته، وأصيب بإنهيار صحي ...[1].

---

* ــ ينقل المرحوم ملا أصغر علي في كتابه الحياة السياسية اسماء اللجنة، السيد محمد باقرالحكيم، والسيد كاظم الحائري، والشيخ محمد مهدي الآصفي، السيد محمود الهاشمي، الشيخ محمد باقر الناصري .

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ٣٠٩ ــ وكتاب مباحث الأصول ١٥٩ السيد الحائري.

٨ ــ مواصلة دعم الحركات الاسلامية:

حتى وان اختلف في سنة تأسيس حزب الدعوة الاسلامية، او الأشخاص الذيــن قــاموا بتأسيســه، لكن أحداً لم يخامره أدنى شك في أن السيد الشهيد الصــدر هو من أوائل الأشخاص الذين ساهموا في بناء هذا الحزب، وتشييد قاعدتــه الفكــرية والتــنظيمية، حيث تبنى الدعاة أفكار السيد الشهيد الصدر واطــروحاته واعتــبروا كتــبه ومؤلفاته بمثابة المنهاج العملي لفهم الاسلام وتطــبيق احكامه ثم ان الحزب تبنى طرح مرجعية السيد الصدر ودعى لها وروّج في أدبياته ومن خلال مريديه والمتعاطفين له، فصار السيد الشهيد فقيه الحزب رغم إن بعض أعضاء حزب الدعوة كانوا يتبعون مراجع آخرين في التقليد وعلى هذا كان البعثيون يعتبرون تقليد السيد الشهيد أو إقتناء كتبه دليل ادانة فمنعوا تداول هذه الكتب وحرموا إقتنائها .

لــذا فــإن علاقة السيد الشهيد وإن صارت متأرجحة من ناحية الإرتباط التنظيمي لكن الارتباط العملي ووحدة المواجهة بقيت ثابتة، بل ان المتعارف فــي العراق إن السيد الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامية وحدة متكاملة وعلى هذا فدعم السيد الشهيد ومساندته للحزب بقيت مستمرة .

يقول آية الله السيد الحائري:

« ان اســتاذنا الشهيد « رحمه الله » اسس في أوائل شبابه حزباً اسلامياً باســم حــزب الدعوة الاسلامية ــ وكان في وقته تقدماً ملحوظاً في الوعي السياسي بالنسبة لمستوى الوعي المتعارف آنئذ في الحوزة العلمية في النجف الأشــرف حــتى ان كثيراً من المتدينين بالتدين الجاف آنذاك كان يرمي من ينــتمي الى حزب الدعوة الاسلامية ــ فضلاً عمن يؤسس حزباً اسلامياً ــ بالإنحراف عن خط الاسلام الصحيح، وبالإرتباط بالإستعمار الكافر، وكل من يدعــي ضرورة إقامة الحكم الإسلامي كان يتهمه بمثل هذه الاتهامات؛ لانّ

إقامـــة الحكـــم الاســـلامي لا يكون في نظرهم الا بعد ظهور الإمام صاحب الزمان ــ عجل الله فرجه الشريف ــ

السلطة والشهيد الصدر مواجهة حامية الوطيس

الأسلوب الأول: ــ العزل والتطويق.

الأسلوب الثاني: ــ قص الأجنحة.

الأسلوب الثالث: ــ الدبلوماسية ومحاولات التفاوض.

الأسلوب الرابع: ــ الإعتقال والحجز.

نكوص وتراجع.

الإلتحاق بركب الشهداء.

لم يكن السيد الشهيد الصدر « رضوان الله عليه » فرداً، بل كان تياراً.. كان ظاهرة، ولا يزال، يقض مضاجع المستكبرين ويهدد عروشهم الخاوية، كان يمثل خطاً فكرياً راسخاً يتجذر في اعماق الامة، يزرع فيها التمرد على الخضوع والذلة واليأس ويستنهض فيها حب الإسلام واهل البيت « ع » لذا خافه البعثيون على دنياهم، كما خافهم هو على دينه، ومن هذا المنطلق كانوا يتعاملون معه ومع انصاره واتباعه تعاملاً شديد العداء مصحوباً بشيء من التروي والحذر والمخادعة احياناً، كانوا يراوغونه لكنه كان اكبر من مراوغتهم، لقد حاولوا ان يستخدموا معه اشد انواع الحرب النفسية من محاولات التهميش والعزلة إلى محاولات التهديد والإرهاب إلى محاولات التنكيل بالانصار وإلاتباع، والى محاولات الإغتيال، وإلى الإعتقال والسجن والحصار الاقتصادي والتجويع .. وإلى ما سواها من اساليب يخطط لها المستكبرون وينفذها البعثيون، وعلى رأس السلم كبير الطواغيت صدام.

كل ذلك لم يرهب السيد الشهيد ولم يثنه عن مسيرته ولم يزحزحه عن مواقفه قيد انملة، حتى طأطأ جلادوه وأعداؤه رؤوسهم هيبة لصموده، ولكن اكثر الفصول ايلاماً له وايذاءاً والتي جعلته يسلم نفسه الكريمة للقنوط والحزن والصمت الرهيب هو تخاذل ونكوص وتراجع من كان يظنهم ساعده ونصيره وقت المحنة، فلم يكن موقفهم موقف المتخاذل فحسب بل كان يصب في خدمة السلطة واهدافها مما كان يصدر عن بعض أهل الدار ــ ممن كانوا يحسبون على المرجعية والحوزة من ذوي إلاهداف الشخصية والأنانيات الفردية، وذلك ما نقله بعض المقربين منه والذين عاشوا معه المحنة بأشد ابعادها وخبروا اكثر فصولها أيلاماً .

ويظل كل موقف يحتفظ به التاريخ شهادة افتخار أو إدانة والحساب امام الله عسير، والوقوف بين يديه طويل.

لقد استخدم البعثيون، وكما اسلفنا، مع الشهيد الصدر كل الاساليب لاركاعه واخضاعه ومن ثم القضاء عليه وعلى خطه. إلى أن نال وسام الشهادة وتحت سياطهم المجرمة وتحت اياديهم الملطخة بدماء المؤمنين الأبرياء ليرسم الدرب ويعبده مرة أخرى بدمه الطاهر كما عبده بالأمس بفكره وجهاده ويراعه .

ونحن إذ نترسم خطاه نحاول أن نمر بسرعة على بعض جوانب المأساة التي عاشها « رحمه الله » مع المجرمين القتلة، بأساليبهم المختلفة من محاولات التطويق وإلاحتواء أو المواجهة وإلاعتقال وقد مرت بمراحل، واتخذت أساليب مختلفة، ومن هذه الأساليب: ــ

الأسلوب الأول: العزل والتطويق

الغريب في الأمر انه لم يكن البعثيون وحدهم قد اظهروا عداءهم الشديد للسيد الشهيد فقد اجتمعت اطراف عديدة في عدائها للشهيد الصدر، رغم اختلافها تماماً وعدم التقائها، فثمة من يرى وجوده خطر دائم على سلطته وحكمه ومنهم من ينظر إلى وجود الشهيد الصدر من زاوية لتتجسد امامه صورة المفكر الذي يتصدى لإطروحاته الفكرية ومتبنياته العقائدية ليهشمها ويظهر زيفها وضعفها وتفاهتها .

حتى ان البعض من رجالات الحوزة والمحيطين ببعض المرجعيات صار وجود الصدر محرجاً لهم الأمر الذي دفعهم إلى اتخاذ موقف سلبي منه ليخدموا المخطط الاجرامي الاستكباري، ومن ثم البعثي بصورة غير مباشرة.

إن أهم معاناة كان يعيشها الشهيد الصدر « رحمه الله » هي عدم قدرة الحوزة العلمية على استيعابه، وفقدان الفهم الكافي له في مجتمعه، فكان يشعر

بغربة قاتلة في ظل تلك الأجواء التي جعلته بين الحين والآخر يتمنى الموت..

ان الجهل الذي كان يملأ قلوبهم، أو قل الحقد الذي أعماهم واظلهم كان يخيل لهم ان المسألة محدودة بالشهيد الصدر فقط، ولن تتعداه إلى سواه، فاذا كان اتهامه بالحزب ــ حزب الدعوة ــ خير وسيلة للقضاء عليه فليكن هو الأسلوب المتبع .

وكان « رحمه الله » حينما تبلغه الإتهامات وإلافتراءات التي توجه اليه من قبل بعض الأطراف في الحوزة يقول : « ان السلطه ما استهدفتني من بين المراجع الآخرين الا بسبب ظروفي وأوضاعي الخاصة، وإلا فإن هدفها اكبر وأشمل، انها استهدفت الوجود العام كله والمرجعيات كلها والحوزات كلها بغض النظر عن فكرة الاتهامات الحزبية .. اي تهمة الإنتماء لحزب الدعوة الإسلامية، وما ذريعة الحزب إلا لتظليل الناس » ...

.. إنــه لم يحدث ان يخضع مرجع من مراجع التقليد إلى محاسبة مرجع آخــر على تصديه للمرجعية، وطبع رسالة عملية، ان هذا الأمر لا سابقة له في تاريخ المرجعيات، وهو أمر مثير للعجــب [١] .

لقــد اســتغلت بعــض الأطــراف حالة العداء الدائمة بين السيد الشهيد والسلطة لعزله وتهديد مرجعيته، وكانت هذه الاطراف في نشاطها وفعالياتها أقوى من السلطة وأخطر منها، حتى إن بعض الطلبة وبسبب الضغط النفسي الناشــيء مــن تخويفهم وإرهابهم ترك حضور بحث السيد الشهيد ومجلسه العــام، واســتطاعت هــذه الجهات تجاوز نطاق الحوزة إلى الأمة، فكانوا يلوحون بمديريات الأمن لمن يحاول الإقتراب من السيد الشهيد .

١ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة وأيام الحصار ص ٦٥ .

وأتذكر أن رجلاً من المناطق الجنوبية من العراق جاء إلى النجف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام فحدث السيد الشهيد رحمه الله بما جرى له، فقال كنت لا أعرف اين يقع منزلكم، وكانت رغبتي شديدة أن أزوركم والتقي بكم، فوقفت في الصحن الشريف انتظر من يدلني، فمر بقربي أحد «المعممين» فسألته عن منزلكم فقال لي: ان منزل السيد الصدر مطوق من قبل سلطات الأمن، وسوف تعتقل حال وصولك . ثم سألت أخر وآخر فكان الجواب واحداً، إلا إن أحد الطلبة الشباب دلني على منزلكم وأخبرني بأن الأمور طبيعية، وقال لي: لا تخف، وانى بي إلى هنا، وأنا الآن أرى الأمور طبيعية، فلماذا يفعل هؤلاء هكذا، وكان في حيرة شديدة لا يعرف كيف يفسر تلك الظاهرة !

هذا النموذج يعبر عن مئات أو آلاف النماذج المشابهة التي كانت تصلنا أخبارها بين الحين والآخر، وما خفي اكثر وأكبر، وكانت السلطة تغذي هذا الطـــرح وتدعمـــه، وتحاول إرهاب اكبر عدد من الناس من خلال الحملات النفسية المشابهة .

أفرزت هذه الحملة النفسية بتفاصيلها حالة شديدة للشهيد الصدر، فكان مجلسه اليومي محدوداً بعدد من الطلبة الشباب لا يتجاوزون عدد الأصابع، وكان بحثه كذلك وكانت صورة قاتمة ترتسم في الأذهان عن المستقبل إن استمر الوضع على هذا الشكل، بل أستطيع ان أجزم بأن مرجعية السيد الشهيد كانت على وشك الإنهيار التام أو لا الأقل الإنزواء الكامل حتى أنه رحمه الله إضطر الى ترك التدريس فترة من الزمن، وكان على وشك أن يغلق بـــاب داره .

وتصدى الراشدون الأبرار من الطلبة الأبرار للعمل من أجل الدفاع عن هذه المرجعية، وحماية كيانها، وانضمت إليهم الطلائع الواعية من المؤمنين في صفوف متحدة متراصة وجهود متواصلة، رغم الأخطار التي كان من

المحتمل ان يتعرضوا لها في مجال احباط مخطط الحرب النفسية وتمكن السيد الشهيد رضوان الله عليه ان يشق الطريق بثبات وعزم فامتد الى أعماق الأمة فاضطرت السلطة فيما بعد رضوخاً لسياسة الأمر الواقع الى الإعتراف بمرجعيته والتعامل معه (الند بالند)، وكانت الخطوة الأولى في هذا المجال زيارة زيد حيدر عضو ما يسمى بالقيادة القومية لحزب البعث .

وقصة الفيسلوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي معروفة وتكشف عما يقوم به البعثيون من محاولات مستميتة لقتل وعزل وتهميش وجود السيد الشهيد، حتى لجأوا الى اقذر الأساليب من كذب وتزوير واستخفاف حتى بمن يستضيفونه من علماء ومفكرين، وقصة غارودي بدأت مع السيد الشهيد على اثر زيارة قام بها المفكر المصري الدكتور الفنجري الاستاذ في الجامعة المصرية والعالمية، والذي كان قد تأثر كثيراً بآراء السيد الشهيد وقام بزيارته للنجف الأشرف، وكان ينقل اعجاب روجيه غارودي بعد اطلاعه على كتبه وترجمته بعضها له .

فقــد كتب الفنجري رسالة الى السيد الشهيد بعد مضي شهر من زيارته للــنجف يخبره فيها باتصال روجيه غارودي ونيته في ترجمة كتاب الأسس المــنطقية للإستقراء الى الفرنسية أو إلى الإنكليزية ورغبة غارودي بزيارة الشهيد الصدر وانه ابلغ (روجيه غارودي) بعد ذلك ووعدني بأنه سيبعث لكم رسالة حول موضوع زيارته لكم وسيكون على صلة مستمرة بكم من خلال الرسائل .

وما هي الا ايام قلائل حتى وصلت رسالة من روجيه غارودي اخبر فيها السيد الشهيد بانه سيصل إلى العراق بدعوة من الحكومة العراقية لحضور موتمر سيعقد هناك، وحدد تاريخ ذلك وقال: أود ان التقي بكم خلال هذا التاريخ .

وكان الذي يترجم الرسائل من الفرنسية إلى العربية وبالعكس المرحوم الشيخ يوسف الفقيه وهو أحد طلاب الشهيد الصدر .

بعث السيد الشهيد برسالة جوابية رحب فيها بقدومه، وروجيه ايضاً أجاب برسالة شكر أخرى، وتمنى ان يتحقق اللقاء في اقرب وقت .

وجاء الموعد، بل وانتهى ايضاً ولم نر المفكر غارودي، فهل أخلف وعده، أم ان شيئاً قد حدث .

بعد ايام وصلت السيد الشهيد رسالة منه تحمل في طياتها العجب، وتكشف عن خلق حكام البعث وخبثهم، بل تكشف عن خوفهم ورعبهم من السيد الشهيد، فقد كان مضمون رسالة غارودي كالتالي :

وصلت في الموعد المقرر إلى بغداد، وفي قاعة الإستراحة في مطار بغداد سألني رئيس لجنة التشريفات عما اذا كنت ارغب بوضع جدول لزيارة اماكن معينة، فقلت له ارغب بزيارة الأستاذ محمد باقر الصدر، فتحير الرجل ولم يتكلم بشيء وقد اصيب بالدهشة والذهول . بعد ذلك ابلغني مسؤول في وزارة الخارجية العراقيه أن شخصاً بهذا الأسم لا يوجد في العراق، فقلت له بل هو موجود بالتأكيد في النجف الأشرف، فقد راسلته وراسلني فقال: سوف نخصص لكم زيارة إلى النجف ونسأل هناك عن هذا الشخص . وفعلاً بعد أن انتهى المؤتمر جاءوا بي إلى النجف للبحث عنكم، وفي كلية الفقه احضروا لي عدداً من الطلبة وقالوا لي اسأل هؤلاء عن ذلك الشخص، فلما سألتهم عنكم قالوا: لا يوجد شخص بهذا الاسم !!! وهذا اثاراستغرابي وحيرتي، وتساءلت في نفسي: هل ماحدث امامي حقيقة أم خيال .

وفي ختام رسالته اعتذر من السيد الشهيد عن عدم حضوره الموعد المقرر، واعرب عن أسفه لذلك [1].

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة ص ٦٨.

ويبدو ان قصة غارودي وغيرها لم تكن الأولى، بل ان هناك حملة سابقة كانت تستهدف تطويق الشهيد الصدر في الزاوية التي يمكن من خلالها الإجهاض عليه، وحينما شعروا بأن ثمة يد طولى له في تأسيس جماعة العلماء واصدار مجلة الأضواء (عام ١٩٥٨)، وما أحدثته المجلة والجماعة من تيار فكري ناشط في أوساط الأمة وجموع الشباب المسلم المثقف، حيث كان السيد الشهيد يتولى كتابة موضوع (رسالتنا) بإسم جماعة العلماء الأمر الذي دفع إلى تحالف مجموعة من الأشخاص، وبمختلف المشارب إلى اتخاذ موقف مضاد لهذا العمل.

يقول السيد محمد باقر الحكيم: ــ

(سافرت إلى بيروت في سنة (١٣٨٠) ... ودعت السيد الشهيد حيث كان في الكاظمية حينذاك وكنت اراسله باستمرار .. في هذه الرسائل بدأ السيد الشهيد يحدثني عن هجمة قاسية شرسة قام بها حزب البعث تتستر ببعض أهل العلم، حيث يطرح السيد الاستاذ في بعض رسائله، بأن المحامي (حسين الصافي) الذي كان معمماً من قبل، ومن عائلة علمية، ومسؤول حزب البعث في النجف الأشرف كان وراء هذه الحملة .

فقد كتب السيد الشهيد في صفر (١٣٨٠) يقول:

«لقد كان بعدك انباءً وهنبثة، وكلام، وضجيج، وحملات متعددة جندت كلها ضد صاحبك، وبغية تحطيمه .. ابتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء، أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم فأخذوا يتكلمون وينتقدون، ثم تضاعفت الحملة واذا بجماعة تنبري من أمثال حسين الصافي ــ ولا أدري ما اذا كانت هناك علاقة سببية وارتباط بين الحملتين، أولا ــ تنبري هذه الجماعة، فتنكر عني وعن جماعة من تعرفهم، شيئاً كثيراً من التهم من الأمور العجيبة »

ويقول في رسالة أخرى مرسلة في نفس الفتـــرة:

«كما ان هناك زحمة في الاشكالات والإعتراضات لدى جملة من الناس، و(الأخوندية) في النجف الأشرف على النشرة، وخاصة رسالتنا .. » [١].

ان المتتبع لهذه الأمور يتبين ان المستهدف الفعلى في هذه الحملة الشرسة والتي كان لها دور كبير في تحريك جماعة العلماء ضد الشهيد الصدر وكذلك تحريك أوساط المتشددين من اهل العلم البعيدين عن التيار الإسلامي وهمومه، ومشاكل الأمة وانحرافاتها الفكرية والسياسية، لم يكن مجلة الأضواء والعلماء انما هو السيد الشهيد الصدر بالذات، حيث ان البعثيين كانوا يعتبرونه هو المحرك الرئيسي لخط الوعي السياسي الإسلامي.

وقـــد أحس السيد الاستاذ الشهيد الصدر في معالجة الموقف بهدوء حيث تمسك بالصبر والسكوت .

وهكذا تمكن السيد الشهيد (رضوان الله عليه) بحكمته وصموده وصبره ان يواصل طريقه مع اخوانه وتلامذته في الجهاد، وان يقفوا جميعاً في وجه هذه الهجمة الشرسة التي استغلت أخس المشاعر في الانسان، واستعملت أخبث الاساليب وتمكن بسبب ذلك الخط الأصيل ان يستمر في تفاعله مع الأمة والتأثير فيها [٢].

وتستمر هذه الحملة المنظمة الشرسة دون هوادة، لكن السيد الشهيد لم يكن الشخص الذي يمكن تطويقه أو حصره في زاوية ضيقة، لأنه العبقري الذي تخطى الزمن، لأنه العطر الذي يتغلغل للنفوس مع نسمات الهواء، وهو الضوء الذي ينفذ من أصغر كوة بفكره النفاذ وبقلمه الأخاذ، لذا باءت كل

---

١ ــ مجلة الجهاد العدد ١٤ ــ جمادي الثاني ١٤٠١ هـ.

٢ ــ نفس المصدر .

محاولاتهم الخبيثة وظل الصدر شبحاً يرعبهم ويقض مضاجعهم ويهدد عروشهم الخاوية، ويهز كياناتهم المريضة المهلهلة.

الأسلوب الثاني: قص الأجنحة: ــ

حين باءت خطط البعث بتطويق السيد الشهيد أو حصره في زاوية ضيقة، حيث امتدت رقعة وجوده وقيادته حتى صارت الأمة كلها، تتطلع اليه كقائد عبقري يمكن ان يقود مسيرتها وأخذت جموع المؤمنين تلتف حوله؛ الأمر الذي ارعب المستعمرين وأذنابهم، فاخذوا يحاولون ايجاد مخرج لهذا المأزق الذي ادخلهم به، اذ صار الشهيد الصدر يحاصرهم جماهيرياً، بعد ان كانوا يحاولون محاصرته، اثر تصاعد المد الثوري الايماني أبان انتصار الثورة الإسلامية في ايران .

لم يكن البعث يعرف لغة التفاهم والمهادنة والحوار، بل ان لغتهم الوحيدة لغـــة القـــتل، ولكن السيد الشهيد الصدر لم يكن الضحية السهلة أو الشخص البســـيط الذي يمكن ان يتسللوا اليه ليلاً ليقبضوا عليه خلسة، ثم كإن لم يكن هـــناك شـــيء، الصدر قائد مسيرة وسيد موقف، يتقدم الجموع الغفيرة التي يمكن ان تخلخل الوضع وتربك البعث، بل وتبتلع صدام وزبانيته جميعاً .

وأمام هذا الموقف المتأزم والوضع المحرج، أخذ البعثيون ومن ورائهم اسيادهم خطة مرحلية الهدف من ورائها تقليم الأطراف شيئاً فشيئاً، حتى الوصول إلى المرحلة النهائية التي يتم فيها عزل السيد الشهيد عن جمهوره ومريديه أو ممن يمكن ان يشكلوا خطراً أو رد فعل اذا ما أقدمت السلطة على التعرض اليه أو مسه بأي سوء .

على هذا الأساس قام البعثيون بوضع خطة مرحلية تستهدف القضاء على عناصر الحركة الإسلامية شيئاً فشيئاً ــ قتل سجن، اعدام، تشريد، الى غيرها

مـــن الأســـاليب ــ لقــد ظهرت هذه الحقيقة على لسان الكثير من المسؤلين البعثيين فصاروا يعيشون هاجس الرعب الدائم من هذه الجماهير .

ان خير شاهد على الإلتحام الجماهيري بين الامة والشهيد الصدر هو ماحدث بعد اعتقاله الأول في سنة (١٣٩٢هـــ) حين كان سماحته يرقد في مستشفى الكوفة حيث قام رجال الأمن بوضعه في ردهة المعتقلين ووضعوا القيد في يده فكثرت في صبيحة اليوم التالي مراجعة الناس وعلى الخصوص طلاب العلوم الدينية والعلماء العظام .. إلى المستشفى فخشيت الحكومة من نتائج الأمر، فرفع القيد من يد السيد .

وبعد فترة وجيزة اطلقت السلطة سراح السيد .. وكان يقول : ان هذا الإعتقال قد اثر في إنشداد الأمة الينا أكثر من ذي قبل وتصاعد تعاطفها معنا [١].

أما التجربة الأخرى فهي المظاهرة التي قام بها مجموعة من طلبة السيد الشـــهيد «رحمه الله «حيث التحق بهم جمهور غفيرة وذلك اثر اعتقال السيد الشـــهيد مـــن قبل البعثيين في ساعة مبكرة من صباح اليوم السابع عشر من رجب ســـــنة (١٣٩٩ هـــ) الإعتقال الثالث بعد عودة وفود البيعة وكانت الشـــهيدة بـــنت الهدى قد خرجت لإشاعة النبأ صارخة في حرم جدها أمير المؤمنين (ع) .

وينقل الشيخ النعماني في ما قاله السيد علي أكبر الحائري .

: (وكان لهذه التظاهرة ــ رغم عفويتها في التخطيط والتنفيد ــ بالغ الأثر في اجبار السلطة على الإفراج عن السيد الشهيد، وتأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيه وقد نقل لنا المرحوم السيد علي بدر الدين ان برقية ارسلت من قبل السلطات المحلية في النجف الأشرف إلى أحمد حسن البكر ذكر فيها ان

---

١ ــ مباحث الأصول ج ١ من القسم الثاني ص ١٠٥.

تظاهرات كبيرة خرجت في النجف الأشرف احتجاجاً على اعتقال السيد الشهيد، وان الأوضاع فيها على وشك الإنفجار .

قال السيد الشهيد ان شيئاً ما قد حدث غير مجرى التحقيق معي وان كنت لا أعرف حدوده إلى أن قال لي فاضل البراك: ماذا فعلنا تخرج تظاهرات في النجف والكاظمية احتجاجاً على مايسمونه اعتقالاً [1]، ان هذه زيارة وليس اعتقالاً ثم ان أكبر التجارب التي اثبتت لحزب البعث عظم الإلتفاف الجماهيري حول السيد الشهيد، وهي وفود البيعة والتي تقاطرت عليه من كافة أنحاء العراق مؤيدة ومبايعة ومعاهدة، اثر سماعها بالبرقية التي أرسلها السيد الامام الخميني له يطلب منه البقاء في العراق وعدم مغادرته ــ كما أوضحنا سابقاً ــ .

لم يكن خافياً على السلطة الغاشمة ذلك التشابك بين الامة وقيادتها، فكانت تعيش حالات شديدة من الرعب والهلع من مصير اسود ينتظرها على يد الجماهير يوماً، الأمر الذي دفعهم إلى استخدام أسلوب الإعتقالات الواسعة والمداهمات والقاء القبض على التهمة والظن، حتى تحول العراق من اقصاه إلى اقصاه إلى سجن كبير وصعدت جموع المؤمنين إلى المشانق مستغيثة صارخة، واذا بأحواض التيزاب تفغر فاها، واذا بوسائل التعذيب والخبرة تنهال على حكم الطواغيت من كل مكان، لقد كان مسلسل الإرهاب البعثي نهر من دم متصل طال كل فئات الشعب ولم يسلم منها حتى الأطفال، إلى ان تم كتم كل الأصوات كم جميع الأفواه فخيم شبح الموت والرعب والتعذيب الرهيب، وتعدى الأثر إلى الطبقة الخامسة من اقرباء المعتقل والمعدوم، فصار من أبسط الأمور أن يتبرأ الأخ من أخيه، وان يراقب الجار جاره،

---

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة وايام الحصار ص ٢٢٣ نقلاً عن هامش كتاب دروس في علم الأصول ج١ من القسم الثاني، ص ١٣٠.

وان يخاف الأب من أن يتفوه امام اطفاله (ضد الحزب وضد صدام حيث) يؤدي به ذلك إلى الإعدام .

صار العراق أتون موت قد فغر فاه ليبتلع بسمة الحياة، فإذا بالجموع الهادرة قد ولت مذعورة لا تلوي على شيء فزعاً ورعباً تاركة قائدها المرجى ومنقذها المؤمل لقمة سائغة لوحش كاسر مفترس لا يرتوي من شرب الدماء .

نعم، لقد استخدم البعثيون سياسة قص الأجنحة مع السيد الشهيد الصدر «قدس سره» ، حتى بقي وحيداً لا ناصر له ولا معين ــ إنقضوا عليه لينال الشهادة بعد أن مزقت جسده الشريف سياطهم الحاقدة .

الأسلوب الثالث:ــ الدبلوماسية ومحاولة التفاوض:ــ

رأى البعثيون ان السيد الشهيد اكبر من أن يطوق أو يحاصر، وعلى قول رأي، ان هناك في صفوفهم من يرى امكانية التعامل معه والإستفادة منه كطاقة فكرية كبيرة، أو أن الالتفاف الذي حظي به السيد الشهيد من لدن الجماهير المؤمنة قد أوقفهم في حيرة، وخاصة في ايامهم الأولى، فأخذوا يحاولون استخدام الدبلوماسية، أو أسلوب التفاوض، وهذا الأمر الذي اراد به من خلاله كسب الوقت إلى أن يتم الإنقضاض على السيد في الفرصة المواتية، وعلى كل التقادير فإن هذه المفاوضات مرت بمرحلتين؛ ــ

المرحلة الأولى: ــ وهي المرحلة التي يمكن ان تكون بمثابة استطلاع وجس نبض حيث قام بعض المسؤولين بزيارة السيد الشهيد (رحمه الله) لمحاولة التعامل معه بطريقة ربما أمكن الإستفادة منها في دعم حكمهم، أو إن هذه الزيارات تحمل شيئاً من التهديد المبطن للسيد الشهيد، ومنها؛ ــ

١ ــ **زيارة زيد حيدر** : ــ وهو شخص كبير في السلطة، وعضو بما يسمى بمجلس (قيادة الثورة) وعضو القيادة القومية لحزب البعث؛ فقد جاء

دون ان يكــون قــد حمــل اي مطالب أو مقترحات أو إنه كان لديه بعض المطــالب والمقترحات لكنه لم يتمكن من طرحها، فقد بقي طيلة مدة الزيارة مســتمعاً فقــط للســيد الشهيد وهو يتحدث، وكان حديث السيد الشهيد بمثابة النصــائح لــزيد حيدر فقد اخذ يوضح له مقام العلماء في الإسلام وعلاقاتهم بالســلطة، وان العلماء هم المؤشر الحقيقي الذي يعكس بأمانة مطالب الشعب ورغــباته، ثم تحدث عن دور العلماء في محاربة الإستعمار وطرده من بلاد المسلمين .

وطــال الحديــث وكانت الزيارة في المجلس وبحضور عدد من الطلبة والعلمــاء .

ونقــل فيما بعد؛ ان زيد حيدر اعترف امام قيادة بغداد بأن السيد الصدر مفكر عربي من طراز فريد، وإنه يستطيع تدوين قوانين دولة في مدة قصيرة يسيرة من الزمن .

ولقــد تــركت هذه الزيارة اثراً كبيراً في كسر حاجز الخوف عن نفوس الكثيرين، فقد إزداد تردد الناس على مجلس السيد الشهيد، وعادت الأمور إلى حالتها الطبيعية .

٢ ــ زيارة حسن علي : ــ

كــان حســن عــلى (العامري) آنذاك عضواً في مجلس قيادة الثورة ووزيراً للتجارة؛ وتأتي زيارة هذا البعثي للسيد الشهيد ايضاً في اطار الحملة المضــادة التي بدأها حزب البعث، وكان الهدف من ورائها محاولة الإستفاده من هذه العلاقة معه، ومد الجسور التي ربما اسهمت في التأثير على المنحى الــذي نحاه السيد الشهيد، اذ ربما كان يدور في مخيلتهم والتي ظهرت فيما بعــد؛ انــه ربما امكنهم الإستفادة واغراء السيد الشهيد في دعمهم من خلال اغرائه بالمناصب والهدايا الكبيرة، وعلى أي حال فقد جلس حسن علي عند

السيد الشهيد فاستغل الفرصة ليمطره بسيل من النصائح والمواعظ والتذكير، وإن القوم قد (ران على قلوبهم) عاد حسن علي إلى بغداد، والله العالم بما دار بينه وبين سيده من حـــديث .

٣ ــ زيارة فاضل البراك: ــ

تعـــد هذه الزيارة ذات مغزى كبير فبعد أن ولى عضو القيادة فيما يمكن أن يســـمى بزيارة جس النبض، جاء البراك وهو مدير الأمن العام حينذاك، وكان في معيته مساعده مدير الشعبة الخامسة الخاصة في تعذيب المؤمنين، كـــانت هـــذه الزيارة بمثابة تهديد ووعيد من قبل البعثيين للسيد الشهيد، حتى وإن كـــان (البراك) يظهر الحب والمودة على ما نقله النعماني ــ حتى انه قـــال للســـيد الشـــهيد في المكالمة الهاتفية من بغداد والتي طلب فيها موعداً لـــلزيارة؛ ــ انه يريد ان يحضر مائدة عشاء مع السيد الشهيد، ثم إنه أوضح للســـيد الشهيد فيما انه قد جاء يحمل رسالة شفوية من (البكر) والذي كان يكـــن بـــالغ الإحترام للسيد الشهيد الصدر، وامثال هذه العبائر وقد طلب عقد اجـــتماع ثنائي خاص، وفي اثناء هذا الإجتماع قال للسيد الشهيد: (أرى من صـــالحنا جميعاً ان نتفق على ان لا نتدحل في شؤونكم وأن لا تتدخلوا في شؤوننا، ثم قال أنني استطيع ان أهمل جميع التقارير التي تكتب عنكم وترفع اليـــنا من قبل مديرية أمن النجف وغيرها، إلا إنني لا أستطيع ان أفعل شيئاً للتقارير التي ترفع للقيادة مباشرة من قبل أشخاص في الحوزة نفسها، فأرجو أن لا يصدر منكم شيءٌ يسبب لي إحراجاً أمام القيـــــادة ...) [١].

وهكـــذا ابرز البراك ماخفي من النوايا ــ وإن لم يكن خافياً على السيد الشهيد ــ فالقيادة تعلم جيداً بتحركاته من خلال التقارير التي تصلهم حتى من

---

١ ــ نقلاً عن كتاب الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ص ١٨١.

أواســـط الحوزة* .. والقيادة تحمل قضية السيد الشهيد الصدر هماً أكبر ، قد اختـــلفوا حيالـــه، والقيادة تهدد ... وإلى آخر ما كان يحمل في جعبته وربما كـــانت هذه الزيارة بمثابة المدخل إلى المواجهة، والبرزخ بين مرحلتين كان يتـــبعها البعثيون في تعاملهم مع السيد اللشهيد حيث توالت الزيارات فيما بعد من مختلف المسؤولين من حكوميين وحزبيين .

ثـــم تلت هذه الزيارات مرحلة أخرى جديدة كانت تحمل أفكار ومطالب السلطة، وكلها تحمل التهديد والوعيد ...

المرحلة الثانية :ــ

وتأتي هذه المرحلة من الزيارات بعد المجابهة التي حدثت بين المؤمنين والبعـــثيين، حيث ان البعثيين كانوا يرون في السيد الشهيد الرأس المدبر لكل هذه التحركات وإلانتفاضات الجماهيرية، وهذه الزيارات تحمل جميعها سمة العـــنف والتهديد بالقتل وإلاعدام، وان إختلف الأشخاص وتباينت المناسبات، ومن هذه الزيارات .

١ ــ زيارة جاسم الركابي محافظ النجف، فبعد المواجهة البطولية المشرفة التي وقفها المؤمنون الأبطال في مواجهة الزمرة البعثية الحاقدة ومنعها الشعائر الحسينية، في صفر ١٣٩٧هـــ والمصادف ٩ شباط ١٩٧٧م تلك الإنتفاضة الخالدة، ذهب محافظ النجف جاسم الركابي إلى السيد الشهيد وطلب منه التدخل بارسال وفد يطلب من الثوار ان لا يرددوا شعارات

---

* حدثني احد المجتهدين اللذي كان في النجف وهو الآن من كبار علماء قم قائلاً: كنت جالساً في (براني) احد المراجع الكبار وصادف زيارة مدير أمن النجف للمرجع وبينما نحن جلوس قال احد المعممين الحضور يخاطب صاحبه بصوت عال لكي يسمع مدير الامن : هذا محمد باقر الصدر ماذا يريد ؟! يريد ان يقيم حكومة اسلامية في العراق؟! لماذا لا يحمد الله ويسكت؟!.

معادية للسلطة، ويبلغهم بتراجع السلطة عن قرار منع المسيرة الحسينية، ويطلب منهم الهدوء والإكتفاء بترديد الشعارات الحسينية فقط، وإنه لن يتعرض أحد منهم للإعتقال فيما بعد، فقال له السيد الشهيد .

(*ومن يضمن سلامة الوفد الذي أبعثه اليكم*) .

فقال الركابي: ــ انا أضمن سلامة الوفد، ولو حدث غير ذلك فسوف أقدم إستقالتي وأحلق شاربي، ان هذا تعهد مني ومن وزير الداخلية عزة الدوري [١] .

ثم ان السلطة، بعد أن استصرخت السيد الشهيد بالأمس وجاءته تستغيث هلعاً من الجماهير المؤمنة الثائرة، وبعد ان سيطرت على الموقف بقوة الحديد والنار والبطش الشديد، أصدرت الأمر بإعتقاله ونقله إلى بغداد حيث جاء (مدير أمن النجف) في صباح اليوم الثاني وطلب من السيد مرافقته إلى بغداد، مدعياً ان وزير الداخلية عزة الدوري يريد الإجتماع به، وهناك اعتقل وتعرض لأقسى انواع التعذيب .

٢ ــ زيارات مدير أمن النجف: ــ

قام هذا بعدة زيارات إلى السيد الشهيد وكان الأهم منها تلك الزيارة التي جاءت بعد تسلم صدام الحكم وكانت أثر مجيء وفود البيعة في رجب وقيام السلطات البعثية بإحتجاز السيد الشهيد في بيته وتطويق البيت ومنعه من الخروج أو دخول أي شخص عليه، الأمر الذي أدى إلى ردود فعل من لدن جماهير المؤمنين الغاضبين وقيامهم بأعمال مسلحة ضد قوات النظام وكتابة المنشورات وغيرها ..

---

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ص ٢١٠.

وجـــاء مديـــر الأمن بصورة شبه سرية، وجرى بينهم حوار نوه به عن مسؤولية السيد عن تدفق وفود البيعة، وإن إحتجازه بهذا السبب .

وقال له : ــ (سيدنا أنت تعلم بما حدث ــ في رجب ــ لقد كانت ثورة حقيقية كادت أن تنجح لولا حزم القيادة، إننا لم نواجه حدثاً كهذا منذ ثورة ١٧ تموز وحتى ذلك اليوم، إن الأوضاع كانت خطيرة جداً، وإلى الآن توزع المنشورات، وتكتب الشعارات على الجدران التي تحرض عليها الناس .

ثم قال : نحن نعلم إن ظروفكم غير طبيعية، وقد تكون بحاجة إلى المال، نحن بخدمتكم لأي مقدار تحتاجون اليه .

السيد الشهيد : لست بحاجة إلى المال .

مدير الأمن : ــ هل من خدمة أقدمها لكم ؟

السيد الشهيد : ــ اطلقوا سراح المعتقلين، فإن هؤلاء لا ذنب لهم .

مدير الأمن : ــ سأنقل طلبكم الى الجهات المختصة [1].

١ ــ نفس المصدر السابق ص ٢٨٩.

زيارة الخاقاني: ــ

المعروف ان الشيخ عيسى الخاقاني والذي يعيش في أحدى دول الخليح، وهو ايراني (عربي) كان متعاوناً مع السلطات البعثية وعلى علاقات مع مايسمى (الجبهة العربية لتحرير الأحواز) وان أحد أقربائه المدعو ضياء الدين الخاقاني هو مسؤول هذه المنظمة المعروفة بعدائها للثورة الإسلامية ورفع شعار التعصب القومي، للتغطية على أهدافهم الخبيثة ونواياهم الشريرة.

ويبدو انه وأثناء تصاعد وتيرة العداء البعثي للثورة الإسلامية فكر البعثيون بالإستفادة من السيد الشهيد اذ ربما يكون الحصار والحجز والمعاناة الكبيرة قد أثرت على مواقفه فيتراجع بعض الشيء أو يلين ورأوا أن أفضل من يمكن أن يجيد هذه اللعبة هو الشيخ عيسى فجاء .. وعلى ما ينقل النعماني بعد اتصال هاتفي طلب موعداً، وعندما حضر برفقة شخص آخر، أوضح للسيد الشهيد ان القيادة (السلطات البعثية) هي التي كلفته بهذه المهمة، ثم أخذ يضرب على وتر رفع الحصار وقال للسيد الشهيد : ــ ... ؛ وإني أود أن اطلعكم بأن المسؤولين قالوا لي : ابلغ السيد الصدر أن بإمكانه ان يفتح بابه ويستقبل أي أحد يرغب بزيارته، أو يخرج إلى اي مكان يشاء، ويمارس حياته الطبيعية ثم ما لبث الشيخ ان كشف عن مهمته الحقيقية .. فقال : ــ سيدنا تعلمون ان الحوزة العلمية بحاجة إلى تغيير وبناء جديد، وبحاجة إلى دعم وإسناد .. وخاصة الحوزة العلمية العربية [1] .

ثم أخذ يتحدث عن سيطرة العجم على الحوزة العلمية .. والمرجعية، ثم أحذ بالتعرض للثورة الإسلامية وللسيد الإمام (قدس سره) ، عندها رد عليه السيد الشهيد بما أفحمه بالحجة .

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ص ٢٩١.

ان التفسير الأقرب لما حدث هو أن السلطة استهدفت ــ عن غباء ــ أن تجعل من السيد الشهيد (رضوان الله عليه) منافساً قوياً لقيادة السيد الخميني (رضوان الله عليه) وتجعل من النجف منافساً قوياً لحوزه قم، وتقوم بتأجيج الصراع بينهم ...

وخابت مؤامرة السلطة البعثية التي حاولت تنفيذها بواسطة الشيخ عيسى الخاقاني، أمام صمود ووعي السيد الشهيد، وتضحيته في سبيل مبادئه [١] .

ويبدو أن زيارة الخاقاني للسيد الشهيد قد تكررت مرتين، لكنه لم يحرز فيها أى نتيجة لصالح النظام، بل عاد خائباً يلاحقه العار ووصمة العمالة للنظام.

زيارة السيد علي بدر الدين:

كان للسيد علي بدر الدين علاقات واسعة مع مسؤولي السلطة وبمبادرة منه أو بتكليف منهم قام بزيارة للسيد الشهيد محاولاً حل الأزمة ظناً منه ان ذلك ممكناً وبعد اتصال مع السيد الشهيد من خلال الهاتف وافق السيد على زيارته وكانت (على مايقول النعماني) فرصة مناسبة للسيد الشهيد لمعرفة الأخبار وما يدور في أذهان السلطة فأخبره، بأن السلطة قد أثارها كثيراً تاييد السيد الشهيد للثورة الإسلامية في ايران وقال له:

ــ والله يا سيدي ــ انهم يفكرون بإعدامكم والتخلص منكم، لا حديث لهم إلا هذا، ولا هم لهم الا التفكير في كيفية تنفيذه، ان هؤلاء قساة لا رحمة في قلوبهم .. اني أرجوك ــ يا سيدي ــ ان تفكر ولو بقليل من التنازل لإنقاذ حياتك، ان استشهادك خسارة كبيرة ... انهم يعتبرون ما حدث في رجب (زيارة وفود البيعة) ثورة لم تنجح، وخوفهم من تكرر ذلك .

١ ــ نفس المصدر ص ٢٩٢.

السيد الشهيد : ــ لا أتنازل أبداً .. وإذا كان هؤلاء يفكروا بإعدامي، فأنا مستعد لذلك .

وبكى السيد علي بدر الدين بكاءاً شديداً، ثم قال : ــ أنني سأترك العراق، .وأسافر إلى لبنان، أنا لا أريد أن أبقى هنا وأشاهد جنازتكم، وكان آخر لقاء له بالسيد الشهيد «رحمه الله «، بعدها غادر إلى لبنان، وبعد مضي فترة من الزمن قامت المخابرات العراقية بإغتياله هناك [1].

زيارة ممثلي السلطة أثناء الحجز: ــ

بعد الإنتفاضة الرجبية، وعودة وفود البيعة، عمدت السلطات البعثية إلى شن حملة واسعة من الإعتقالات التي شملت المؤمنين في جميع أنحاء العراق، وخاصة الذين شاركوا في وفود البيعة كي تخمد اي تحرك جماهيري مضاد اذا ما أقدمت السلطات على اعتقال السيد الشهيد، وهذا ما أشرنا له سابقاً بـــ (قص الأجنحة)، وفعلاً فقد عمد البعثيون إلى وضع السيد الشهيد تحت الحجز الشديد وإلاقامة الجبرية حينما رأت أن عملية اعتقاله قد تؤدي إلى أعمال واضطرابات الأمر الذي حدث فعلاً، ثم قامت بمنع الزيارات عنه بشكل تام .

ومن خلال ذلك أخذت السلطة تتعامل مع السيد الشهيد «رحمه الله « على أمل أن يكون هذا الحصار الشديد قد يؤثر عليه أو يزحزحه عن بعض مواقفه، خاصة وقد تخلى الكل عنه، حتى أقرب المقربين اليه أو من كان يعوّل عليهم في خارج العراق فأخذت السلطات ترسل مندوبين عنها تطرح مطاليبها عليه عله يستجيب، وفي جميع تلك العروض يكون التهديد بالإعدام والقتل ديدنهم، ويكون موقف السيد الشهيد الثبات على الرفض وعدم التنازل.

١ ــ السيد الشهيد سنوات المحنة ــ ص ٢٩٣.

فقد قام مدير أمن محافظة النجف مرة ثانية بزيارة إلى منزل السيد الشهيد عارضاً عليه بعض التنازلات للسلطة التي شعرت ان كرامتها أهينت .. لكن السيد الشهيد أوضح له أنه لم يصدر منه شيء يستحق ان يعتذر عليه، كما وأوضح له إنه غير متضايق من موضوع الحجز وعلى ما يبدو فإن السلطات دخلت في مأزق جديد بسبب طول فترة الحجز التي فرضتها على السيد الشهيد، فقد قام المؤمنون وفي الكثير من مناطق العراق بعمليات جهادية وكتابة منشوارت والكتابة على الجدران تندد بالسلطة الأمر الذي دفع السلطة إلى الإضطرار لرفع الحجز عن السيد الشهيد، حيث إتصل به فاضل البراك هاتفياً وأبلغ الشهيدة بنت الهدى أن القيادة قررت رفع الحجز عن السيد الشهيد، وإن بإمكانه العودة إلى حياته الطبيعيـــة .

وفـــي الوقت نفسه رفعت السلطة جميع مظاهر الإحتجاز التي تطوق بها المنزل والزقاق الذي يقع فيه [1].

ان عمـــلية رفع الحجز تلك جاءت بعد ان قامت السلطات البعثية بإلقاء القبض على معظم المشاركين في وفود البيعة، إذا إنها قامت بالتقاط الصور أثـــناء مجـــيء تلك الوفود، أو إنها قامت بتسجيل الأسماء أثناء مجيئهم حيث وضـــعت نقـــاط تفـــتيش من قبل قوات الأمن على جميع مداخل المدن لهذا الغـــرض، أو إنهـــا تلاحقهـــم من خلال التقارير التي كانت ترفع عليهم من مناطقهم .

لذا فإن السيد الشهيد (رحمه الله) لم يكن لينظر إلى هذه البادرة من قبل السلطات بأنها بادرة خير وحسن نية، بل ان هناك قطعاً اهداف مبيتة من ذلك، حيث ان البعثيين قاموا ببث العيون والجواسيس بشكل مكثف جداً

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ص ٣٠٠.

لكشف العناصر المتبقية التي جاءت لتبايع مع السيد الشهيد مرة ثانية ــ بعد رفع الحجز التي لم تكشف من قبل ومن ثم الإجهاض عليها، وقد أحس السيد الشهيد بهذه اللعبة القذرة، مما دفعه إلى أن يرفض استقبال الوفود التي أخذت تستعد للمجيء، حالما شاع خبر فك الحصار بين الناس، وكانت رغبته أن يقتصر التردد على كبار السن .

كما إن السيد الشهيد بقي من الناحية العملية محتجزاً فلم يخرج من بيته مطلقاً، وكان يقصد بذلك أن تستمر الحالة الطبيعية في أذهان الناس والمجاهدين، ويحبط ايضاً محاولة السلطة التي استهدفت إمتصاص نقمة الجماهير وغضبهم برفع الحجر عن السيد الشهيد »رضوان الله عليه «.

وفعلاً فقد عمدت السلطة، وحينما شعرت ان رفع الحجز لم يحقق لهم اياً من الأهداف المرسومة وبعد ايام قليلة إلى العوده إلى فرض كل الإجراءات الإرهابية، وفرضت الإقامة الجبرية بشدة بالغة ووحشية لا نظير لها ــ الأمر الذي كان يتوقعه السيد الشهيد ايضاً .

.. إن السلطة استهدفت من إعادة الحجز أحد الأمرين .

الأول: ــ أن يتنازل السيد الشهيد للسلطة ويخضع لها خضوعاً كاملاً .

الثاني : التمهيد لعملية إعدامه، أو إغتياله حسب طبيعة الظروف الآنية [1].

وفعلاً، فقد اتصل فاضل البراك (مدير الأمن العام) بالسيد الصدر «حمه الله « وقال له: إن القيادة ستبعث لكم اليوم ممثلاً لها ليبحث معكم كافة القضايا، وأرجو ان تكون النتائج طيبة .. وبعد ساعة جاء (المبعوث) .. وبعد كلام طويل، حمل هذا المبعوث السيد الشهيد مسؤولية ما حدث في

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ ص ٣٠٣.

رجب ــ « إن هذا من الأمور المعقدة بالنسبة للقيادة، إن ما صدر منكم مما لا يمكن للقيادة تحملــه.

ثــم قــام هذا المسؤول بعرض شروط « قيادته » على السيد الشهيد من أجل فك الحصار، وإنهاء الأزمة . وقد كانت الشروط كما يلي : ــ

١ ــ عــدم تاييد الثورة الإسلامية في ايران، وإلاعتذار عما صدر منكم من مواقف بهذا الخصوص من خلال بيان يصدر منكم .

٢ ــ أن يتضــمن الــبيان شجباً صريحاً للوفود التي جاءت لتأييدكم في رجب .

٣ ــ أن تصدر فتوى خطية تعلن فيها حرمة الإنتماء لحزب الدعوة .

٤ ــ التخلي عن فتواكم حول حرمة الإنتماء لحزب البعث .

٥ ــ إصــدار بيــان تؤيــد فيه السلطة، ولو في بعض منجزاتها كتأميم النفط، أو منح الأكراد الحكم الذاتي، أو محو الأمية .

فقال له السيد الشهيد: ــ وإذا لم أستجب لهذه المطالب ؟

المبعوث : ــ الإعدام .

السيد الشهيد: ــ تفضل أنا الآن مستعد للذهاب معك إلى بغداد لتنفيذ حكم الإعــدام .

وحيــنما سمع المبعوث الجواب بقي متحيراً مذهولاً، وتغير لونه وكأنه تفاجأ بالجواب .

وانتهى اللقاء، لكنه جاء في يوم آخر بمشروع جديد، كان يعتقد أن السيد الشــهيد رحمــه الله سيقبل به لما يحمل من إغراءات كبيرة، فقال المبعوث: سيدنا إن السيد الرئيس يعدكم في حال قبولكم بهذه الشروط بما يلي:

١ ــ سيقوم بزيارتكم، وتغطى الزيارة من خلال وسائل الإعلام، ومنها التلفزيون .

٢ ــ في خلال الزيارة سيقدم السيد الرئيس صدام حسين سيارته الشخصية هدية لكم، وهذا أعلى مراتب التكريم والحفاوة، ولكي تطمئن إلى صحة نوايانا فسوف لا نطلب منكم نشر البيان قبل أن تشاهدوا ذلك من التلفزيون .

٣ ــ تكون أوامركم وطلباتكم نافذة في دوائر الدولة الرسمية، وبهذا نكون قد بدأنا صفحة جديدة من الصداقة والمحبة، لأننا أقرب اليك من الخميني، وأنت أقرب الينا منه .

السيد الشهيد: موقفي هو الموقف السابق .

المبعوث: نحن لا ندري ماذا تريد، والله « بشرفي » إن القيادة لم تتنازل لأحد بهذا المقدار، والله لقد نفذنا الإعدام بأشخاص عارضونا أقل من هذا، وكان منهم رفاق في الحزب فلماذا هذا الإصرار ؟ ماذا تريد أن نفعل ؟

السيد الشهيد: أنا لم أطلب منكم شيئاً، وكما قلت لكم إذا كان الحل لهذه الأزمة هو الإعدام فأنا مستعد لذلك، ولا كلام آخر عندي .

ظل هذا المبعوث ساكناً ولم يتكلم بشيء، وبعد فترة عاد الى الحديث، ففاوض السيد الشهيد رحمه الله على الشروط متنازلاً عنها الواحد تلو الآخر، والسيد الشهيد مصر على موقفه، بعدها قال المبعوث: سيدنا بقي شيء لابد منه، كما إنه ليس من حقي أن أتنازل عنه مطلقاً .

السيد الشهيد ما هو؟

المبعوث: ان توافق على إجراء مقابلة مع صحيفة أجنبية، وأن شئت أن تكتب الأسئلة بنفسك فلا مانع ــ حتى لو كانت فقهية ــ ولكن بشرط أن تؤكد في المقابلة أن العداء بينكم وبين السلطة قد انتهى أو تشيد ببعض انجازاتنا كمحو الأمية، أو تأميم النفط، أو منح الأكراد الحكم الذاتي، وفي مقابل ذلك نتعهد بتنفيذ التعهدات السابقة .

السيد الشهيد: وإذا لم أفعل ؟

المبعوث: الإعدام: بشرفي لا حل غيره .

السيد الشهيد: أنا مستعد، ولا كلام آخر عندي .

وتحيــر المبعوث، وظل ساكتاً فترة طويلة، ثم قام وودع السيد الشهيد، وجــرت دموعه على وجهه، وقال بلهجته العامية: « حيف مثلك تاكلة الكاع ــ أي الأرض ــ حيف والله حـــيف » .

وكانت هذه المفاوضات قد جرت في آخر شهر من أشهر الحجز [١] .

الأسلوب الرابع: الإعتقال والحجز:ــ

استخدم البعثيون كل الخيارات المتاحة أمامهم لقهر السيد الشهيد واركاعه وزحزحته عن مبدايته لكنه ظل طوداً شامخاً، المفاوضات قد وصلت إلى طريق مسدود، محاولات الإغتيال، محاولات هدم البيت على من فيه، ارسال المتفجرات، التجسس البشري وإلالي ومراقبة الهاتف، العزل التجويع كل تلك الخيارات والعمليات جربها ــ الحزب الحاكم ــ جربها صدام وزبانيته لكنه لم يتراجع، وحتى أسلوب الإعتقال والحجز، فهو لم يكن جديداً أو طارئاً، بل هو أول الأساليب التي استخدموها لكنهم في هذه الفقرة إستخدموا أسلوب المراوغة، أو اللجوء إلى طريقة شد الحبل، فهم كلما قاموا بإعتقاله تراجعوا حينما يرون رد فعل جماهيري غاضب، حتى أنهك المؤمنون، ونجحت طريقة (قص الأجنحة) وقاموا بإعتقال واعدام وسجن وتشريد العدد الكبير جداً من المؤمنين، واستخدام كم الأنفاس، بحيث لم يعد هناك من يمكن ان يحرك ساكناً، وتحت تأثير هذا الجو القاتم من البطش والإرهاب، حاصروا الإمام الشهيد، وبعد إقامة جبرية، أو حجز دام أشهر عمد صدام (المجرم)

١ ــ السيد الشهيد سنوات المحنة ص ٣١٨.

إلى القيام بجريمته النكراء المروعة حيث لم تصدر اي ردود فعل إلا كرفسة المذبوح، أو صرخات محبوسة من هنا وهناك تذهب أدراج الرياح .

اعتقالات السيد الشهيد

ان كل من تحدث عن السيد الشهيد يذكر عدة اعتقالات تعرض لها .

الإعتقال الأول: ــ

على ما يذكره السيد كاظم الحائري، والسيد محمد باقر الحكيم، والشيخ النعماني .. ــ انه عام (١٣٩٢هــ) عام ١٩٧٢ م في شهر رجب وعلى أثر تصاعد حملات الإعتقال والمداهمات في صفوف المؤمنين وجميع العاملين للإسلام ومنهم مجموعة من طلبة السيد الشهيد والمرتبطين به، تدهور الوضع الصحي له اثر تناوله حبوباً لتنظيم القلب كان يتناولها في تلك الفترة أدت إلى تسممه ونقل على أثرها إلى مستشفى النجف، وحين حضر البعثيون « رجال الأمن » إلى منزل السيد واقتحموه أخبروا بأنه نقل إلى المستشفى، فذهبوا إلى المستشفى وطوقوها .. ثم تم نقله « تحت إشراف رجال الأمن إلى المستشفى في الكوفة ووضع في ردهة المعتقلين .. ووضعوا القيد على يده الكريمـــة .

وفي اليوم الثاني أشيع الخبر من لدن طلبة السيد الشهيد مما أدى إلى أن يهرع الكثير من الناس وخاصة طلبته نحو المستشفى ومنهم مجموعة من العلماء الكبار أمثال المرحوم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين والمرحوم الحجة محمد صادق الصدر، وطالبوا بلقاء السيد والجلاوزة يمنعونهم من ذلك، ودخل البعض رغماً عن رجال الأمـــن ».

وكـــاد أن يســـتفحل الإضطراب في وضع الناس، فخشيت الحكومة من النتائج مما إضطرها إلى رفع القيد عن السيد الشهيد، وبعد فترة وجيزة أطلق سراحه .

وبعد أن تحسنت حالته الصحية، رجع إلى البيت وكثرت زيارة الناس والوفود اليه، بل أن هذه الحادثة كان لها تأثير بالغ في اشتداد جموع المؤمنين نحوه، مما إضطر الحكومة أن تغض النظر عن إعتقاله وإلا فإن خطتهم كانت تقضي ــ على ما ينقل السيد الحائري ــ إلى نقله إلى بغــداد .

وبــتأثير هذه القضية على الوضع إضطرت الحكومة إلى إطلاق سراح مجموعة من العلماء الذين كانوا قد تعرضوا للإعتقــال [1].

الإعتقال الثاني: ــ

أثر الإنتفاضة الحسينية التي قام بها المؤمنون الأبطال في صفر في عام ١٣٩٧ هــ والمصادف شباط عام ١٩٧٧ اثناء المسيرة الكبرى من النجف إلى كربلاء، ومنع السلطة المجرمة لهذه المسيرة وتحدي المؤمنين للسلطة الإستمرار بالإنتفاضة التي حولت نهار البعث إلى ظلام دامس وجعلتهم يعيشون حالة من الإضطراب والتخلخل الذي أفقد صوابهم وأربك حركتهم بحيث أخذوا يستنجدون بالعلماء في الوقت الذي يتهمونهم بالوقوف وراء هذه الإنتفاضة، فقد جاء « جاسم الركابي » محافظ النجف في ذلك الوقت طالباً من السيد الشهيد التدخل لتهدأة الأمر، وارسل السيد بدوره شخصاً يمثله، وما أن تهدأ الأمور، يقوم البعثيون بحملة اعتقالات ومداهمات واسعة ومن المؤكد ان السلطة تمتلك ما يثبت تورط السيد الشهيد بالأحداث، أو تحريكه للجماهير ضدها، ومع ذلك فقد صدر الأمر بإعتقاله وجلبه إلى بغداد .

وفي الساعة التاسعة صباحاً جاء مدير الأمن، وطلب من السيد مرافقته إلى بغداد، مدعياً بأن وزير الداخلية عزة الدوري يريد الإجتماع به .

---

١ ــ مباحث الأصول (المقدمة) ص ٢٨ ط قم ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ــ ص ٢٠٣ ــ محمد باقر الصدر ــ دار الإسلام ــ محمد الحسيني ــ الإمام الصدر .

وذهب السيد الشهيد إلى بغداد للتحقيق، بل ليبلغ رسالة حقد قاسية وشديدة من وزير الداخلية تضمنت التهديد والوعيد وبألوان من الإنتقام، ثم يقاد إلى مديرية الأمن لينال من الحاقدين انواع التعذيب وكان السيد الشهيد رضوان الله عليه بعد ان أفرج عنه يتوقع اعتقاله ساعة بعد ساعة [1].

الإعتقال الثالث : ــ

الإعتقال الأول الذي تعرض له السيد الشهيد من قبل السلطات البعثية كان في رجب عام ١٣٩٢ هــ ــ المصادف لسنة ١٩٧٢ م، وكذا الإعتقال الثاني بعد انتفاضة صفر عام ١٣٩٧ هــ المصادف لسنة ١٩٧٧ م، أثبت للبعثيين ان الشهيد الصدر لم يكن كأي شخص آخر يمكن ان يعتقل دون ان يحدث ضجة أو احتجاجاً جماهيرياً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جعل الشهيد الصدر يتصدر قيادة الأمة وجمهورها حتى عادت الأمة تنظر اليه نظرة الأمل والمنقذ فتوطدت الأواصر بينه وبين الجمهور مما ادى ذلك الى خلق وضع جديد معقد بالنسبة للسلطة الأمر الذي دفعها الى ان تتعامل معه بطريقة جديدة .وبأسلوب لم يسبق لها أن تعاملت به مع أحد،

وما زيارة زيد حيدر عضو مايسمى بمجلس قيادة الثورة (الودية) وكذا زيارة حسن علي وزير التجارة آنذاك، ثم الزيارة التي أعقبتها وهي زيارة فاضل البراك « مدير الأمن العام » كانت بمثابة محاولة إحتواء حاول البعثيون تجربتها لذا فإنه كانت زيارة « البراك » في ظاهرها ودية ثم استبطنت تهديداً ووعيداً رفعه للسيد عن لسان قيادته، ليؤكد ان البعث سيستخدم أشد الإجراءات معه ومع أعوانه وأتباعه، حتى وان كان إعدام الآلاف وتهديم القرى الكاملة، وفعلاً فقد حدث هذا بالفعل فيما بعد .

---

١ ــ الشهيد الصدر سنوات المحنة النعماني ص ٢١١.

فبعد هدوء نسبي بين السلطة والسيد الشهيد كانت وتيرة المراقبة والإحصاء، وتجميع المعلوات تسير بشكل كبير، وفي تلك الفترة صدرت تعليمات من السلطة بتوزيع استمارات انتماء للحزب على معظم أبناء الشعب العراقي، ويتضمن التعهد بعدم الإنضمام الى أي حزب غير حزب البعث والمخالفة لهذا التعهد جريمة تستحق الإعدام، وكان الهدف تطويق الحركة الاسلامية وابنائها وكشف عناصرهـــا .

واثر انتصار الثورة الإسلامية في ايران تصاعدت وتيرة الضغط البعثي على جميع قطاعات الشعب وخاصة المؤمنين، وظهرت بوادر هجوم جديد يستهدف الجميع وبالخصوص السيد الشهيد، ثم ان الذي فجر الوضع اكثر هو البرقية التي بعثها السيد الامام الخميني « قدس سره » مطالباً السيد الشهيد بعدم مغادرة العراق بناءاً على معلومات غير دقيقة وصلته الأمر الذي دفع قيادة حزب الدعوة الإسلامية وبالتشاور مع السيد الشهيد بتنظيم وفود شعبية من مختلف المدن العراقية لتحدي السلطة ودعم قيادة السيد الشهيد فتقاطرت الوفود بشكل كبير جداً مؤكدة على إلتفافها حول المرجعية الدينية، ورفض السلطات الجائرة .. وبعد تسعة أيام أمر السيد الصدر بإيقافها لانه رأى ان هذه الوفود قد حققت أهدافها ثم انه شعر بعدم ضرورة كشف قوة الحركة الإسلامية الأمرالذي يجعلها عرضة للتهديد أكثر .

ثم إن السلطات البعثية أعلنت حالات طواريء وأنزلت قوات الأمن والإستخبارات وجميع رجال الحزب الى الشوارع .. وفي مساء يوم الإثنين ٢ حزيران ١٩٧٩م، بدأت قوات الأمن تكثف من دورياتها ومراقبتها لمنزل السيد الصدر والأزقة القريبة منه، ثم منعت المارة من التجول في الزقاق الذي يقع فيه المنزل .

وفي صباح يوم ١٣ حزيران ١٩٧٩ / المصادف ١٧ رجب جاء مدير أمن النجف، وطلب اللقاء بالسيد الصدر وقال له: « ان السادة المسؤولين

يريدون الإجتماع بكم في بغداد » فاجابه السيد الشهيد « ان كنت تحمل أمراً بإعتقالي فنعم إذهب، وإن كانت مجرد زيارة فلا، ثم خاطب مدير الأمن ومن معه قائلاً: « إنكم كممتم الأفواه وصادرتهم الحريات، وخنقتم الشعب، تريدون شعباً يعيش بلا إرادة ولا كرامة، وحين يعبر عن رأيه أو يتخذ موقفاً من قضية ما، حين يأتي الألوف تعبر عن ولائها للمرجعية والإسلام، لا تحترمون شعباً ولا ديناً ولا قيماً، بل تلجأون الى القوة لتكموا الأفواه، وتصادروا الحريات وتسحقوا كرامة الشعب، أين الحرية التي تدعونها [1] .

وفي يوم ١٣ حزيران ١٩٧٩ « ١٧ رجب ١٣٩٩ » وفي تمام الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم انطلقت شرارة التمرد والانتفاضة لتحرق وجوه العتاة الظلمة وتضع الحركة الاسلامية امام المحك لتتحرك سريعة لانقاذ قائدها من براثن هذا العدو اللئيم، وكانت الشرارة الأولى قد انطلقت في مدينة النجف الاشرف، ثم تلتها مضاهرات مماثلة في مدينة الثورة والكاظمية ببغداد والسماوة، والرميثة في محافظة المثنى، والخالص، و(جيزان الجول)، وجديدة الشط في محافظة ديالى، والنعمانية في محافظة واسط، والفهود في محافظة الناصرية، وقد أبدى المتظاهرون صلابة وصموداً رائعاً فسقط البعض منهم جرحى فيما أعتقلت الأجهزة الأمنية القمعية اعداداً غفيرة منهم .

كمـــا نظمت تظاهرات واسعة في دولة الإمارات العربية المتحدة ولبنان وايران وبريطانيا وفرنسا .

وقـــد إضـــطرت الســـلطة الى اطلاق سراح الامام الصدرفي نفس يوم اعتقاله، حيث عاد الى النجف عصراً دون أن يلحق بـــه أي أذى .

١ ــ مباحث الأصول ص ١٢٦.

وكـــانت الانتفاضة انتصاراً باهراً للحركة لإسلامية وجماهيرها، ونقطة تحول في جهادها، وبداية مرحلة جديدة في المواجهة مع النظام .

وقـــد اعـــترف النظام على لسان مدير أمن النجف بأن ماحدث في ١٧ رجب كان ثورة حقيقية قد نجحت لولا حزم القيادة السياسية، سيدنا انت تعلم ما فعل هؤلاء، ان صوركم في كل شوارع لندن وغيرها من الدول الأوربية ولافـــتات التـــنديد بنا في كل مكان، ما الذي صدر منا حتى نواجه من قبل هؤلاء بهذه الأساليب الفاشية [١].

وقـــد ورد على لسان السيد بدر الدين اثناء زيارته للسيد الشهيد: « انهم فـــي قلق وخوف دائمين، إنهم يخشون من تصاعد الأحداث وتطورها، انهم يعتبرون ماحدث في رجب ثورة لم تنجح، وخوفهم من تكرار ذلـــك [٢].

الإقامة الجبرية:

اضطرت السلطات البعثية الى اطلاق سراح السيد الشهيد في نفس يوم إعتقاله فعاد الى النجف الأشرف عصراً تحت طائلة الرعب الذي أحدثته المظاهرات الغاضبة التي عمت ارجاء العراق وامتدت الى خارجه، ولكن ذلك لا يعني نهاية الصراع بين السلطة الصدامية والسيد الشهيد، ولا يعني توقف تربصها به عدوها اللدود الذي صار يهدد كيانها المتهري، خاصة بعد أن أبدت الجماهير المؤمنة التحامها الكبير معه، بل واستعدادها العام للتضحية في سبيله، فعليه لا بد أن تكمل مخططها، وان تعجل بأن تتغذى به قبل أن يتعشى بها ــ كما يقول المثل العراقي ــ فهي ان غفت عنه لحظة أو تغافلت

---

١ ــ محمد باقر الصدر ــ دار الاسلام ــ العسكري ــ الصدر ودوره في الصراع السياسي ص ٣٤

٢ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ص ٩٤ .

فإن مصيرها سيكون مجهولاً، لقد صار الشهيد شبحاً يرعبهم، فكيف يغضوا عيونهم عنه ؟ ! .

وفعلاً ففي نفس اليوم وبعد ساعات قليلة من عودة السيد الشهيد الى النجف، اتصل به مدير الأمن العا م، ومدير الشعبة الخامسة المعروف بزهير ــ أبو أسماء ــ ليبلغ بقرار الحجز، وقال لا يحق للسيد الصدر الخروج من المنزل، ولا يحق لأحد الدخول عليه .

ثم طوقت أجهزة الأمن منزل السيد الشهيد من كل الجهات، ومنعت الناس من المرور من الزقاق الذي يقع فيه، وضيقوا الخناق على المنطقة كلها، كما وضعوا جهاز للمراقبة فوق بناية مطلة على منزل السيد الشهيد والمنطقة لتصوير ما قد يحدث، وكانت تعمل ليل نهار .

وهكذا بدأ الحجز الذي استمر تسعة أشهر، وانتهى بالشهادة . ثم قامت السلطات بقطع الماء والكهرباء والهاتف واستمر ذلك ما يقارب الخمسة عشر يوماً الهدف عما يبدو منه قتل السيد الشهيد وعائله عطشاً، ثم رافق ذلك منع الحاج عباس ــ خادم السيد الشهيد ــ من دخول المنزل لتوفير المواد الغذائية، وكان الهدف من ذلك هو قتل السيد وعائلته جوعاً .

وكلما مرت الأيام كانت تشتد المحنة على السيد الشهيد سيما من الناحية العاطفية، فإنه كان يحس بجرح كبير وهو يرى اطفاله جياعاً، وان المريضة المقعدة تطلب الدواء ولا دواء، وكان يقول للنعماني .

« *سيموت هؤلاء جوعاً بسببي، ولكن مادام ذلك يخدم الاسلام فأنا سعيد به، ومستعد لما هو أعظم منه* » .

ولــم تــنجح خطــة الحصار الغذائي بعد ان إنتشر خبرها، وقد واجهت السلطة ضغطاً من الشباب وعامة المؤمنين الذين ملأوا الجدران بالشعارات، والمنشورات التي توزع بسرية، وتندد بالحصار الغذائي، مما اضطر السلطة

الى فــك الحصار فسمحت للحاج عباس بإيصال الغذاء يومياً في ظل رقابتها (المشددة).

يقول (النعماني): ــ من اليوم الثامن عشر من رجب تقريباً وحتى اليوم الأخير من شهر شعبان كنا في عزلة كاملة عن العالم، فلا أخبار الناس تصل الينا، ولا أخبارنا تصل اليهم، وكأننا أحياء دفنا في قبر كبير .

وتوالــت في هذه الفترة حملة عمليات التصفية الجسدية للسيد الشهيد عن طريق محاولات الإغتيال أو دس السم، والتجسس، والحرب النفسية، فقد كان رجال الأمن يسمعون السيد الشهيد الصدر وعائلته كلمات التهديد والوعيد [١].

وفي هذه الفترة ارسل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) نداءاته الثلاث (المعروفة) مخاطباً الشعب العراقي محرضاً على الثورة ومنددا بالسلطات الغاشمة وقد تم تسريب هذه النداءات المسجلة على كاسيت لكنها لم تنشر في حينها من لدن أصحاب العلاقة خوفاً على حياة السيد الشهيد على مايبدو، ثم قامت اذاعة الجمهورية الإسلامية ببثها مسجلة بعد شهادته .

وفي تلك الفترة تسلم (المجرم صدام) السلطة بعد طرده (البكر) ومحاولة لإمتصاص النقمة الجماهيرية قام النظام بإطلاق سراح بعض السجناء وكان عددهم أكثر من ما ئتين ... وقام مدير أمن النجف (وبتكليف من صدام) في أيام عيد الفطر المبارك بالإتصال بمنزل السيد الشهيد وطلب زيارته وتمت الزيارة، وتأكد السيد الشهيد في هذه الزيارة من أن مسألة الحجز كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل المجرمين القتلة ويمكن ان تكون قضية كبيرة تستثمر لصالح الإسلام .

ثم توالت الزيارات من قبل الشيخ الخاقاني، والسيد علي بدر الدين على ما أوضحناه سابقاً .

---

١ ــ نقلت بتصرف من كتاب الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ النعماني ص ٢٧٨ وما بعدها.

وعلى ضوء المعلومات التي أدلى بها السيد علي بدر الدين وكذلك الإنطباعات التي حصلت بعد زيارة مدير أمن النجف للسيد الشهيد »رحمه الله« تأكد ان الحجز رغم ما فيه من صعاب وآلام يعتبر مشكلة كبيرة للسلطة، كما إنه يمكن ان يكون قضية تستثير الجماهير، وتحرضها على مواصلة الجهاد، وكانت الأدلة تتوارد عليه، ففي كل يوم تقع أحداث تؤكد على صحة هذه الرؤية، فكانت اعمال الاغتيال والتفجير والمواجهات المسلحة، وكتابة المنشورات وتوزيعها، وكتابة الشعارات على الجدران من الأحداث اليومية التي أصبحت وكأنها طبيعية، وكان السيد الشهيد يسمع بنفسه اصوات اطلاق النار في بعض الليالي اثناء المواجهات المسلحة بين المؤمنين وقوات السلطة، فكان شعوره بصحة هذه الرؤية يقوى يوماً بعد آخـــر .

ان السيد الشهيد رحمه الله قدم ما يملك وفعل كل ما يمكن، ولا شيء اكبر من أن يستعد لقبول الإحتجاز له ولعائلته في سبيل ضمان مستقبل التحرك والجهاد لإسقاط السلطة، وإقامة حكومة اسلامية ربانية على ارض العراق، تحكم بما أنزل الله، وتحقق للشعب حريته وكرامته وحقوقه .

فأي أب يحب أن يرى ابناءه جياعاً وهو لا يعرف الى متى ستستمر هذه الحالة .

وأي أب يتحمل أن يرى مشهداً لطفلة له تتلوى من ألم الأسنان وهو لا يستطيع ان يوفر لها قرصاً مسكناً .

وأي ابن يتحمل أن يرى أمه العجوز التي أنهكتها مصائب الدنيا تختنق من شدة السعال وهو يعجز عن توفير الدواء لها ؟

وأي أب يتحمل أن يرى عائلته واطفاله يعيشون عدة أشهر في بيت لا يعلم في أي لحظة سينهار بهم جميعاً ... ولا منجاة لهم منه ؟ !

وإنـــي عـــلى يقيـــن من أن تلك المشاهد العاطفية وغيرها من اللحظات المثيرة وما هو مشعر بالخطر منها كانت تأخذ من قلبه مأخذاً كبيراً لدرجة جعلته يتمنى الموت أحياناً، ولكنه كان يقول:

« ان ذلك بعين الله، إن الناس سبقونا الى ما هو أعظم مما نحن فيه »

وكـــان يهـــون مما ألم به ذكر الشهيد السعيد السيد قاسم شبر رحمه الله ويقول:

« انه يعاني من التعذيب ما لم نعان نحن بمقدار عشره ... »

ويذكر حصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجميع آل هاشم في شعب أبي طالب لا يظلهم من أشعة الشمس شيء، وهم يفقدون الماء والغذاء، فيقول:

« كان ذلك من أجل الإسلام، فلتكن امتداداً لهم، وعلى خطهم وهدفهم ».

ان أحداً من أهله لم يشتك من المأساة ولم يتململ يوماً من الأيام، ولكن ما طفح كان من مشاعر الأبوة العطوفة الحانية التي أمر أسرتها وأبنائها، ويهولها ما يحدق بها من مخاطر ويحوطها من محن فيؤلمه ما يؤلمها، ويسرّه ما يسرها.

ورغم ذلك كله صمم على أن يستمر هو ومن معه ــ على تحمل هذه المأساة وتحويلها الى قضية تحقق للإسلام والعمل الإسلامي اكبر قدر ممكن من الإنتصار، ومراراً سمعته يقول: ــ

« أنـــني مستعد لأن أبقى مع عائلتي محتجزاً مدى العمر، أو أن أضحي بنفسي وبهم، اذا كان ذلك يحقق للإسلام نصراً في العراق ».

كان السيد الشهيد رحمه الله يعتقد ان قضية الإحتجاز سوف تستثمر من قبل المهتمين بأمر العمل الإسلامي، وكان يتوقع ان يسمع أخباراً تسره، فليس منطقياً أن يتقدم القائد الى الأمام ويبقى المقاتلون في مواضعهم ينظرون الى أشلائه تُقطع بأيدي اعدائه، وليس من المتوقع أن يحتجز السيد الشهيد رحمه

الله وفـــي خـــارج العـــراق الكـــثير مـــن فرص العمل الإعلامية والسياسية والجهادية التي يمكن أن تسخر لخدمة القضية .

كنا نتابع الإعلام ليلاً ونهاراً عسى أن نستمع لحدث أو قضية تخص قضيتنا، وكنا نقول: هل يعقل أن أحداً لم يخطط لإختطاف طائرة أو إقتحام سفارة، أو اغتيال مسؤول قيادي في السلطة يتجول في دول العالم بهدف إلفات نظر العالم الى هذه القضية الكبيرة مثـــلاً ؟ إن ذلك غير محتمل على الإطلاق .

إلا إن الســـيد الشـــهيد « رحمـــه الله » فوجيء بأنه وبدلاً من أن يسمع الأخبار من هذا القبيل .

أخذ البعض يطالبه من خلال الهاتف المراقب وهو في الحجز بأن يجيب عـــلى برقيات لبعض العلماء مما زاد من غضب السلطة وحقدها عليه بسبب ذلك !

كمـــا إنـــه لم يحدث شيء مما كان يتوقعه فلا طائرة تخطف ولا سفارة تقتحم، بل برقيات وأخبار لا طائل من ورائها غير الحاق الأذى بالسيد الشهيد رحمـــه الله .

وحاول (رضوان الله عليه) أن يطلع على الحقيقة كاملة، فأرسل رسالة الى أحد الأشخاص في خارج العراق وكان قد كتبها على شكل أسئلة لتكون الإجابة دقيقة، وركز في معظم أسئلتها على

مثل هذه القضايا .

ولمـــا جـــاء الجواب ــ على بعض الأسئلة ــ أصيب بخيبة الأمل، وبدأ بتغيير تصوراته وخططه في العمل.

وعلى هذا الأساس فكر بإعادة النظر في كل الأمور وقد كتب بعض ذلك بخطه.

وقد أدت هذه الرؤية الى تعزيز فكرة الإستشهاد، وأحس أن فك الحجز حتى لو حصل من دون ثمن يذكر فإنه لا يجدي بالنسبة له كقائد .

أمـــا في الداخل، فإن الأوضاع كانت افضل حال نسبياً قياساً للإمكانيات المـــتوفرة، وفقـــدان القيادة الميدانية التي تنظم الأعمال الجهادية، بالرغم من ارهاب السلطة وبطشها .

ومن نافلة القول ان أتحدث عن هذا بعد أن أشاد السيد الشهيد؛ في بياناته بالشعب العراقي ومواقفه الشجاعة والبطولية في مقارعة السلطة البعثية العميلة وكان ممتناً من العراقيين في داخل العراق، وقد اشار الى ذلك في موارد كثيـــــرة [1].

في تلك الأثناء جاء مدير أمن النجف مرة أخرى، محاولاً الحصول على شـــيء من التنازل، بيد أن السيد الشهيد كان ثابتاً على موقفه، ثم أخبره بأن الســـلطة تسمح للعائلة بالخروج من البيت، وللأطفال بالذهاب الي المدارس، كمـــا تســـمح بـــزيارة بعـــض الأرحام ثم إن السلطة واجهت ضغطاً جهادياً وجماهيـــرياً أجبرها علي رفع الحجز عن السيد الشهيد (رحمه الله) ورفع جميـــع مظاهر الإحتجاز التي كانت تطوق بها المنزل والزقاق الذي يقع فيه، وأبقت نقطة مراقبة ثابتة ...

وكان تعامل السيد الشهيد مع قضية رفع الحجز يتسم بالحذر الشديد والتحسب بأن السلطة لم ترفع الحجز الا لأمر كبير تريد الإقدام عليه، لهذا منع الشباب وترددهم عليه في تلك الفترة، وقد شاع خبر فك الحجز بين الناس، واستعد الكثيرون للمجيء على شكل وفود كبيرة كما حدث في رجب الحرام، الا أنه رفض ذلك وكانت رغبته أن يقتصر التردد على كبار السن، والعلماء والطلبة في المرحلة الاولى .

١ ــ الشهيد الصدر ــ سنوات المحنة ــ ص ٢٩٦.

وكان من الممكن ان يصبح رفع الحجز أمراً واقعياً يصعب على السلطة تحديه أو اعادة النظر فيه لو أن المرجعية العامة والحوزة قد وقفتا مع السيد الشهيد « رحمه الله » موقفاً يذسجم مع المسؤولية الشرعية والواجب الديني .

وكانت خيبة الأمل كبيرة؛ فقد أحجمت المرجعية العامة عن الإستجابة لطلب عدد كبير من العلماء وابناء الأمة لزيارة السيد الشهيد « رحمه الله » وبادر أيضاً الكثير من العلماء والطلبة الى زيارة السيد الشهيد، وامتنع الأكثر، ومع ذلك أوشكت الأمور أن تعود الى حالتها الطبيعية، ويصبح رفع الحجز حقيقة واقعية بمعنى الكلمة، وتعجز السلطة حينها أن تتخذ أي رد فعل ضد السيد الشـــهيد « رحمه الله » ولحققت المرجعية والحوزة ــ أيضاً ــ قوة ومكانة، ولما تعرضت للذل والهوان فيما بعد [1].

الحجز الثاني:

ازاء هــذا الصمت المطبق، وازاء تراجع المد الجماهيري، وإزاء تحقق بعــض الأهداف التي حققها البعثيون برفع الحجز عن السيد الشهيد « رحمه الله » بشــكل موقت أقدمت السلطات على إعادة الحجز مرة أخرى وبعد أيام قليلة، لتعرض اعادة كل الإجراءات الارهابية، وفرضت الإقامة الجبرية بشدة بالغة، ووحشية لا نظير لها .

وكان هدف السلطات من اعادة الحجز تحقيق أمرين: ــ

١ ــ ان يتنازل السيد الشهيد للسلطة ويخضع لها كاملاً .

٢ ــ الــتمهيد لعملية اعدامه، واغتياله حسب طبيعة الظروف الآتية وفي تــلك الفترة الحرجة، اقدم السيد الشهيد على اصدار البيان « النداء » الثالث الى الشعب العراقي، مطالباً إياه التوحيد والخروج على هذا الحكم الجائر .

١ ــ المصدر السابق ــ ص ٣٠١.

: « *فلتتوحد كلمتكم،ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الاسلام، ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة، وبناء عراق حر كريم* ».

ومن هذه الفترة أيضاً طرح فكرة القيادة النائبة لملأ الفراغ الذي سيحدث بعـــد استشهاده ثم تصميمه على خروجه من الصحن الشريف واعلان اسماء اعضاء هذه القيادة، والطلب من الناس اطاعتهم، والسير تحت رايتهم .

ثـــم يأخذ بالكلام والتهجم على السلطة، والتنديد بجرائمها، ويدعو الناس الى الثورة عليها، والى أن تضطر قوات الأمن لقتله، فيكون دمه محفزاً لكل مؤمن الى الثورة والتمرد على النظام .

وفشل مشروع القيادة النائبة، وأصابت السيد الشهيد « رحمه الله » خيبة أمل قاتلة وهم دائم، فتدهورت صحته [١].

نكوص وتراجع: ــ

إن المتتبع لمجريات الأحداث يمكنه أن يلحظ تأثير حركة الجماهير على موضوع الصراع بين السيد الشهيد « رحمه الله » والسلطة العفلقية الغاشمة، فكثيراً ما تراجعت هذه السلطة عن قرارها باعتقال السيد الشهيد أو التعرض له بأذى فكانت تطلق سراحه بعد ساعات من اعتقاله، الأمر الذي شجع أعضاء الحركة لإسلامية، أو حتى دفع بالسيد الشهيد الى المراهنة على هذه الورقة الضاغطة والإستفادة منها في الصراع مع السلطة الغاشمة، بينما اندفعت السسلطة بشدة للقضاء على هذه المعضلة والتخلص منها، ويبدو أن البعثيين قد تمكنوا من إتقان اللعبة والسيطرة على هذا المد الجماهيري وتفتيته، وبالتالي الإستفراد بالسيد الشهيد« رحمه الله » والإقدام على قتله امام مرأى ومسمع من محبيه ومؤيديه، واذا بذلك الصوت الهادر قد خفت، واذا

[١] ــ المصدر السابق ص ٣٠٩.

بذلك الطوفان البشري يتحول الى أشلاء هامدة لا حراك لها سوى رفسات هنا وهناك كرفسات المذبوح الذي سرعان ما يستسلم للموت، انها ظاهرة محيرة ليقف عندها المرء كثيراً اذ ربما استنتج بعض الأسباب، والتي ربما يكون منها:

١ ــ فصل القيادة عن الأمة: ــ

لقد أقدمت السلطات البعثية على العمل على تفتيت الحركة الإسلامية من خلال ضرب قيادتها وعزلها عن تلك القيادة المتمثلة بالسيد الشهيد، حيث أن فرضها الإقامة الجبرية والحجز المتشدد قد عزل الأمة عنه الأمر الذي جعل الأمة تتحرك تحركاً عشوائياً، وقد استفاد البعثيوون من تجربة الثورة الإسلامية في ايران، فإن الثورة لم تنجح ولم تقطف ثمار النصر لولا وجود قائد محنك والمتثمل بشخصية الإمام الخميني «قدس سره» حيث كانت الأمة تعمل طوع أمره وتنفذ أوامره .

ان قطع شرايين الاتصال بين السيد الشهيد والحركة الإسلامية خلق حالة ارباك وفوضى، ثم ان البعثيين ومن خلال اجهزتهم القمعية الارهابية تمكنوا من ضرب قيادة حزب الدعوة الإسلامية الذي يحرك الساحة آنذاك .

٢ ــ أساليب الارهاب والتنكيل البعثي،

إن أجهزة الإجرام الصدامية المرتكزة على قواعد الحزب وانصاره ومؤيديه أخذت تجند كل شخص يمكن لهذه الأغراض حتى النساء والأطفال، فصار الأخ يتابع حركات أخيه، وكانت المرأة تكتب تقريراً عن زوجها، وصار الأب يخاف أن يتفوه بكلمة أمام أطفاله فيقع فريسة للسلطة حينما يتحدث الطفل أمام الجيران .

فكانت سياسة الخوف والرعب تضرب بأطنابها وتذيب القلوب هلعاً، فأحواض التيزاب تبتلع الأجساد الغضة والمقاصل منصوبة، وأجهزة التعذيب

صارت تستورد من خارج العراق، من شتى دول العالم، بل وحتى خبراء التعذيب وأصبحت السجون المتوزعة على كل الأنحاء والزوايا تغص بآلاف الأبرياء فالإعتقال والسجن على الشبهة والظن والتهمة والشك، وصار الإنسان يؤاخذ بجريرة سواه، فإن كان أخوك قد ثبت إنتماؤه لحزب الدعوة أو صديقك أو إبن عمك أو أقاربك أو جيرانك، فأنت تحاسب أيضاً، فأنت مجرم لأنك لم تخبر عنه، وهذا تستر على مجرم يجب أن تعاقب عليه .

٣ ــ ان الغرب والإستعمار العالمي الاستكباري أخذ يتعامل مع الثورة الاسلامية في العراق تعامله مع الثورة الاسلامية في ايران،وأخذ يصور بأنها امتداد لها وجاءت تحت تأثير انتصارها فعليه لابد من الإجهاز عليها وخنقها قبل استفحالها، فهم لا يريدون تجربة « خمينية » ثانية في العراق فيفلت العراق من أيديهم، كما فلتت إيران من قبل، الأمر الذي جعل الشعب العراقي يعيش المحنة وحده بمعزل عن العالم، حتى الصحافة العالمية، و ما تسمى بالمنظمات الإنسانية اطبقت صمتاً على مايجري في العراق من مذابح مروعة وانتهاك لم يشهد له التاريخ مثيلاً لحقوق الانسان لقد حاول صدام تصوير السيد الشهيد، بأنه عميل لإيران ارسلته وكلفته بمهمة القيام باسقاط حكومة البعث «الوطنية على قول صدام» ــ ففي حديث له امام ما يسمى بالمجلس الوطني العراقي يوم ١١/٢٣ / ١٩٨١، تحدث صدام؛ أن الإمام الخميني «والذي هو عدو البعثيين الأول في حينها» قد أرسل برقية عبر الأجهزة الرسمية للسيد الصدر والذي أطلق عليه صدام المقبور الصدر قال فيها [١] .

---

١ ــ محمد باقر الصدر ــ دار اللإسلام ــ نبيل عبدالهادي ص ٦٤٩ ــ نقلاً عن صحيفة الثورة البعثية ــ في ٢٤ / ١١ / ١٩٨١.

: ــ سمعت إنك تريد أن تغادر العراق، ابق هناك حتى تعود للعمل ضد الحكومة العراقية «الإضافة من صدام».

٤ ــ وقوع بعض الأخطاء من قبل الآخرين الذين أخذوا يتعاملون مع الأحداث في العراق كتعاملهم مع الأحداث في ايران دون التمييز بين واقع الارهاب البعثي والإستعداد المتناهي لدى البعثيين في مواجهة الناس حتى وان سحق الشعب بأسره، ثم الطبيعة الحزبية للسياسة البعثية المتغلغلة في كل جزئيات الناس الأمر الذي مكنهم من التمكن من حصر الفئات المناوئة لهم من خلال تقارير الحزبيين ورجال الأمن التي تحصي على الناس أنفاسهم، ثم خلو الجيش العراقي من الضباط المتدينين أو المناوئين للسلطة على اقل تقدير لأسباب عديدة متراكمة يطول الحديث عنها، كل هذا لم يؤخذ في الحسبان .

فالبرقيات والرسائل المرسلة على رؤوس الأشهاد، وكذا التصريحات الاذاعية التي تبث داعية الشعب العراقي الى المشاركة ببعض المظاهرات التي ستقوم بها الحركة الإسلامية كل ذلك كان يولد رد فعل عنيف يتخذه البعثيون ازاء الشعب العراقي الأعــزل .

٥ ــ اثناء مجيء الوفود الي بيعة السيد الشهيد وقبلها كان البعثيون يرصدون حركات المؤمنين، ويحصون أسمائهم، بل وحتى عناوينهم، ولا يبعد أن يستخدم الأمن البعثي بعض عناصره للتغلغل بين صفوف المؤمنين لإحصائهم ومعرفتهم، كما أن عمليات التصوير المكثفة التي قام بها البعثيون لهذه الوفود، بعد أن عادت جميع الوفود الى المدن المختلفة شنت السلطات حملة مداهمات واعتقالات واسعة جداً شملت جميع المشاركين ... والملاحظ في الأمر ان السلطات البعثية لم تتصد في بداية الأمر لهذه الوفود، بل اكتفت بالمراقبة المشددة والاستحضارات الكبيرة لقمع أي عمل يشكل خطورة على النظام وباستخدام كافة الأسلحة ..

كل هذه الأمور لم تكن غائبة عن ذهن السيد الشهيد الصدر، لذا فقد قرر بايقاف تدفق الوفود، ثم في فترة رفع الحجز منع من مجيء الوفود اليه أو زيارة الشباب له وأمر بالإكتفاء بزيارة كبار السن ولكن رغم هذا فقد اودعت السلطات البعثية عشرات الآلآف من الشباب الذين كان يمكن أن يشكلوا عنصر قوة ضاغط حينما تقدم السلطات البعثية على القيام بأي عمل ضد السيد الشهيد وهذا ما عبرنا عنه سابقاً بسياسة «قص الأجنحة».

٦ــ تخاذل الموجودين في الخارج؛

فعلى الرغم من وجود عدد لا بأس به في الخارج ممن يعتبرون أنفسهم من انصار السيد الشهيد واتباعه لكنه لم يصدر أي احتجاج أو رد فعل أو اغتيال لشخصية بعثية مهمة في الخارج، أو مهاجمة سفارة من السفارات البعثية، وهذا ما خلق جواً من التعتيم والنكوص والخيبة في نفوس الكثير من المؤمنين الذين كانوا يشعرون بوطئة الهجمة البعثية الشرسة وعدم امكان الوقوف بوجهها والإستسلام والتراجع أمامها.

٧ــ تخاذل المرجعية والحوزة في مساندة السيد الشهيد أو الإحتجاج بأبسط صور الإحتجاج، فضلاً عن أن البعض أخذ يثبط الناس من خلال تشكيكه بمواقف السيد الشهيد، وهذا الأمر أثر كثيراً من ناحيتين الناحية الأولى: ــ

هي استفراد السلطة البعثية بالسيد الشهيد والتفرغ لمواجهته، ومن ثم الإجهاز عليه، وذلك هدف كان طالما توخاه النظام وسعى لتحقيقه بشتى الوسائل والأساليب .

أما الناحية الثانية: فإن نكوص المرجعية عن مساندة السيد الشهيد أعطى الغطاء الشرعي والمبرر الديني للكثير من المؤمنين بالتراجع والتهاون في هذه المسألة، أو إنها انعكست انعكاساً نفسياً سلبياً على الجموع المؤمنة.

٨ ــ صدور القرار ٤٦١ بتاريخ ٣١ /٣ / ١٩٨٠ والذي يقضي باعدام كل من ينتسب الى حزب الدعوة أو العاملين لتحقيق أهدافه .. وبأثر رجعي، والواقع ان المستهدف الأول في هذا القرار هو السيد الشهيد « رحمه الله » وهذا القرار ترك أثراً كبيراً في سير عملية المواجهة بين المؤمنين والسلطة .

كل تلك الأسباب ادت الى تراجع المد الجماهيري الذي كان يراهن به السيد الشهيد « رحمه الله » وتراهن به الحركة الإسلامية السلطة، والتي كانت ورقة الضغط التي تتراجع أمامها السلطة الغاشمة كلما كانت تحاول اعتقال السيد الشهيد أو محاولة قتله على هذا المد الجماهيري الهادر، فيمكن لحكومة البعث الظالمة ولصدامها المجرم ان يقترف جريمته الكبيرة، والتي تعتبر أكبر جريمة في العصر الحاضر يندى لها الجبين .

الإعتقال الأخير: الإلتحاق بمواكب الشهداء: ــ

لم يتنازل السيد الشهيد عن مواقفه وآرائه وفتاواه، وكأني به يقول:

همتي همة الملوك ونفسي ... نفسُ حُرٍ ترى المذلة كفراً
انا ان عشتُ لستُ أُعدمُ ... قوتاً، ولإن متُّ لستُ أُعدمُ قبراً*

او كأنه هو القائل:

تنكر لي دهري ولم يدرِ أنني ... أعزُّ وأحداث الزمان هَونُ
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أُريه الصبر كيف يكونُ**

---

* الابيات للشريف الرضي.

** الابيات للابيوردي.

لم يطأطأ رأسه لحكومة صدام المجرم، ولم يقبل بأي عرض من عروضهم مهما كان بسيطاً، فكان يسير نحو الشهادة بخطى ثابتة واقدام راسخة ورؤية واضحة، فليس ثمة شيء أمامه إلا الشهادة، وليس من خيار أما البعث الفاسد إلاّ القتل الذي صار لغتهم التي لا يمكنهم التفوه بغيرها.

وها هو الصدر قد بقي وحيداً «كجده الحسين» فالصحب بين من صعد سلالم المشانق نحو العلى والشهادة . ومنهم من يرسف بأغلاله مكبلاً، ومنهم من فر بجلده خارج الحدود، ومنهم ... ومنهم ... ومنهم من يطول الحديث عنه.

لقد بقي الصدر وحيداً، وهذا ما سعت له حكومة القتلة منذ أمد بعيد ففي اليوم الخامس من شهر نيسان الأسود عام ١٩٨٠، وفي الساعة الثانيه والنصف بعد الظهر جاء المجرم مدير أمن النجف، ومعه مساعده الخبيث «أبو شيماء» فالتقى بالسيد الشهيد «رضوان الله عليه» وقال له : ــ ان المسؤولين يودون لقاءك في بغداد.

فقــال لــه السيد الشهيد اذا أمروك باعتقالي فنعم، أذهب معك الى حيث تشاء فقام «رضوان الله عليه» وودع أهله وأطفاله ..

وذهب السيد الشهيد «رحمه الله» الى بغداد لينال الشهادة على يد أكبر سفاحي القرن، ويفي شعبه بوعده .

وفــي اليوم السادس من نيسان الاسود جاء المجرم الخبيث مساعد مدير أمــن الــنجف ليصــطحب العلوية الشهيدة بنت الهدى لتلحق أخاها فتشاركه الشهادة كما شاركت في المواجهة والجهاد في سبيل الله .

فسلام عليك يا من باع نفسه لله ربِّ العالمين...

سلام عليك يا خالداً في ضمير التاريخ..

.. ويا رمزاً عظيماً في آفاق السالكين..

ونادى المعالي فاستجابت نداءه ولو غيره نادى المعالي لصُمّتِ

يا سليل دوحة المحمدية... والارادة العلوية...
يا وجه الحسين...في دنيا تأبى الاستقامة الّا بالدماء...
يا كلمة الرفض لكل انظمة الخنوع والذل والهوان...
سَلَلتَ لهم سيفين: رأياً ومنصلا وُكلّ كنجمٍ في الدُجُنةِ ثاقبُ

يا نسخة الصالحين الابدية...
ويمر طيفك بالعصور فتنحني متصاغراتٍ عنـــده إكـــبارا
إن شبَّ عصرٌ كنتَ فيهِ نضارةً أو شاب عصرٌ كنتَ فيه وقارا

سيدي الصدر...
إن كان للمواجهة معنىً، فمِن (عَرَقِكَ) المقدس ...
وان كان للثورة فكرُ، فمن فيض (مدادك) الخالد...
وان كانت الثورة حمراء، فبلون (دمك) ودماء أبنائك المخلصين...
حلف الزمان ليأتينَّ بمثله حَنَثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فكفِّرِ

يا سيداه...
باقٍ انت في قلوبنا.. ومنهجنا.. وإصرارنا..
يا رمز قضيتنا...
إذا كُنتَ في فكريَ وقلبيَ ومقلتيَ
فأيُّ مكانٍ من مكانِكَ ألطفُ..؟!

محمد أمين شبّر

الفهرس

المقدمة ٧

الفصل الأول ١٧

القوى المؤثرة في المجتمع ١٩

القوة الأولى: قوة الحاكم ١٩

القوة الثانية:- قوة الغوغاء الإجتماعية ٢٠

القوة الثالثة:- قوة المعارضه المستضعفة ٢٠

القوة الرابعة: «القوة المعارضة المتمردة» ٢١

القوة الخامسة: وهي القوة المحايدة ٢٢

الفصل الثاني ٣٣

التركة الثقيلة:- ٣٥

أولاً:- الإسلام بلا سياسة: ٣٦

ثانياً: الإزدواجية الشخصية أو سلب الإرادة: ٣٨

ثالثاً: عزل الأمة عن قيادتها في الحوزة العلمية ٤٤

رابعاً:- زرع الكيانات الغريبة في جسد الأمة ٥٠

الفصل الثالث ٦٣

الشهيد الصدر في مواجهة التركة الثقيلة ٦٣

أولاً: مقدمة حول الميلاد وظروف النشأة ٦٦

ثانياً ـ الشهيد الصدر في النجف: ٧٢

ثالثاً: مواجهة الكيانات والتيارات المنحرفة: ٧٩

رابعاً :ـ السيد الشهيد الصدر القدوة الحسنة: ٨٩

الفصل الرابع.....٩٥

البعث لعبة الماسونية العالمية لحرب الإسلام ٩٥

اولاً:ـ المنشأ: ٩٧

ثانياً: ـ لماذا حزب البعث بالذات؟:..... ١٠٠

ثالثاً : ـ أساليب القمع البعثي لإركاع الشعب. ١٠٣

الفصل الخامس..... ١٤٣

التصدي للمخطط البعثي لتدمير الحوزة. ١٤٣

ادور السيد الشهيد بعد رحيل الإمام الحكيم: ١٥٥

خطوات في حماية الحوزة : ١٦١

الدفاع عن المرجعية: ١٦٤

لماذا لم يطرح الشهيد الصدر نفسه للمرجعية؟!..... ١٦٥

المحافظة على بناء الحوزة: ١٧٢

الفصل السادس..... ١٩١

العمل المضاد ١٩١

الشهيد الصدر المواجهة والشهادة ٣٠١

الفصل السابع ٢٤٩

السلطة والشهيد الصدر مواجهة حامية الوطيس ٢٤٩

اعتقالات السيد الشهيد ٢٧٧

الفهرس ٢٩٩

المدرسة الشبرية
النجف الأشرف - العراق
١٣٨٧هـ ١٩٦٧م